الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة العربي التبسي – تبسة –
كلية الآداب واللغات
قسم اللغة والأدب العربي

التخفيف بين المنجز اللغوي والأفق الدلالي من خلال تفسير الكشاف للزمخشري

أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه علوم فرع: اللغة والأدب العربي.

تخصص: دراسات لغوية

إعداد الطالب:
– أحمد عمارة

إشراف الأستاذ الدكتور:
– جبايلي الطيب

لجنة المناقشة:

الاسم واللقب	الرتبة العلمية	الجامعة الأصلية	الصفة
رشيد سهلي	أستاذ	الشهيد الشيخ العربي التبسي	رئيسا
جبايلي الطيب	أستاذ	الشهيد الشيخ العربي التبسي	مشرفا ومقررا
أسمهان ميزاب	أستاذ	الشهيد حمة لخضر الوادي	عضوا ممتحنا
الكبلوتي قندوز	أستاذ محاضر أ	محمد الشريف مساعدية سوق أهراس	عضوا ممتحنا
رضا جوامع	أستاذ محاضر أ	محمد الشريف مساعدية سوق أهراس	عضوا ممتحنا
يوسف عمر	أستاذ محاضر أ	الشهيد الشيخ العربي التبسي	عضوا ممتحنا

السنة الجامعية 2023–2024

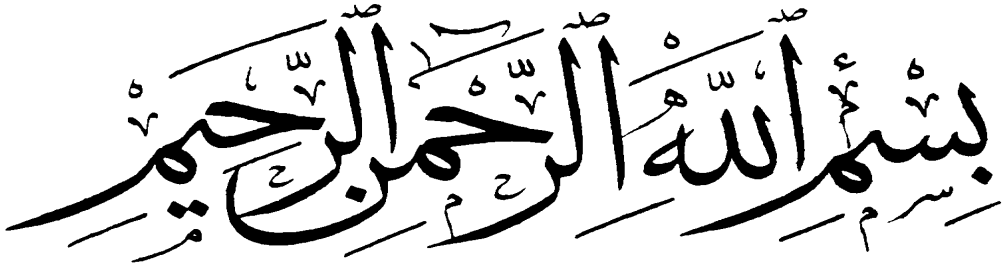

قال تعالى:

﴿ يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾

[سورة المجادلة، الآية 11]

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

"مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا، سَهَّلَ اللَّهُ لَهُ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ"

(أبي داود وابن ماجه)

شكر وعرفان

في الحديث القدسي

﴿عبدي لم تشكرني، ما لم تشكر من قدمت لك الخير على يديه﴾

يفيض القلب، ويسعد اللسان بالإشادة بمن رسم الطريق لهذا البحث وقدم العون وأنار البصيرة بالأستاذية المخلصة الحقة فكانت الرسالة وصح التفكير الأستاذ الدكتور الفاضل "جبايلي الطيب".

كما أتقدم بوافر الشكر والعرفان لجميع الأساتذة الذين قدموا لي يد المساعدة سواء من جامعة الشهيد الشيخ العربي التبسي -تبسة- أو من الجامعات الأخرى..

وأخيرا وافر الشكر للجنة المناقشة على قبولهم هذا العمل المتواضع فلكم منا فائق الاحترام والتقدير.

ولكل من ساهم في إتمام هذا العمل المتواضع ولو بكلمة طيبة.

إهـــداء

إلى اللذين أخذا بيديّ ووفّرا لي سبيل التعلم وكانا لي الوجه الطّافح حبًّا وحنانًا

والديّ الكريمين رحمهما الله وأسكنهما فسيح جنانه.

إلى من كانت لي حشدا لهمتي كلما رأت ضجراً أو توانٍ مني في بحثي..

إليك زوجتي العزيزة وحدك رحمك الله وأسكنك فسيح جنانه.

وإن أردت أن تفسحي لي المجال فلأولادي...

إلى كل من مد لي يد العون من قريب أو من بعيد.

إلى كل هؤلاء أهدي ثمرة هذا الجهد المتواضع.

* أحمد عمارة *

مقدمة

الحمد لله منشئ الأكوان، خالق الإنسان، معلم البيان، ومنزل القرآن بلسان عربي مبين، على أشرف خلقه النبي العربي الأمين، عليه صلى الله والملائكة والمؤمنون، فالصلاة والسلام عليه وعلى آله وصحبه والتابعين بإحسان إلى يوم الدين، وبعد:

فإن ما أودع من ملكات، وقدرات لغوية في أذهان البشر، وما لها من أثر بالغ في فضاء المآدب، وتحصيل المنافع في الدنيا والآخرة إلا لأنها الوسيلة الأجدى للتواصل والتفاهم، والتقارب والتحاور في أبسط صور السهولة والتيسير، وإن اختلفت الألسن وتباينت الألوان وتلك آية الله في خلقه، لقوله تعالى: {وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالِمِينَ} [الروم: 22].

لقد نطق العرب على سجيتهم اللغة العربية، فسالت على ألسنتهم خفيفة، سهلة، سائغة العذوبة للناطقين أو السامعين، وكانت الكلمة فصيحة لا غرابة فيها ولا تعقيد، ولا خالفت بذلك المعروف ولا فارقت المألوف بتراكيب رُوعيت فيها المقامات والأحوال، فلا ذكر لمقام الحذف ولا حذف لمقام الذكر.

ولقد تشرفت اللغة العربية وتقدست، ولا أغلى ثمرها شرفا من القرآن الكريم ولا قداسة لها في غيره، بنزوله على قلب الحبيب نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، فكان نوراً مبينا جرى على لسانه بسبعة أحرف، فهو النغم الساحر على الحناجر، وهو الخفيف اللطيف على القلوب والمسامع، وهو المعاني بجلالها والمباني بصفائها التي طورت الأدب، وحضّرت الإنسان، ونشرت الأنوار بعد الظلام، فكانت الدعوة ملحة بالأمر في طلب العلم وخوض غماره حتى نشأت شتى علوم اللغة لتُسقل الأذهان وتقوم الألسن.

إن ما أجمع عليه علماؤنا الأجلاء فيما خاضوه من دراسات وأبحاث أفضى إلى أنه من طبيعة لغتنا العربية لا يبدأ فيها بساكن ولا يوقف على متحرك، تلك ميزة أولى لتسهيل النطق، كما لا يجتمع ساكنان، وإن يحدث يحرك أحدهما طلباً للخفة، وعرف أيضا أن اللغة أصوات وهي حد اللغة التي يعبر بها كل قوم على أغراضهم، يذكر ذلك ابن جني، والأصوات مقاطع فيها المتحرك والساكن، والحركتان ثقل، واختلافهما خفة، والفتحة أخف، كما أن الكسرتين أخف من الضمتين، وكل حرف صوت، والأصوات حروف منها تتركب الكلمات، والكلمات أو الكلام أسماء وأفعال وحروف، ومنها تنشأ الجمل، فلا يمكن أن يتكوّن الكلام بلا فائدة أو يشوبه التعقيد في اللفظ أو المعنى، ولا يجوز بأي حال أن يخرج عن قواعد النحو في حال أو مقام، ذلك ما يُسمى بالمنجز اللغوي الصحيح البيّن، وفيه تقع ظاهرة التخفيف لتسهيل الاستعمال نطقاً وكتابة.

والتخفيف ظاهرة لغوية اهتم بها علماء اللغة، وجعلوا لها أحكاماً وقواعد تنظمها، وأوضحوا لها أدلة لفظية وحالية وأعرابية وأخرى صناعية لتبيان أسباب وقوعها، وأفردوا لها أبوابا ضمن مباحث مصنفاتهم، تكاد تكون قليلة إذا قورنت بأبواب علوم اللغة الأخرى، فكان من الأهمية أن تعنى بالدراسة والتفصيل، وإن كان السبق في ذلك لمجموعة من الدارسين أو الباحثين كالأستاذ أحمد عفيفي في كتابه "ظاهرة التخفيف في النحو العربي"، والدكتور طاهر سليمان حمودة في كتابه "الحذف في الدرس اللغوي"، والدكتور حمزة عبد الله النشرتي في كتابه "من مظاهر التخفيف في اللسان العبري" فكانوا لنا سندا في الاعتماد على دراساتهم لبحثنا.

ولما كان موضوع البحث متعلقا بكتاب الله عز وجل والاشتغال فيه يشمله فضل الاشتغال عليه لما له من أهمية بالغة ليكون السبيل لفهم لغة القرآن الكريم، والمنجز اللغوي في عربية القرآن الكريم كذلك من ناحية، ومن ناحية أخرى أنه يجمع بين

الدراسة اللغوية والدراسة التفسيرية والأدائية، وما لتلك الظاهرة من دلالات، وفائدة علمية يستفيد منها الباحث وغيره من الدارسين.

واستنادا إلى الإطلاع على المراجع الدارسة لهذه الظاهرة والتي أولت جل اهتماماتها بالناحية التركيبية حول بناء الكلمة، والجمل، وكذلك الأسلوب والبلاغة لعرض بعض صور التخفيف فكانت بذلك جهودهم معتبرة، غير أنهم لم يذكروا في حدود ما علمت الجانب الدلالي وآثره لهذه الصور سواء في اللغة العربية أم في لغة القرآن الكريم، فكان ذلك ونحسبه مسوغاً للولوج في غمار هذا البحث.

والحقيقة أن فكرة الموضوع قيد الدراسة هي عبارة عن توسعة لبحث كنت قد قدمته رسالة لنيل شهادة الماجستير، وسمت بـ: "التخفيف في الجملة العربية، نحويا، بلاغيا، تداوليا"، ومن خلال الإطلاع ومصاحبة بعض كتب القدماء ومطالعتها أدركت أخذ الموضوع بجدية وطرحه في ثوب جديد أحسب أن يكون كذلك موسوما بـ: "التخفيف بين المنجز اللغوي والأفق الدلالي من خلال تفسير الكشاف للزمخشري"، وذلك لأهمية معرفة مواطن ظاهرة التخفيف في المنجز اللغوي في آي القرآن الكريم، والأبعاد الدلالية لتلك الألفاظ الواقع فيها التخفيف، كمقارنة بين الوظيفة اللغوية، اللسانية وأبعادها أو آفاقها الدالية، لنجد أنفسنا أمام إشكالية مفادها سؤال حول الظاهرة كالآتي:

ما هو الأثر الدلالي من خلال تجليات ظاهرة التخفيف في المنجز اللغوي؟ أو بعبارة أخرى ما الأبعاد الدلالية الناجمة عن ظاهرة التخفيف في اللغة العربية أو في أي القرآن الكريم؟

وعليه تكون الطريقة المنتهجة في الدراسة وصفية في عمومها اعتماداً على التحليل اللساني والتحليل التفسيري بالنظر إلى كل بنية لغوية أثناء تحليلها وإعطائها دلالة معينة.

ومن الصعوبات التي اعترضت مناحي البحث كان أولها، تأرجح البحث بين مناحي اللغة كمنجز لغوي، وبين الدراسة اللسانية لبناء لغوي هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى متاعب الحياة التي هي كل يوم في صورة، كما أن تشعب الموضوع وانتشاره بين دفات الكتب أشكل لملمته، وتمييز نصوصه والأكثر من ذلك دراسة القرآن الكريم، تلكم بعض المبررات لتأخر إنجاز البحث أو بعض القصور، ومهما كانت وتكون الصعوبات فالباحث ملزم بالبحث وبذل الجهد ومحاولة الدقة خاصة في التعامل مع القرآن الكريم، فإن لم تكن النتائج كثيرة فقليلها نحسبه أفيد ولكل مجتهد نصيب.

وقد رأيت أن أطرق باب التخفيف بين المنجز اللغوي والأفق الدلالي من حيث تسليط الضوء على القوانين أو النواميس التي تحرك ظاهرة التخفيف من خلال الصوت، والأبعاد الدلالية، وكذا البنية اللسانية والأحكام اللغوية، وأثر ذلك في عربية القرآن الكريم ثم عرجت على البنية والقيمة اللسانيتين، كل ذلك من خلال مظاهر التخفيف وآليات الاختصار والإيجاز، واخترت الحذف لكثرة انتشاره في اللغة رغم ما يتطلبه الموضوع من جهد وعناء كبيرين، إلا أنني حاولت أن أمسك بأطرافه وضبط القضايا المنوطة بالدراسة والبحث فيه، ليخرج بهذه الصورة في خطة مقسمة إلى: مقدمة، ومدخل، وأربعة فصول وخاتمة، وفهرس للمصادر والمراجع المعتمدة.

ففي المقدمة: قدمت فيها موضوع التخفيف بين ثنايا موضوع اللغة وأهميته، وصعوبة البحث، وتفصيل الموضوع من حيز التفكير إلى مرحلة التحبير.

وأما المدخل فكان عبارة عن تمهيد للمفاهيم الأساسية لعنوان البحث، التخفيف، المنجز اللغوي، الأفق الدلالي، التفسير.

وأما الفصل الأول فكان معنونا بـ: النواميس الصوتية المحركة لظاهرة التخفيف"، تفرع عنه أربعة عناصر، حصرت في بداية إنشاء الصوت، ورأي ابن سينا في حدوثه، وكذا التغيرت الحاصلة في أصوات اللغة العربية ثم الوظيفة النطقية التي

تحدد مميزات الصوت، وخواصه والمواطن والمخارج والأنواع، ودور هذه الأصوات في بناء الكلمة وكيفية تشكلها.

وفي الفصل الثاني عرضت الوظائف اللسانية لبعض الأحكام اللغوية، وفيها درست ظاهرة التخفيف من خلال الوظائف اللسانية للظواهر اللغوية، إدغاما، وإعلالا وإمالة وتفخيما، ثم انتقلت إلى أثر القوانين الصوتية في العوامل النحوية ومنها سلطت الضوء على ظاهرة الإعراب التي لها الأثر البليغ في توضيح عمل وأثر العوامل النحوية وما يحدث في شكل التركيب اللغوي.

وأما الفصل الثالث فقد أبرزت البنية اللسانية لعربية القرآن الكريم، فتشعب هذا العنوان إلى البنية التركيبية لعربية القرآن، تناولت فيه البنى بين الحقيقة والمجاز ومظاهر التخفيف فيها ثم الحظر اللغوي في القرآن والذي يتضمن جانبا كبيرا من مظاهر التخفيف، فهو يحجب المعاني الكثيرة بألفاظ قليلة، وكذا ذكرت مظاهر التخفيف بين الدلالة والبلاغة على أن تبرز مناحي البلاغة من إيجاز، وكناية، واستعارة خافية لكثير من المعاني معبرة بأقصر العبارة على المقاصد المراد الوصول إليها. والعنصر الأخير في هذا الفصل تطرقت فيه إلى مظاهر التخفيف في البنية اللغوية التي تقوم على الاختصار والاقتصاد اللغوي.

لتنتهي الدراسة بفصل رابع معنون بـ: "القيمة اللسانية لظاهرة التخفيف في كتاب "الكشاف"، حيث تمت دراسة الصوت اللغوي على المستويات:

- المستوى الصوتي.
- المستوى الصرفي.
- المستوى التركيبي.
- المستوى الدلالي.

والخاتمة أوجزت فيها أهم النتائج والملاحظات لهذه الدراسة، وقد اعتمدت على كثير من المصادر والمراجع في إنجاز هذا البحث، وأهمها تفسير الكشاف للزمخشري.

وفي الأخير أتقدم بالشكر الجزيل بعد الحمد والشكر لله تعالى إلى الأستاذ الدكتور "جبايلي الطيب" المشرف الذي كان مرافقا وموجها طوال هذا المشوار، وكذلك الشكر موصول إلى كل من ساعدنا من قريب أو بعيد.

فصل تمهيدي

مدخل إلى المفاهيم الأساسية

1. التخفيف.
2. المنجز اللغوي.
3. الأفق الدلالي.
4. التفسير.
5. نبذة عن حياة الزمشخري.

1. مفهوم التخفيف:

1.1. المعنى اللغوي للتخفيف:

ورد في المعجم الوسيط معنى: "خف الشيء خفاً وخفة، قلّ ثقله، ويقال: خفّ الميزان، شال وخف الْمَطَر وَنَحْوه نقص، وخف الْقَوْم خفوفا قلّوا، وخف فلَان على الْقُلُوب أنست بِهِ وقبلته، وخف عقله طاش وحمق، وَخفت حَاله رقت وَإِلَيْهِ خفا وخفة وخفوفا أسْرع ونشط، وَعَن الْمَكَان ارتحل مسرعا فَهُوَ خف وخفيف... وخفف الشيء جعله خفيفا، وكان له دواب خفاف، وفلان أزال حِلْمَهُ، وحَمله الطيش، ويقال خفف الثوب رقق نسجه، وخفف ما به، هون عنه وروح عنه، وأزال عنه مشقة"[1].

وجاء المعنى كذلك في لسان العرب: "أن الخفة ضد الثقل والرجوح وهي خفة الوزن وخفة الحال، وخف القوم خفوفا، أي: قلّوا، وقد خفت زحمتهم، والتخفيف ضد التثقيل، واستخفه خلاف استثقله، واستخفه رآه خفيفاً، ومنه قول بعض النحويين: استخف الهمزة الأولى فخففها، وقوله تعالى: {تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ} [النحل: 80]، أي يخفف عنكم حملها"[2].

والتخفيف (عد القراء والصرفيين) هو "التخفيف في النطق بالهمزة، وذلك بسقوطها أو بإبدالها حرف مدّ أو ياء أو واواً أو بالنطق بها بين بينْ، أي بين مخرج الهمزة ومخرج الحرف الذي من حركتها"[3].

---

[1]- إبراهيم أنيس وآخرون: المعجم الوسيط، ج1، دار إحياء التراث العربي، ط2، مادة خفف، بيروت، لبنان، دت، ص247.

[2]- ابن منظور: لسان العرب، دار صادر، مادة خفف، مجلد 09، بيروت، دت، ص78 وما يليها.

[3]- إبراهيم أنيس، المعجم الوسيط، مرجع سابق، ص247.

وكذلك جاء المعنى الترجيح كما في قوله تعالى: {وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ} [القارعة: 08]، "إنما خفت موازين من خفت موازينه لإتباعهم الباطل وخفتها في الدنيا وحق لميزان لا توضع فيه إلا السيئات أن يخف"[1].

والخف كل شيء خف محمله، ويقال عن الذهب خف حمله، وغلا ثمنه، والثقل نقيض الخفة والعكس كذلك.

فالخفة معناها القلة، والحركة، والإسراع، والاستطارة، ويظهر من خلال المعاجم أن لفظ الخفة تتعاور عليه عدة معان مثل: الترك والتخلص، والقلة والطاعة، والإسراع، والطيش، والتوقد والذكاء، والاستطارة، وأخيرا هو ضد الثقل.

وفي كل ذلك نجد المعنى يندرج ضمن بقية معاني التخفيف، وقد ورد في كثير من آيات القرآن الكريم، وقد جاء في قوله تعالى: {يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ ۚ وَخُلِقَ الْإِنسَانُ ضَعِيفًا} [النساء: 28]، أي يريد الله أن يخفف عنكم في الشرائع والأوامر والنواهي، والتخفيف مناسب لضعف الإنسان، في نفسه وعزمه، ذلك أن الله تعالى يريد بنا اليُسر ولا يريد بنا العسر، وكذلك قوله تعالى: {وَإِذَا رَأَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ٱلْعَذَابَ فَلاَ يُخَفَّفُ عَنْهُمْ وَلاَ هُمْ يُنظَرُونَ} [النحل: 58].

وجاء كذلك التخفيف في قوله تعالى: {ذَٰلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ فَمَنِ اعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ} [البقرة: 178]، والتخفيف هاهنا العفو.

2.1. المعنى الاصطلاحي:

الوارد في معاجم اللغة كان جليا أن الخفة أو التخفيف مقابل للثقل، بمعنى أن لفظة الخفة تستدعي حضور الثقل على الأقل ذهنيا. فالتعريف لهذين المصطلحين جامعاً مانعاً لا يكاد يكون محدداً بوضوح من ناحية الاصطلاح، والسؤال المفروض

[1]– الزمخشري: الكشاف، ج4، دار إحياء التراث، ط2، لبنان، 2001، ص796.

هو: أليس للثقل حدٌّ، وللتخفيف حدٌّ، حتى يمكن قياس كل منهما؟ ثم ما هي النسبة بينهما؟

يقول محمد العياش: "لا حدّ للثقل إذا اعتبرنا العنصر الثقيل على حدة ولا حدّ للخفة إذا اعتبرنا لعنصر المخفف على حدة ولكن الخفة نسبية تقاس بالثقل، والثقل نسبي يقاس بالخفة، ومتى عرفنا ما بينهما من النسبة وأن الثقل ضعف الخفيف، والخفيف نصف الثقيل صارت لهما حدود محدودة ومقادير مقدرة"[1].

ثم إن معرفة ظاهرة التخفيف، وتقويمها، وضبط مواطنها، وتقدير المخفف يتوقف على معرفة دقائق اللغة العربية والغوص في مجاريها، وأن مستعمل لفظ التخفيف يستحضر النقيض، وبالأضداد تتضح المعاني، والخفة والثقل أمر نسبي يرجع إلى الانطباع أو الأثر الذي يقع في النفس عند استعمال اللغة، حيث يقول سيبويه: "وأعلم أن بعض الكلام أثقل من بعض"[2]، ذلك أن من الكلام ما قلت مدلولاته ولوازمه، والثقيل ما كثر ذلك فيه، فخفة الاسم أنه بدل على مسمى واحد ولا يلزمه غيره في تخفيف معناه كلفظة رجل، فإن معناها ومسماها الذكر من بني آدم، والفرس هو الحيوان الصهال، ولا يقترن لذلك زمان ولا غيره، ومعنى ثقل الفعل أن مدلولاته ولوازمه كثيرة، فمدلولاته الحدث والزمن ولوازمه الفاعل والمفعول والتصرف وغير ذلك"[3].

ظاهرة التخفيف في بحثنا المتواضع هذا أخذت معاني أخرى كالاختصار والتقدير، وعليه يبنى المراد في الاقتصار على الحذف والتقدير والإيجاز والاختصار وهو جل مقصود العرب.

---

[1]– أحمد عفيفي: ظاهرة التخفيف في النحو العربي، الدار المصرية اللبنانية، ط1، القاهرة، 1996، ص28.

[2]– سيبويه: الكتاب، تح: عبد السلام محمد هارون، ج1، دار الجبل، بيروت، دت، ص20.

[3]– جلال الدين السيوطي: الأشباه والنظائر في النحو، اعتنى به محمد فاضل، ج1، أبحاث للترجمة والنشر والتوزيع، ط1، الجزائر، 2007، ص167.

2. المنجز اللغوي:

1.2. المعنى اللغوي:

جاء المعنى: "من كلمة نَجَزَ الشيء، نجزاً حصل وتم، يقال: نجز الكتاب، ونجزت الحاجة، ونجز الوعد، والكلام انقطع أنجز الشيء، نجزه وقضاه، ومنه المثل: أنجز حر ما وعد، يضرب في الوفاء بالوعد واستنجازه.

ويقال أنجز على القتيل: أجهز عليه.

ناجزه الشيء: عاجله وأسرع به.

يقال: ناجزه الحرب ونحوها: نازله وقاتله، نجزّ الشيء: مبالغة نجزة.

تناجز القوم: تقاتلوا وتسافكوا الدماء.

تنجّز الشيء: طلب إنجازه، يقال: تنجّز الحاجة، وتنجز الوعد والشراب ألح في شربه.

الناجز: الحاضر المعجل، النجّز: يقال: أنت على نجز حاجتك: على شرف قضائها"[1].

"وأنجز ثقل: أنجز ينجر إنجازاً، فهو مُنجزْ، والمفعول مُنْجَزٌ، وأنجز وعده: وفى به، ... له الوقت الكافي لينجز ما تبقى من أعماله: أن يكمل، أن يتم.

إذا لم تنجز مهامها: انجرفت إلى الوراء، والجمع: انجازات.

قام بانجاز مهامه: إتمامها وإكمالها، وعمل منجز: تم إنجاز، وصار تاماً كاملاً"[2].

ومنجز اسم مفعول صيغ من الفعل: أنجز أي أعد وحضر، والمنجز اللغوي: اسم مفعول لكل ما دل على ما يمكن أن تؤديه اللغة من مثل الممارسات اللغوية: كالخط، أو الكتابة، والقراءة، والحوار، والخطابات وغيرها.

---

[1]– إبراهيم أنيس، المعجم الوسيط، مرجع سابق، ص903.

[2]– ابن منظور، لسان العرب، مرجع سابق، ص79.

2.2. المعنى الاصطلاحي:

والأمر الذي نهدف ونسعى إلى الوصول إليه لم يكن المقصود به ذكر الألفاظ وتوصيفها وتصنيفها فحسب، وإنما نريد تجاوز ذلك إلى تسليط الضوء على المعاني والاستخدامات في سياق تفسير آيات القرآن الكريم الواقع بها ظاهرة التخفيف ضمن بعض مباحث اللغة وعلم اللسان، ثم أن هذه الدراسة نحسب أنها تسعى إلى تبيان دلالات الألفاظ المقدرة أو الخفية بالحذف أو الإضمار أو الاختصار تخفيفا وإيجازاً والواردة في القرآن الكريم، والتي لها علاقة بموضوع البحث كظاهرة لغوية لسانية نطقاً وكتابة وسماعاً وكذلك قراءة، وهو المقصود بالمنجز اللغوي، ونقصد بذلك المنجز الذي هو كل لفظ يدل على شيء من استعمال اللغة وما ينجرُّ عنها من أثر.

3. الأفق الدلالي:

1.3. معنى الدلالة:

علم الدلالة من العلوم اللسانية الهامة التي تُعنى بمعاني الألفاظ والنصوص، كما يذكر أحمد مومن في كتابه "اللسانيات النشأة والتطور" بقوله: "يعتبر علم الدلالة (Sémantics) من أحدث فروع اللسانيات الحديثة، ويعنى بدراسة الألفاظ والجمل دراسة وصفية موضوعية"[1].

فكان أول ظهور لهذا المصطلح أي مصطلح الدلالة في نهاية القرن التاسع عشر على يد اللغوي الفرنسي "بريال ميشال".

وعلم الدلالة يهتم بالمعنى اللغوي الذي يعد موضوعاً له، كما أنه أي علم الدلالة ينطلق من معنى المفردة من حيث حالتها المعجمية ومتابعة التطورات الدلالية والتغييرات التي تأخذه الكلمة في السياقات المختلفة، هذا بالإضافة إلى دراسة الأصوات وعلاقة التركيب التي تفضي إلى الدراسة التكاملية.

وتتجلى الدلالة بتعدد أنواعها مثل: الدلالة المعجمية، والدلالة الصرفية، والدلالة النحوية، والدلالة السياقية وبخاصة هذه الأخيرة التي توضح معاني الكلمات بفهمها وتحديد معانيها من خلال سياقها في المقام الذي نتكلم فيه، ولذلك قيل: لكل مقام مقال.

وقد تم الاعتناء بالدلالة دراسة واهتماما من خلال هذه الأنواع، لأنه لا يمكن الاعتماد على الجوانب الصوتية والصرفية، والنحوية فحسب، خاصة وأن الظواهر اللغوية تكاد تكون متشابكة ومتداخلة فيما بينها، ومرتبطة بالدلالة ارتباطا وثيقا.

[1]– أحمد مومن: اللسانيات النشأة والتطور، ديوان المطبوعات الجامعية، ط2، الجزائر، 2005، ص235.

واللغة كما عرفنا أنها عبارة عن ألفاظ وأفكار، أي "معاني" ترتبط فيما بينها ارتباطا شديدا، بحيث حين يعرف اللفظ أمكن فهم معناه، واللفظ هو تلك الصيغة الخارجية للكلمة، والمعنى الذي هو المدلول هو الفكرة التي يستدعي حضورها اللفظ.

فالدلالة إذن عبارة عن وحدة بين الصوت والفكر أو هو ارتباط بينهما وهو المدلول.

ومن أهم ما انتبه إليه علماء اللغة العرب دلالات الكلمات، وأثارت اهتماماتهم تلك الرؤى الجديرة بالدراسة من مثل معاني الغريب في القرآن الكريم، الذي يعد من الأعمال المبكرة لدى العرب اللغويين، وكذلك الحديث عن مجاز القرآن الكريم الذي يعد من أبرز ما اهتموا به وأولوه عناية خاصة، وحتى ضبط المصحف بالشكل يعد في حقيقته عملا دلاليا، لأن تغيير الضبط يؤدي إلى تغيير وظيفة الكلمة، وبالتالي إلى تغيير المعنى، ولعله يكفي أن نذكر أكبر مثال بسبب وضع النحو حين تم اللحن في قراءة الآية الكريمة: {أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ} [التوبة: 03] – بجرّ رسوله– بدلا من ضمها مما أدى إلى أن يبرأ الله من رسوله، بدلا من أن يبرأ الرسول من المشركين"[1].

ولذلك فكانت دراسة ومعالجة قضايا علم الدلالة بالمفاهيم العلمية وبمناهج البحث الحديثة من أهم ما أنجزه علماء اللغة المحدثين، ومن خير ما أثمرت من دراسات وبحوث حديثة، ونجد في هذا السياق الكثير من علماء العرب والمفكرين الذين أولوا دراسة علم الدلالة اهتماما كبيرا لتكريم القرآن العظيم لهم بالتحفيز، والدفع المتعارف عليه والمتداول تاريخيا، أن معجزة كل نبي كانت مما شاع عند قومه، ولما كان أهل الجاهلية أهل فصاحة وعروبة مبهرة نزل القرآن الكريم بلسان عربي مبين على سبيل التحدي والإعجاز، فأفحم الخصوم وجعل بعضهم يقرون بالطلاوة عليه والحلاوة

[1]– ينظر: أحمد مختار عمر: علم الدلالة، عالم الكتب، ط5، القاهرة، 1998، ص20.

لـه، وأن أعـلاه مثمـر، وأن أسفله مغدق، ومـا هـو بقول بشـر، ولا يستطيع مخلوق أن يأتي بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا.

إن استشـراف مـا يبعـث إذنـا بهـذا التقريـر مـن رجـل ينتسـب إلـى أولئـك الـذين يمتلكون ناصية اللغة والملكة البيانية العجيبة، يدعو إلى تلمس وجوه إعجازه، وفي هذه المباحثة محاولة للكشف عن ملحظ دلالي لظاهرة التخفيف ولا نقصد بالملحظ الدلالي للظاهرة التسمية فحسب وإنما يتبع المعاني في السياق الواحد الواقع به ظاهرة التخفيف وتظافرها في السياق القرآني الشريف من خلال القيمة اللسانية.

بيد أن الاشتغال بهذا البحث يضفي التصور الواقع في مستويات متباينة، ومن ذلك ما يقع في المستوى الصوتي والصرفي والتركيبي والمعجمي.

ولعلـه حسـب القـول بـأن البحـث والوصـف دراسـة فـي غيـر السـياق القرآنـي قـد تعتريه صبغة سلبية، إذ أن المتكلم قد يأتي به للإبهام دون الأحكام، فلا يقف السامع على مراده إلا بالتوهم دون التحكم.

4. مفهوم التفسير:

التفسير هو الإيضاح والتبيين، ومنه التوضيح والإعراب، كما في قوله تعالى: {وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا} [الفرقان: 33].

وهو مأخوذ من الإبانة والفسر والكشف.

وقد ورد ذلك في تاج العروس: "الفسر البيان، وفسر الشيء يفسر، كشف المغطى، والتفسير كشف المراد عن اللفظ المشكل"[1].

وذكر ذلك ابن حيان في البحر المحيط، ويطلق التفسير على التعرية للانطلاق. قال ثعلب: تقول: فسرت الفرس عريته لينطلق في حصره، وراجع لمعنى الكشف، فكأنه كشف ظهره لهذا الذي يريده منه من الجري"[2].

والملاحظ أن التفسير يستعمل لغة في الكشف والإيضاح، وفي الكشف عن المعاني المعقولة، هذا في اللغة.

أما المصطلح فالتعاريف كثيرة لعلم التفسير، وقد اختلفت ألوانها من جهة اللفظ، إلا أنها من ناحية المعنى متفقة وما تهدف إليه، ولقد عرفه أبو حيان بأنه "علم يبحث عن كيفية النطق بألفاظ القرآن الكريم ومدلولاتها وأحكامها الإفرادية والتركيبية ومعانيها التي تحمل عليها حالة التركيب وتتمات لذلك"[3].

فقولنا علم هو جنس يشمل سائر العلوم، وقولنا يبحث فيه عن كيفية النطق بألفاظ القرآن هذا هو علم القرآن، وقولنا مدلولاتها أي مدلولات تلك الألفاظ وهذا هو علم اللغة.

---

[1]- محمد مرتضى الزيدي: تاج العروس، تح: عبد المجيد قطامش، ج16، دار التراب العربي، ط1، الكويت، 2001، ص323.

[2]- أبو حيان الأندلسي: تفسير البحر المحيط، تح: عادل محمد عبد الموجود، علي محمد عوض، ج1، دار الكتب، لبنان، 2001، ص10.

[3]- نفسه، ص10.

وقولنا وأحكامها الإفرادية والتركيبية هذا يشمل علم التعريف، وعلم الإعراب، وعلم البيان، وعلم البديع، وقولنا معانيها التي تحمل عليها حالة التركيب يشمل ما دلالته عليه بالحقيقة، وما دلالته عليه بالمجاز، وقولنا تتمات هو معرفة النسخ وسبب النزول.

وعرفه الزركشي في البرهان بأنه: "علم يفهم به كتاب الله المنزل على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم وبيان معانيه واستخراج أحكامه وحكمه"[1].

وعرفه بعضهم بأنه: "علم نزول الآيات وشؤونها، وأقاصيصها والأسباب النازلة فيها ثم ترتيب مكيّها ومدنيها، ومحكمها ومتشابهها، وناسخها ومنسوخها، وخاصها وعامها، ومطلقها ومقيدها، ومجملها ومفصلها، وحلالها وحرامها، ووعدها ووعيدها، وأمرها ونهيها، وعبرها وأمثالها"[2].

كما عرفه ابن جزي بقوله: "معنى التفسير هو شرح القرآن وبيان معناه والإفصاح بما يقتضيه بنصه أو إشارته أو نجواه"[3].

ومن خلال التعاريف آنفة الذكر يتبين أنها تتفق إلى أبعد حد على أن التفسير علم يبحث عن مراد الله تعالى بقدر الطاقة البشرية، فهو شامل لكل ما يتوقف عليه فهم المعنى وبيان المراد.

---

[1]– ينظر: بدر الدين الزركشي: البرهان في علوم القرآن، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، ج1، دار المعرفة، ط1، بيروت، لبنان، 1957، ص33.

[2]– أبو حيان الأندلسي، تفسير البحر المحيط، مرجع سابق، ص10.

[3]– أبو قاسم محمد بن أحمد جزي الكلبي: التسهيل لعلوم التنزيل، ج1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1995، ص09.

5.نبذة عن حياة الزمخشري:

هو محمود بن عمر بن محمد بن عمر الخوارزمي الزمخشري، ويكنى بأبي القاسم، كما يشتهر بقلب جار الله، ذلك لما عرف عنه بمجاورته مكة المكرمة، ولد الزمخشري في السابع والعشرين من شهر رجب سنة 467 للهجرة، وتوفي في جرجيانة الإيرانية سنة 538 للهجرة.

كان شغوفا بالعلم محبا له، أفرغ شطرا كبيرا من حياته له، كذلك وأخذ علمه عن كثير من الشيوخ، وكان أشهرهم أبو مضر محمد ابن جرير الضبي، الأصفهاني (ت507هـ) الذي لقب بفريد العصر ووحيد الدهر في اللغة والنحو.

تتلمذ له – أي الزمخشري– عدد من طلاب العلم أشهرهم: أبو الحسن علي بن محمد بن هارون العمراني الخوارزمي (ت560هـ)، الملقب بحجة الأفاضل وفخر المشايخ.

اعتنق المذهب الاعتزالي، وكان متظاهرا به، ومتعصبا له، وقد جاء ذلك في العديد من الكتب وخاصة في وفيات الأعيان، إذ يقول: كان الزمخشري معتزلي الاعتقاد، متظاهرا باعتزاله حتى نقل عنه: أنه إذا قصد صاحبا له واستأذن عليه في الدخول يقول لمن يأخذ له الإذن، قل له: أبو القاسم المعتزلي بالباب"[1].

ذكر الزمخشري في فاتحة كشافه ما دعاه إلى تقييده أي سبب إنجازه لكتابه أي تأليفه لكتاب الكشاف، "حيث بين أن بعض اخوانه في الدين يعني في مذهب الاعتزال، اجتمعوا إليه وسألوه أن يملي عليهم الكشف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل، واستشفعوا له بكل عظيم إلى أن رحل إلى مكة وهو مع كل هذا يستعفي حتى قابل الأمير الشريف أبا الحسن ابن هاوس فصادف منه رغبة كرغبة من سأله الإقدام،

[1]– دلدار غفو حمد أمين: تفسير الكشاف للزمخشري، دراسة لغوية، منشورات دار دجلة، الأدرن، ط1، 2007، ص22.

فلم يملك إلا الإذعان وتلبية أمر الإمام"[1]. وكان ذلك سببا رئيسا في إقدامه على تصنيف كتابه الكشاف.

اشتهر الزمخشري بكشافه حتى عرف به وقيل عنه (صاحب الكشاف)، ولعل السبب في ذلك يعود إلى ما حواه هذا التفسير من علوم شتى كالبلاغة والأدب، والفقه، والقراءات، واللغة والنحو.

ولقد اهتم علماء اللغة بكتاب الكشاف اهتماما كبيرا، ووقفوا معه وقفات متعددة، فوصفوا محاسنه وجوانب نبوغ صاحبه فيه، على الرغم من الاعتزاليات التي احتواها وتجاوزات الزمخشري فيه على بعض الفرق[2].

نال الزمخشري مكانة علمية رفيعة حتى صار عَلَمًا من أعلام اللغة، فضلا عن كونه إمام المفسرين، وما ذلك إلاّ بسبب حبه للعرب والعربية، وهو القائل: الله أحمد أن جعلني من علماء العربية، وجبلني على الغضب للعرب والعصبية.

ألف كثير من الكتب وكان أشهرها الكشاف، وهو ما اعتمدناه كمدونة لبحثنا المتواضع.

من أشهر مؤلفاته إن لم يكن أشهرها جميعا الكشاف كتبه بمكة المكرمة، وكان معجبا به حتى قال فيه:

إن التفاسير في الدنيا بلا عدد وليس فيه لعمري مثل كشافي

إن كنت تبتغي الهدى فألزم قراءته فالجهل كالداء، والكشاف كشافي

---

[1]– الزمخشري، الكشاف، ج1، تحقيق وتعليق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض، مكتبة العيطان، ط1، الرياض، 1998، ص19.

[2]– دلدار غفور حمد أمين، تفسير الكشاف، مرجع سابق، ص23.

الفصل الأول

النواميس الصوتية المحركة للظاهرة اللغوية

1. بداية نشاة ودراسة الصوت اللغوي.
2. آراء في سبب حدوث الصوت.
3. التغيرات الحاصلة في أصوات اللغة العربية.
4. الوظيفة النطقية لأعضاء جهاز الصوت.
5. دور الأصوات في بناء الكلمة.

توطئة:

تعج الحياة بمختلف الأسرار والأفكار، والألغاز وكذا المعجزات التي تتجلى في أبسط صورة لها كخلية مجهرية تبعث الحياة مستمرة لدى كل كائن حي، فإذا كانت تلك حقيقة ماثلة للعيان، فإنه كذلك ما أسند إلى اللغة العربية من إعجاز وفصاحة، وبلاغة، مردّه في الأصل إلى حروف اللغة، التي تعد الخلايا الصوتية الحية.

والقرآن الكريم في أسمى المعاني يصطفي حروف الكلمة وينتقي أصواتها لتكون صافية الذوق، لذيذة في السمع وعلى اللسان تجري طيبة سهلة، خفيفة في الفهم، قوية الإيقاع موحية، شديد البعث حين توجه لمعنى مراد.

ولا أدل على ذلك من الحروف النورانية التي أودعها الله سبحانه وتعالى أوائل بعض سور القرآن، لترتل منفردة، إلاّ بادرة تكريم، وتعظيم للحرف العربي.

ثم إن ظاهرة التخفيف فيما أنجز من كلام في اللغة العربية أو في القرآن الكريم تقوم على أساس بناء الحرف، فكان لابد من إلقاء بعض الأضواء على وجوه إنشاء هذا الصوت والآراء فيه، والتغيرات التي تقع فيه ومن خلاله، داخل نسيج اللغة، وكذا الوظائف اللسانية التي يقوم بها في جهاز النطق لتحقيق ظاهرة التخفيف، ودور ذلك الصوت في تشكيل بنية الكلمة في المنجز اللغوي من خلال تفسير الكشاف وآراء علماء اللغة.

1. بداية نشأة الصوت اللغوي:

حكمة الله تعالى أن تكون ألسنة البشر مختلفة شكلا ولونا، فهي من آياته عز في علاه مما أودع في حياة الناس من نعم وخير لقوله تعالى: {وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالِمِينَ} [الروم: 22].

كما أنه عز وجل اختار واصطفى من عباده الأخيار من يحمل رسالاته السماوية للعباد، فقال في كتابه العزيز: {وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ} [إبراهيم: 04].

ورد في الكشاف للزمخشري أن "الألسنة: اللغات أو الأجناس أو أجناس النطق وأشكاله، خالف عز وجل بين هذه الأشياء حتى لا نكاد نسمع منطقين متفقين في همس واحد، ولا جهارة، ولا حدّة، ولا رخاوة، ولا فصاحة، ولا لكنة ولا نظم، ولا أسلوب ولا غير ذلك من صفات النطق وأحواله"[1].

فاللغة إذن هي كل متكامل في منظومة لسانية مثلها مثل المنظومة البرمجية للحاسوب، فمهما اختلفت فهي تنبني على أساس التكوين، والإنجاز اللغوي من أصغر جزء وهو الصوت الذي يقول فيه ابن جني (ت392هـ): "أما حدها (فأصوات) يعبر بها كل قوم عن أغراضهم، لذلك كان للصوت دور حيوي في حياة الفرد والمجتمع وما له من فضل في عملية التواصل الإنساني، بحيث لا تدرك له قيمة إلاّ بعد التمعن في ذلك الدور الفعال البالغ الأهمية داخل البنية اللغوية"[2]، لذلك ابن جني عرف الصوت من خلال اللغة وليس غير ذلك، فهو في نظره لغة قبل أن تكون اللغة أصواتا.

---

[1]– الزمخشري: الكشاف، ج4، مرجع سابق، ص571.

[2]– ابن جني: الخصائص، ج1، تح: محمد علي النجار، دار الكتب المصرية، القاهرة، دت، ص33.

"ويشكل الصوت المادة الأولى في تشكيل اللغات ويجمع الدارسون على أنه يمثل المستوى الأول من مستويات الدرس اللغوي وله تأثير جلي على المستويات الدراسية الأخرى، وقد تنبه العرب قديما لقيمة الصوت وأهميته في مجال التواصل من توصل للأفكار، وتنبيه للأحوال واستطلاع للهيئات"[1].

"إن الصوت في اللغة العربية يعني الجرس، والجرس هو الأثر السمعي الذي تحدثه بعض الأحداث مثل النقر والضرب على الأجسام أو سقوط جسم وهلم جراً، ومن بين مظاهر الصوت النداء والصياح، ويصدر الصوت من الإنسان وغيره من الحيوان والظواهر الطبيعية كسقوط الأجسام والاصطدام فيما بينها"[2].

والحديث عن الصوت وبداية نشأته (الدراسة الصوتية) هو حديث عن كل ما يتعلق بالصوت اللغوي قديما وحديثا، إذ أنه يندرج ضمن دراسة الصوت ودلالته في إطار ظاهرة التخفيف التي هي جزء لا يتجزأ من مكونات المنجز اللغوي في مستوياته اللسانية.

ومصطلح الصوت يعد بالنظر إلى تتبع مراحل إنشائه وحدوثه أولى الحركات الأساسية للظاهرة اللغوية، فكان لزاما أن يندرج ضمن الدراسات الصوتية بحثا وتنقيبا، أو ضمن علم الأصوات ووظائفها وصياغتها، وذلك لأن كل لغة من لغات العالم سواء كانت من لغات العالم العربي بكل ألسنته، أم العالم الغربي لها صياغتها الصوتية الخاصة بها.

وما نريد أن نسوقه لمعنى الصياغة الصوتية هو تلك المجموعات من الأصوات أو الكتلة الصوتية التي تحدث في أي لغة بشرية حتى تترتب بدقة في كلمات معينة

---

[1]– بوعناني سعاد آمنة: الدرس الصوتي عند علماء القرن الخامس الهجري، رسالة دكتوراه في علوم اللغة العربية، جامعة وهران، 2010–2011، ص10.

[2]– ينظر: ربيعة برباق: علم الأصوات، دليل الطالب الجامعي، دار قانة للنشر والتوزيع، ط1، الجزائر، 2016، ص08.

وفق عمليات صوتية معينة، مع ما يحدث فيها من تغيرات تؤدي إلى التشكيل الصحيح للمنجز اللغوي الذي يقتضي تتبع نشأة الصوت كونه أساس أي بنية لغوية من خلال الدراسات السابقة.

والغوص في عمق التاريخ البحثي يظهر أن أولى الدراسات الصوتية كانت بدأت بإنجازات حققها العرب وغير العرب القدامى والمحدثون.

1.1. نشأة الصوت لدى العرب القدامى:

لقد بدأت الدراسة الصوتية العربية بدافع ما وقع من لحن يهدد اللغة والقرآن الكريم، والذي يعد سببا في الدرس الصوتي، كما أن إتساع رقعة الدولة الإسلامية ودخول اللسان الأعجمي على اللغة زاد من استعداد علماء العرب للاهتمام بالدراسة، فأبو الأسود الدؤلي (ت69هـ) كان أول من قام بتوضيح نشأة الصوت من خلال نقط المصحف الشريف، إذ قال لكاتبه: "إذا رأيتني فتحت فمي فأنقط نقطة فوقه، وإن ضممت فمي فأنقط بين يدي الحرف، وإن كسرت فأجعل النقطة من تحت"[1].

والملاحظ في هذا القول يرى على أنه بسيط، غير أنه كان أولى الخطوات التي حملت بداية نشوء "المصطلح الصوتي واستقراره، وأن أصل المصطلح الصوتي مادي أكثر منه عقلي أو تجريدي، مما لا يدع مجالا للشك في جهود العرب القدامى في صنع وبناء الدراسة الصوتية تمهيدا لإنشاء الصوت اللغوي"[2]، تمهيدا لطلب الخفة ولو لم يعمد لها الدرس العربي آنئذ بالقصد.

ويأتي بعد أبي الأسود الدؤلي نصر بن عاصم (ت98هـ) ويرتب الحروف العربية وينقطها، وبذلك يكون قد قدم عملا جليلا للمسلمين جنبهم الوقوع في اللبس

[1]– جلال الدين السيوطي: الإتقان في علوم القرآن، ج1، دار المعرفة، بيروت، دت، ص93.

[2]– ينظر: بوعناني سعاد آمنة: الدرس الصوتي عند علماء القرن الخامس الهجري، مرجع سابق، ص14.

أثناء القراءة واستنطاق الحروف، "وتتجلى أهمية عمله في الجمع بين الصوت وصورة الحرف"[1].

لقد بسط علماء اللغة العربية القدامى بحوثا عظيمة وجليلة القدر في عصورهم والهدف منها خدمة اللغة العربية والنطق بها سليمة وبدقة، الأمر الذي آثار إعجاب الأجنبي قبل العربي وزاد في دهشته لما وصل إليه علماء اللغة وأساطين البلاغة والدلالة وغيرها من العلوم اللغوية، وكان لهم السبق بين الأمم الأخرى ذلك ما يذكره المستشرق الألماني براجستراسر في كتابه التطور النحوي للغة العربية، فيقول: "لم يسبق الغربيين في هذا العلم (نعني علم الصوت) إلا قومان من أقوام الشرق هما أهل الهند ويعني البراهمة والعرب، وأول من وضع هذا العلم من العرب هو الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت177هـ)، والمرحلة التي تلت عاصم كانت على يد الخليل الذي أرسى دعائم أوزان الشعر وبحوره القائم على دراسة الأصوات وتغيراتها زيادة أو نقصا في تفعيلاتها، وإعطاء التسميات للزحافات والعلل، ثم أن اهتمامه كان كبيرا في تصنيف معجم العين الذي حاول فيه استعمال ما ورد من كلام العرب، ليتم ترتيب حروف معجمه على أساس صوتي، وإن حرف العين لدليل على تفرده بهذا العمل الجليل، وما ذلك إلا طلبا لما يسهل على العربي قراءة وكتابة في الصور التي جاء بها في كتابه للأصوات"[2].

إن جميع ما يقال من كلام وما ذكر في المصادر والكتب في قضية الأسباب الكامنة خلف نشأة علوم اللغة العربية في أصواتها وصرفها، ونحوها، وبلاغتها يوضع بشيوع اللحن على الألسنة، "ويغفل مسألة جوهرية حاسمة وهي نزول القرآن الكريم باللسان العربي، وقد وجه الدراسات اللغوية وجهة خاصة تتمثل في جعل البحث اللغوي

---

[1]– ينظر: بوعناني سعاد آمنة، الدرس الصوتي، مرجع سابق، ص14.

[2]– براجستراسر: التطور النحوي للغة العربية، تر: رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي، ط2، القاهرة، 1994، ص11.

بمستوياته كافة بحثا موازيا للرسالة الدينية بحثا في الأشكال والأوضاع، مما جعل هذا ابحث اللغوي شبيها بأبحاث المفسرين"[1].

إن لغة القرآن الكريم لغة إعجاز كانت قد أحدثت نظام تعبير خاص به، ونظما داخليا خاص به، ولما كانت كذلك كانت الحافز للانتباه من قبل العلماء واللغويين، رغم أن الانطلاقة في الدراسات الصوتية كانت ضعيفة شيئا ما، فقد أخذت أنفاسها وتقدمت بقوة في القرنين الثالث والرابع الهجريين، وتوسعت آفاقها لتشمل بعض العلوم الأخرى، زيادة على البحث الصوتي، ولما اتسع المجال في البحث وخاصة في القرآن الكريم، وتزاوجت الأفكار بين العرب والعجم وانتشر الجدل والفكر والنقاش والنقد، ومرد ذلك طبعا لاختلاط الثقافات والمعارف مما أسهم في نشاط العقل العربي دفعا لخوض غمار البحث في إطاره العلمي، ومنها الدراسات الصوتية بعناية ودقة، "بالإضافة إلى اشتغال اللغويين بالأصوات وأجناسها، فقد زاد على هذا اشتغال أصحاب الأداء القرآني بالتجويد"[2].

"وعلى الرغم من أن الدراسات الصوتية التي اكتملت أسسها وموضوعاتها على يد الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت277هـ) بعد تلميذه سيبويه (ت180هـ) مُروراً بابن جني (ت392هـ) وانتهاءً بالرضي الاستربادي (ت684هـ)، هذه الدراسات التي لم تقو أوروبا على الإتيان بمثلها إلا بعد عشر قرون من الزمان ويزيد... فإن هذه الدراسات الصوتية المرموقة كانت قد بدأت في صدر الإسلام ويفضل القرآن الكريم وبأمر من الله تعالى: {يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ قُمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا نِّصْفَهُ أَوِ انقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا} [المزمل: 01-04]، وما الترتيل إلا تجويد الحروف ومعرفة

[1]- هادي نهر: النحو القرآني الدلالي، عالم الكتب الحديثة للنشر والتوزيع، ط1، أربد، الأردن، 2018، ص20.

[2]- مازن الوعر: الصوتيات العربية الرعاية، مجلة المعرفة، سنة 20، العدد 240، دمشق، فبراير 1982، ص25.

الوقوف، وكان المعلم الأول النبي صلى الله عليه وسلم، وعنه أخذ الصحابة الأجلاء، فتعلموا كيفية آدائه"[1].

وفي هذا الميدان أي علم التجويد القائم على مخارج الحروف وصفاتها، وهيئاتها وكيفية أدائها يذكر السيوطي قول الفراء: "التجويد حلية القرآن وهو إعطاء الحروف حقوقها، وترتيبها، ورد الحرف إلى مخرجه، وأصله، وتلطيف النطق به على كمال هيئته، من غير إسراف، ولا تعسف ولا إفراط ولا تكلّف، وإلى ذلك أشار بقوله: من أحب أن يقرأن القرآن غضا كما أنزل فليقرأه على قراءة ابن أم عبد يعني ابن مسعود"[2].

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمر أصحابه بما جاء به القرآن، وأن ابن مسعود رضي الله عنه "قد أعطي حظا عظيما في تجويد القرآن، ولاشك أن الأمة كما هم متعبدون بفهم معاني القرآن وإقامة حدوده، هم متعبدون بتصحيح ألفاظه، وإقامة حروفه على الصفة المتلقاة من أئمة القراء المتصلة بالحضرة النبوية"[3].

"وقاعدة هذا التوجيد أو قواعده قائمة على كيفيات صوتية محددة منها الوقف، والابتداء، وكيفياته على أواخر الكلم سكونا أو رووا أو إشماما أو إبدالا، أو نقلا، أو إدغاما، أو حذفا، أو إثباتا"[4].

والملاحظ أن الدراسات القرآنية يعني علم التجويد خاصة تكاد تقارب الدراسات الصوتية نتيجة الممارسة الفعلية للنطق بحروف القرآن نطقا سليما بالصفات المدروسة على أساس الخفة واليسر والسهولة في الغنة والنغم فيما ينطق قراءة وترتيلا، كما أن

---

[1]– مازن الوعر، الصوتيات العربية، مرجع سابق، ص25.

[2]– جلال الدين السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، مرجع سابق، ص139.

[3]– نفسه، ص139.

[4]– هادي نهر، النحو القرآني الدلالي، مرجع سابق، ص10.

علم التجويد يرتبط بالوقف والوصل والمد والقصر والهمز والتخفيف، وهذا الأخير متعلق بالإدغام الذي سنأتي على دراسته لاحقا.

وحينما نطلع على الآثار الصوتية التي تركها العرب القدامى نكتشف أن رموزها ومصطلحاتها، ومواد بحثها ومنهجيتها شبيهة بما ألفه المحدثون في عصرنا هذا، وعليه فالعمل بالجهد لمعرفة جوهر وبدايات نشأة الصوت اللغوي العربي خاصة رغم ما قام به المشتغلون باللسانيات، والصوتيات الحديثة من إغفال للجهود العربية في هذا الميدان، ولعلهم أشاروا لها ومرّوا عليها مرور الكرام، بل منهم من أنكر ما للعرب في بعض البحوث.

غير أن ما أتى به العرب القدامى في نشأة الصوت وحصريا سيبويه وابن جني على رأس أولئك العلماء من دراسات تكاد تضاهي إلى حد ما الدراسات الحديثة في مناهجها، وعلومها، ودقتها، وحتى مصطلحاتها، وقد يكون هناك اختلاف بين علماء اللغة في مجال الأصوات مع أصحاب القراءات القرآنية، فيما كان كتاب العين والكتاب لسيبويه، وسر صناعة الإعراب لابن جني شاهدة على اهتمام أصحابها بنشأة الصوت اللغوي وإنجاز اللفظ مما دفع "الناس على تعلم هذه العلوم من أجل معرفة تأدية تلاوة القرآن الكريم أداءً صحيحا وإعطاء الحرف حقه صفة ومخرجا، وسموا هذا الضرب من البحث علم التجويد"[1].

2.1. نشأة الصوت عند الغربيين القدامى:

المتفق عليه مبثوث بين دفات الكتب والمصنفات أن الإغريق تنبهوا لدراسة صياغة الصوت، فأولوا اهتماما خاصا لكيفية صوغ الصوت ونشأته، وتكوينه ومسايرة حدوثه حتى يتم المكون اللغوي، فقد ميزوا بين أمرين في دراستهم "من جهة أولو الوحدات التي تطابق صدور أصوات، أطلقوا عليها فونيس (Phoneis)، ومن جهة

[1]– مازن الوعر، الصوتيات العربية، مرجع سابق، ص25.

أخرى الوحدات التي أطلقوا عليها سمفونا (Sumphona) لأنها تسمع مع الأولى، وترجمت الفونس في اللغة اللاتينية بكلمة (Voelis) مصوت، وسمفونا بكلمة (Consonna) صوامت التي احتفظت بالمعنى الأصلي للكلمة في اللغة اللاتينية"[1].

"والحق أن من الممكن اعتبار بداية القرن الخامس قبل الميلاد بدءاً لتاريخ الأعمال الفونولوجية التي قام بها الفلاسفة السابقون على سقراط، ثم سقراط وأرسطو، وأفلاطون الذين تابع أعمالهم الرومان خصوصا "فارون" (Varon) و"بريسيان" (Pressien)، مما تجدر الإشارة خصوصا أن الإغريق كانوا منذ بداية القرن الخامس قبل الميلاد يستخدمون المنظومة الفينيقية في كتابة لغتهم، وكانت هذه المنظومة تقوم جوهريا على مجموعة الإشارات الصوامتية، حيث يتوجب على القارئ إضافة الحركات أو المصوتات انطلاقا من معنى الجملة"[2].

أن تعيين الأصوات وهيئاتها لدى الإغريق يعتمد على فهم الجمل والمعنى هو الذي يحدد الصوت وإدراكه، وقد توصل الصينيون كذلك قبلهم إلى أن "الرمز الفكري كتلة صوتية تتطلب الوصف الدقيق واهتدوا إلى إمكانية تحليل هذه الكتلة على غرار تحليل المقاطع التي تكوّن الكلمات"[3].

فعلماء الإغريق رغم من سبقهم من كثير من الأمم الأخرى كالمصريين القدامى والصينين والهنود، يعدون أول من أتى على بدايات نشأة الصوت اللغوي القائم على الإشارات الصامتة، والصوائت، وقد صاغوا الأصوات وميزوا بينها، غير أنها تبقى بدايات عرفت فيما بعد، كما تعد هذه الإنجازات بدايات لبعث البحث الصوتي قبل إرساء الدعائم الأساسية لنشأة الصوت ودراسته علميا مع ما كان ينجز في جميع

---

[1]– مازن الوعر، الصوتيات العربية، مرجع سابق، ص173.

[2]– نفسه، ص173.

[3]– أحمد مومن: مبادئ في اللسانيات، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2007، ص06.

الميادين خاصة الفلسفة "وإن الحضارة التي تعرف اليوم كانت بدأت على أيدي الإغريق كانوا رواداً في الفكر الفلسفي واللغوي"[1].

فإذا كان هؤلاء قدموا إنجازات في دراستهم للصوت، فإن الاعتبار يعود كذلك للدراسات الصوتية على أساس الحفاظ على الكتاب المقدس (الفيدا) عند الهنود، وتستمر الدراسات حتى نهاية القرن الثامن عشر وبداية القرن التاسع عشر، ولكن بوتيرة لا تعدو أن تكون متباطئة قليلا، ليتم بعدها الانطلاق من جديد، حيث تضع الدراسات العربية الحديثة والغربية قواعدها الأساسية وتتبعث بحثا بدقة ومنهج علمي جديدين.

3.1. إنشاء الصوت عند علماء العرب المحدثين:

لقد اتسمت دائرة البحث والدراسة لدى علماء اللغة المحدثين وشملت دراسة إنشاء الصوت بما يدرك سرها أو ما لا يدرك بحاسة السمع، "وأهم ما تبدأ به الدراسات اللغوية الحديثة بعد الإلمام بمجالها أن تدرس المستوى الصوتي للغة، فهذا المستوى الصوتي هو الأساس الذي يقوم عليه بناء مفرداتها وصيغها وتراكيبها، شعراً ونثراً، لذلك كان لابد لدراسة اللغة من دراسة أصواتها"[2].

وهذا الموضوع يجمع بين دراسة الصوت أو علم الأصوات التطبيقي وعلم وظائف الأصوات، فينبغي "تتبع عناصر النطق اللغوي ابتداء من الصوت المجرد الذي يقوم به علم الأصوات، ثم الصوت وخصائصه السياقية وما ينشأ عن مجاورته لغيره من تأثير يُغير من صفاته، وإن لم يغير من دلالته فتكون مجموعة أشكال الصوت الواحد على اختلاف السياقات، واللهجات وما يعرف بالفونيم (Phoneme) أو

---

[1]– أحمد مومن، مبادئ في علم اللسانيات، مرجع سابق، ص15.

[2]– عبد الصبور شاهين: في علم اللغة العام، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، ط6، بيروت، 1993، ص105.

الوحدة الصوتية، وما ينشأ عن اتصال الصوامت (أو السواكن) بالحركات من نظام مقطعي، كل ذلك داخل في نطاق علم الأصوات التشكيلي (Phonologie)"[1].

"والصوت ظاهرة طبيعية تدرك أثرها دون أن تدرك كنهها، فقد أثبت علماء الصوت بتجارب لا يتطرق إليها الشك أن كل صوت مسموع يستلزم وجود جسم يهتز على أن تلك الهزات لا تدرك بالعين في بعض الحالات، كما أثبتوا أن هزات مصدر الصوت تنتقل في وسط غازي أو سائل أو صلب حتى تصل الأذن الإنسانية"[2]. وذلك ما يؤدي إلى معرفة كيف ينشأ الصوت وكيف يتأدى إلى السمع.

يقول ابن فارس: "الصوت (الصاد والواو والتاء) أصل صحيح وهو الصوت، وهو جنس لكل ما وقر في أذن السامع، يقال هذا صوت زيد، ورجل صيّت إذا كان شديد الصوت وصائت إذا صاح"[3].

ويقول إبراهيم أنيس فيما يخص نوع الصوت: "فهو تلك الخاصة التي تميز صوت من صوت، وإن إتحدا في الدرجة والشدة، وهنا نستطيع أن نميز صوت الكمنجة من العود على الرغم من احتمال إتحادهما في الدرجة والشدة، وتلك هي الصفة التي تميز صوتا إنسانيا من صوت آخر"[4]. ليتميز الصوت بمقياس السماع مهما كانت طبيعته ومهما كان مصدره.

والصوت عبارة عن نتيجة ذبذبات تحدث إثر اعتراض الهواء بعارض في جهاز النطق، فهو "لكل الأصوات تنشأ من ذبذبات مصدرها في الغالب الحنجرة لدى الإنسان، فعند اندفاع النفس من الرئتين يمر بالحنجرة فيحدث تلك الاهتزازات التي بعد

---

[1]– عبد الصبور شاهين: المنهج الصوتي للبنية العربية، رؤية جديد في الصرف العربي، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 1980، ص23، 24.

[2]– إبراهيم أنيس: الأصوات اللغوية، مكتبة الأنجلو المصرية، ط5، القاهرة، 1975، ص06.

[3]– ابن فارس: معجم مقاييس اللغة، ج3، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 1979، ص318، 319.

[4]– إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، مرجع سابق، ص07.

صدورها من الفم أو الأنف تنتقل خلال الهواء الخارجي على شكل موجات حتى تصل الأذن، ولكن الصوت الإنساني معقد إذ يتركب من أنواع مختلفة في الشدة ومن درجات صوتية متباينة، كما أن لكل إنسان صفة صوتية خاصة تميز صوته من صوت غيره من الناس"[1].

وبذلك يكون صوت الإنسان في حالات مختلفة بين شدة وعلوّ في الدرجة، وكذا انخفاظها، ومثال ذلك حينما يخاطب الإنسان غيره، أو يتحدث في مسألة وحسب البعد أو القرب للمسافة الفاصلة بينه وبين السامع، فيرتفع الصوت أو ينخفض، ومنه تتغير ميزة الصوت، ويعرف صاحبه من غيره من الناس، "ومصدر الصوت الإنساني في معظم الأحيان هو الحنجرة أو بعبارة أدق الوتران الصوتيان، فاهتزازات هذين الوترين هي التي تنطلق من الفم أو الأنف ثم تنتقل خلال الهواء الخارجي"[2].

وحتى حين تشكل هذه الأصوات فهي في أولها تسمى صوامت، بمعنى أنها تتعلق بمخرج واحد حيث يعترض الهواء الصادر من الحنجرة أثناء أداء الصوت المراد النطق به من مثل: صاد، أو واو، أو تاء، ويشكل هذا النوع من الأصوات معظم أصوات العربية، فيما الحركات القصيرة أو الطويلة فهي اللاحقة لصورة الصوت نطقا وكتابة، والصوامت كثيرة حسب كل لغة، وفي اللغة العربية تسعا وعشرون، والصوائت ستة لا غير، "ولا تتوقف درجة صوت المرء على سنه وجنسه، فالأطفال والنساء أحد أصواتا من الرجال، وذلك لأن الوترين الصوتين في الأطفال والنساء أقصر وأقل ضخامة، ويؤدي هذا في سرعتها وعدد تذبذباتها في الثانية، والطفل حين يصل إلى البلوغ يتضخم وتراه الصوتيان فجأة كما يطولان"[3]، ينتج عن ذلك تغير في درجة الصوت من الحدة إلى العمق، ومن الرقة إلى الخشونة.

---

[1]- إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، مرجع سابق، ص08.

[2]- نفسه، ص08.

[3]- نفسه، ص08.

4.1. نشأة الصوت عند علماء الغرب المحدثين:

الدرس الصوتي لا يعتبر جديدا في نشأته، غير أنه مستقل باعتباره درسا حديثا للغة عموما في العصر الحديث، لذلك يمكن القول: "بأن علم الأصوات بمفهومه العلمي الحديث أي باعتباره فرعا من اللسانيات قد ظهر بين عداد البحوث العلمية الدقيقة في أواخر القرن التاسع عشر عندما ظهر مصطلحا الفونيتيك والفونولوجيا، وتحدد مفهومهما في ذهن علماء الأصوات باختلاف مدارسهم اللسانية"[1].

وقد ظهرت بحوث سابقة مهدت لعلم الأصوات قام بها الكثير من اللغويين مثل "مانويل فارسيا" و"إيدوارد سيفرس" و"بول باسي" الفرنسي (Paul Passy) الذي اجتهد في البحث في التطورات الصوتية وعواملها.

وأما الاهتمام بالدراسة الصوتية فقد اتضحت ابتداءً من "دي سوسير" في محاضراته عام 1897 بعنوان: نظرية المقطع، "تعالج موضوع النظام الصوتي، وقد ركز في دراسته على أهمية السمع في تمييز الوحدات الصوتية في اللغة وتحديد مخارجها وصفاتها، مفصلا في آلية النطق وعناصرها الأساسية من هواء الزفير، وتذبذب الحنجرة ورنين الأنف والفم وأصناف الأصوات حسب موضع نطقها وكيفيته"[2].

وتتابعت البحوث والدراسات في العصر الحديث في ميدان علم الأصوات ليظهر من خلالها مصطلحي الفونيتيك والفونولوجيا، حيث لا تخرج الدراسة الصوتية عن مجالهما.

لتشتغل مدرسة براغ على يد علمائها بعلم الأصوات قبل أن تفرقهم الحرب العالمية الثانية، "والتي اتخذت من تصور بودوان دي كورتناي للفونيم نظرية كاملة

---

[1]– ينظر: ربيعة برباق، علم الأصوات، مرجع سابق، ص75.

[2]– نفسه، ص76، 77.

للتحليل الفونولوجي، وهو العمل الذي اضطلع به عالمان من أكبر علماء هذه المدرسة هما نيكولاي تروبتسكوي وورومان جاكبسون"[1].

"يعد تروبتسكوي المؤسس الأول لعلم الأصوات الوظيفي، ويرى أن الفونيم هو أصغر وحدة فونولوجية في اللسان المدروس، وانتهى إلى جملة من القواعد تتعلق بهذا المفهوم منها، إذا كان هناك صوتين من اللسان نفسه والإطار نفسه ويمكن لأحدهما أن يحل محل الآخر فهما صوتان اختياريان لفونيم واحد، وإذا كان الصوتان من اللسان نفسه والإطار نفسه ولا يمكن لأحدهما أن يحل محل الآخر فهما صورتان واقعتان لفونيمين مختلفين مثل: حال جال، فالحاء والجيم فونيمان مستقلان ليس لهما معنى في ذاتهما وهما قادران على تغير الدلالة، وإذا كان الصوتان من اللسان نفسه متقاربين من الناحية السمعية أو النطقية ولا يظهر في الإطار نفسه، فهما تركيبان لفونيم واحد مثل: صوت النون في العربية التي تتعد صورها بتعدد الأصوات الموالية لها"[2].

وبذلك يكون تروبتسكوي قد يمز بين الأصوات، ويعني الفونيمات التي تميز الكلمات عن بعضها وتباينها في الشكل والأنماط الصوتية المستقلة التي تفرق بين أي حدث كلامي من غيره.

وقد فصل المحدثون في كثير من قضايا الصوت عموما، وخصصوا لذلك فرعا سموه علم الأصوات الفيزيائي، وأخضعوا الصوت للتجريب، فقاسوه وسجلوه وميزوا بين أنواعه، ودرجاته، وترداته، ووصفوا كيفية حدوثه، وانتقاله، واستقباله واسترجاعه، فوصلوا في هذا المجال إلى قمة التطور"[3].

---

[1]– حلمي خليل: العربية وعلم اللغة البنيوي، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1995، ص104.

[2]– أحمد حساني: مباحث في اللسانيات (مبحث صوتي، مبحث دلالي، مبحث تركيبي)، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1994، ص91، 92.

[3]– ربيعة برباق، علم الأصوات، مرجع سابق، ص77.

لينتهي المطاف في الدراسات الصوتية الغربية إلى تقسيمها (علم الأصوات) إلى قسمين هما: الفونيتيك والفونولوجيا، "ولكن أصوات اللغة لها جانبان، جانب مادي، وآخر وظيفي، ومن هنا جاء تفريع ثان لهذا العلم، يتمثل فيما سموه (علم الأصوات) مع التسامح في التسمية وعربناه نحن إلى (الفوناتيك)، وفيما أطلقوا عليه علم وظائف الأصوات (Phonologie) وعربناه إلى (الفونولوجيا)، الأول يكتفي بدراسة المادة الصوتية من حيث كونها مادة منطوقة، والثاني يبين وظائف هذه الأصوات وقيمها في اللغة المعينة منتهيا بوضع قواعد ونظم تحدد نوعيات هذه الأصوات، وصنوفها من حيث أدوارها في البناء اللغوي"[1].

والفونيتيك عند دي سوسير "فيقوم على أساس التعارض النفسي لتلك الانطباعات السمعية، وهو جزء أساسي من علم اللغة، وأما الفونولوجيا فهو علم مساعد يختص بالكلام فقط، ويهتم بوصف طريقة ومراحل إنتاج الأصوات اللغوية"[2].

أما مدرسة براغ اللغوية "فتستعمل مصطلح فونولوجي (Phonologie) في عكس ما استعمله فيه دي سوسير، إذ تريد به ذلك الفرع من علم اللغة الذي يعالج الظواهر الصوتية من ناحية وظيفتها اللغوية، ولذلك نجد تروبتسكوي يعتبر الفونولوجيا فرعا من علم اللغة، أما الفونيتيك (Phonotics) فقد أخرجه تروبتسكوي وجاكبسون من علم اللغة، واعتبراه علما خالصا من علوم الطبيعة"[3].

وبذلك يكون كل من تروبتسكوي (N.Trubetskey) وجاكبسون (R.Jakobson) قد خالفا دي سوسير مع غيرهما من مدرسة براغ في طرحه لمفهوم الفونيتيك والفونولوجيا.

---

[1]– كمال بشر: علم الأصوات، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 2000، ص09.

[2]– ينظر: ربيعة برباق، علم الأصوات، مرجع سابق، ص36.

[3]– أحمد مختار عمر: دراسة الصوت اللغوي، عالم الكتب، القاهرة، 1997، ص66.

"في حين ذهب أندري مارتينيه (André Martinet) في التمييز بين الفونيتيك والفونولجيا إلى اعتماد معيار العموم والخصوص، لكون الأول يدرس الأصوات بصفة عامة من دون اهتمام لإنتمائها إلى لسان معين، بمعنى أن الفونيتيك يدرس الأصوات اللغوية باعتبارها ظاهرة لغوية عامة، والفونولوجيا تختص بلغة معينة يصف أصواتها اللغوية وما تؤديها منها من وظائف خاصة"[1].

ومما سبق يتضح أن اللغويين واللسانيين في العصر الحديث يهتمون، بل يعتمدون المصطلح الأول الفونيتيك لدراسة الأصوات اللغوية بصفة عامة في لسان معين وفق قوانين معينة كأحداث فيزيائية موضوعية، والاعتماد على حدوثها وقوانينها وأسبابها، وكذلك دلالاتها تعمل على إحداث الصوت.

[1]– ينظر: ربيعة برباق، علم الأصوات، مرجع سابق، ص37.

2. آراء في سبب حدوث الصوت اللغوي:

لقد عرف الصوت العربي تطورا كبيرا ولازما منذ القرن الرابع الهجري، حيث كانت الدراسة على أوسع نطاقها ابتداءً من ماهية الصوت، وكيفية حدوثه، وانتقاله عبر الوسائط الناقلة له، إلى غاية وصوله عملية السمع.

غير أن الدراسات الصوتية كانت مفصلة على المستوى النطقي من مختلف الجوانب، ولذلك تم تناولها من قبل الفلاسفة واللغويين، والبلاغيين، والموسيقيين، ولاسيما علماء التجويد.

والذي كان أكثر تفصيلا وفصلا في القول فيه من الفلاسفة "ابن سينا" بطرحه قضية أسباب حدوث الحروف بدقة بالغة، يكاد بذلك يقرب أو يساوي ما جاء به علماء اللغة المحدثون، بما امتلكوا من آليات وآلات في أعمالهم ودراساتهم للظاهرة الصوتية.

يقول ابن سينا (ت427هـ): "تقديري أن السبب القريب للصوت تموّج الهواء دفعة بسرعة وقوة من أي سبب كان، واشتراط أمر القرع فيه ممكن ألا يكون سبباً كليا للصوت بل سببا أكثريا"[1].

يعني ذلك أنه "عند اصطدام الأجسام بعضها ببعض أو انفصالها تهتز جزيئات الهواء التي تحيط بهما من كل جانب، فتنتقل الاهتزازات في جميع الاتجاهات على شكل موجات صوتية دائرية في الهواء بسرعة 340م/ثا، وفي بعض الأوساط المادية الأخرى كالماء، والأجسام الصلبة بسرعة أقل حتى تصل إلى حاسة السمع (الأذن)، حيث يتم التقاطها، وتحليلها ثم تفسيرها أو إدراكها"[2].

والتجارب العظيمة التي قام بها علماء الأصوات أدت إلى نتيجة دقيقة لا يمكن أن يساور الشك أطرافها، ذلك "أن كل صوت مسموع يستلزم وجود جسم يهتز على أن

---

[1]– ابن سينا: رسالة أسباب حدوث الحروف، تح: محمد حامد الطيان، يحي منير علم، تقديم ومراجعة: شاكر الفحام، أحمد راتب النفاخ، مجمع اللغة العربية، دمشق، 1983، ص103.

[2]– ربيعة برباق: علم الأصوات، مرجع سابق، ص15.

تلك الهزات قد لا تدرك بالعين في بعض الحالات، كما أثبتوا أن هزات مصدر الصوت تنتقل في وسط غازي أو سائل او صلب حتى تصل إلى الأذن الإنسانية"[1].

ومصدر الصوت عادة –وفي الطبيعة عموما– يكون قد نشأ على اهتزاز جسم أو ذبذبة صادرة عنه، رغم ما يكون من اختلاف بين الاهتزاز والتذبذب إلا أنهما يُحدثان أمواجاً معينة، وحيث أن الصوت هو التموج الذي يحدث من اهتزاز أو تذبذب جسم ما، كأن نسقط جسماً صلباً أو حجراً في بركة ماء فتقع الهزات ولكنها لا ترى أحيانا، وقد انتبه أخوان الصفاء إلى ظاهرة التموج قبل ابن سينا (ت427هـ) عن طريق حركة الأجسام الصوتية، وكيفية تأثير الهواء بحركة هذه الأجسام، وهو لشدة لطافته وخفة جوهره وسرعة أجزائه يتخلل الأجسام كلها، وعندما يتصادم جسمان يسيل الهواء من بينهما تدافع وتموج إلى جميع الجهات، يحدث من حركته شكل كروي واسع مثل القارورة، أو عندما تلقي حجرا في ماء ساكن فيتزاحم الماء حتى يبلغ أطراف الغدير"[2].

ويرى ابن سينا: "أن مع كل قرع أو قلع حركة للهواء أو ما يجرى مجراه إما قليلا قليلاً أو برفق فإما دفعة على سبيل تموج أو انجذاب بقوة"[3].

ولا يختلف ابن سينا (ت427هـ) عن أخوان الصفاء، حيث يذهب إلى ما أشاروا إليه في أن الصوت يحدث بسبب التموج للهواء إثر تصادم الأجسام، فيقول: "وأظن أن الصوت سببه القريب تموج الهواء دفعة وبسرعة وقوة من أي سبب كان"[4].

ولعل ابن سينا يعمل بمبدأ فلسفة العلة والسببية في حدوث الأشياء في الطبيعة كما هو الحال في حدوث الصوت، ومنه يعتبر الصوت حركة حادثة عن فعل أو قوة

---

[1]– إبراهيم أنيس: الأصوات اللغوية، مرجع سابق، ص06.

[2]– ينظر: بوعناني سعاد آمنة: الدرس الصوتي عند علماء القرن الخامس الهجري، مرجع سابق، ص41.

[3]– ابن سينا: كتاب النفس، مراجعة: إبراهيم مذكور، تح: جورج قنوايت وسعيد زايد، الهيئة المصرية العامة، القاهرة، 1975، ص70.

[4]– ابن سينا: رسالة أسباب حدوث الحروف، مرجع سابق، ص56.

لها سبب، ويشترط في ذلك التموج "من أمر القرع عساه ألا يكون سببا كليا للصوت بل سبب أكثريا والدليل على أن القرع ليس سببا كليات للصوت، أن الصوت قد يحدث من مقابل القرع وهو القلع"[1].

فالصوت يحدث في الهواء على شكل موجات دائرية تقتضي قدرة الإدراك السمعي لدى الإنسان بمعدلات التردد الدنيا وكذا القصوى، ذلك أن الاهتزازات تقع كظاهرة فيزيائية في الطبيعة ليست كلها قابلة لأن يدركها أو يتقبلها جهاز السمع لدى الإنسان العادي، لأن ما يراه ابن سينا في إنشاء الصوت أو حدوثه هو عملية قرع جسم بجسم آخر أو فصل جسم عن آخر.

ويشترط في الجسم الصلابة والملامسة وقوة القرع مع وجود الوسط الناقل، إذ يقرر أن يكون الصوت واضحا كما تقرع صخرة أو خشبة فيحدث كصوت أو بقلع شقي مشقوق عن آخر طولا، فيحدث كذلك صوت جراء الاهتزاز المنقول عبر الهواء ليصل كموجة للأذن.

ويكون الصوت خفيفا أو ضعيفا ذلك يقع في بعض الأجسام الخفيفة مثل الورقة الواحدة من ورقة الشجر، فهي تحدث صوتا حين تتحرك بسبب الهواء والاهتزاز الواقع فيه، غير أن هذا الصوت لا يعدو أن يكون ضعيفا ولا يكتفي من درجة العلو، وعدم مناسبة تردده لكي تدركه الأذن.

إن ما قرره إخوان الصفاء من استلزام لتصادم الأجسام بشدة وسرعة وعلى النقيض من ذلك نفي حدوث الصوت عند تصادم الأجسام برفق ولين مع التبرير باستلال الهواء قليلا قليلاً دون أن يترك أثرا لما ينبعث بالصوت، "وهذا ما تخالفه

[1]– ابن سينا: رسالة أسباب حدوث الحروف، مرجع سابق، ص56، 57.

الدراسة الأكوستيكية الحديثة التي أكدت حدوث مثل تلك الأصوات إلا أنها أصوات واقعة خارج حدود الإدراك لدى الجهاز السمعي للإنسان"[1].

يقول ابن سينا: في كلا الأمرين (أي القرع والقلع المذكورين آنفا) شيء واحد وهو تموج سريع وعنيف بالهواء، أما في القرع فلاضطرار القارع الهواء إلى أن ينضغط وينفلت من المسافة التي يسلكها القارع إلى جنبتيها بعنف وقوة وشدة وسرعة، وأما القلع فلاضطرار القالع الهواء إلى أن يندفع الهواء إلى المكان الذي أخلاه المقلوع منهما دفعة بعنف وشدة، وفي الأمرين جميعا يستلزم التباعد من الهواء أن ينقاد للشكل والموج الواقع هناك، وإن كان القرعي أشد انبساطا من القلعي ثم ذلك الموج يتأدى إلى الهواء الراكد في الصماخ فيموجه، فتحس به العصبة المفروشة في سطحه"[2].

وجاء في تفسير الفارابي (ت339هـ) الذي يقول فيه: "أما كيف يتأدى إلى السمع، فإن الهواء الذي ينبو من المقروع وهو الذي يحمل الصوت فيحرك مثل حركته الجزء الذي يليه، فينقل الصوت الذي كان قبله الأول، ويحرك الثاني ثالثا يليه، فينقل ما قبله الثاني والثالث رابعاً يليه، فلا يزال هذا التداول من واحد إلى واحد حتى يكون آخر ما يتأدى إليه من أجزاء في الهواء الموجود في الصماخين، وهواء الصماخ ملاق للعضو الذي فيه القوة التي بها يسمع ويتأدى ذلك إلى القوة السامعة فيسمعه الإنسان"[3].

إن الصوت في هذا التحليل هو عارض من الحركة الموصوفة، كما جاءت عند انتهاء التموج الهوائي لتنتهي إلى السمع، "والدليل على هذا أن الصوت يحصل من مقابل القرع وذلك قلع لأن القرع هو قرب جرم من جرم مقاوم له قربا تابعا له تاليا،

---

[1]- حورية زلاقي: جهود العرب الصوتية ما بين القرنين الرابع والسابع الهجريين، مجلة الممارسات اللغوية، مجلد06، عدد03، 2015، ص106.

[2]- ابن سينا: رسالة أسباب حدوث الحروف، مرجع سابق، ص57-58.

[3]- نقلا عن: ربيعة برباق، علم الأصوات، مرجع سابق، ص16.

مماسة عنيفة بسرعة حركة التقريب وقوته، ومقابل هذا يعد جرم عن جرم مماس له منطق أحدهما على الآخر بعداً يتفرق من مماسته تفرقا بقوة وسرعة وحركة في التبعيد، وها هنا يظهر صوت من غير أن يكون قرع، وأما تموج الهواء فلازم في كليهما بسرعة وقوة"[1].

الملاحظ أن ابن سينا رأيه مستقر على وجود الآليات الضرورية لحدوث الصوت، وهي تموج الهواء إثر التصادم مع السرعة والقوة.

يذكر التهانوي (ت1191هـ) تقريبا خاصتي القرع والقلع وسبب التموج، حيث يقول: "وسبب التموج قلع عنيف أي تفريق شديد أو قرع عنيف أي إمساس شديد، إذ بهما يتقلب الهواء من المسافة التي يسللها الجسم القارع أو المقلوع إلى الجنبتين بعنف وينقاد له أي لذلك الهواء المنقلب بإيجاد زمن الهواء إلى أن ينتهي إلى هواء لا ينقاد للتموج، فينقطع هناك الصوت كالحجر المرمي في وسط الماء"[2].

تنتقل الهزات في شكل موجات أو تموجات عبر الهواء من مصدر الصوت إلى حاسة السمع، "وسرعة الصوت كما قدرها العلماء 232م/ثا"[3]، ولم يكن ليخترقها أي جسم إلا في العصر الحديث حيث الصناعة الفضائية.

وتختلف شدة الصوت حسب بعد مصدر الصوت عن حاسة السمع، ويكون الصوت حاداً أي شديداً يتسم بالوضوح إذا كان السمع قريبا من مصدره، "كما تتوقف شدة الصوت على سعة الاهتزاز وهي المسافة بين الوضع الأصلي للجسم المهتز وهو

---

[1]- ابن سينا: رسالة أسباب حدوث الحروف، مرجع سابق، ص103.

[2]- التهاوني محمد علي: موسوعة اصطلاحات الفنون والعلوم، تح: رفيق العجم، ج1، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، 1996، ص1099.

[3]- إبراهيم أنيس: الأصوات اللغوية، مرجع سابق، ص06.

في حالة السكون، وأقصى نقطة تصل إليها في هذه الاهتزازاة، فعلى قدر إتساع المسافة يكون علو الصوت ووضوحه"[1].

واضح أن الصوت حينما يكون في اللحظة العدمية يكون ساكنا، وشدة الاهتزاز هي التي تجعله ينطلق حسب سعة الاهتزاز ويتحكم في وصوله وهيئته بُعد وضعه من أذن السامع، فيكون إما حاداً واضحاً بدرجة علو مميزة أو العكس إذا كان بعيداً، ومن هنا تنشأ الأصوات، وتتغير حسب مصادرها، وكذا مميزاتها، ليدل كل صوت على معنى معين في علاقته مع غيره من الأصوات، حسب التردد في العلو والهبوط يحدد درجة الصوت فإذا كان عميقا، فيما أن نوعه "هو تلك الصفة التي تميز صوتا من صوت وإن اتحدا في الدرجة والشدة وهكذا تستطيع أن تميز بين الكمنجة والعود"[2].

إن العلة القريبة لحدوث الصوت كما يراها ابن سينا هي "التموج وللتموج علتان، القرع والقلع، وإن إدعى مدع إنه يحصل من القلع في الهواء، قرع ويظهر، فإن ضعف هذا القول ليس مما يتكيف بيانه، أما نفس التموج فإنه يظهر الصوت... وأما التموج من جهة الهيئة التي يستفيدها من المخارج والمحابس في طريقه فمنه تظهر الحروف، والحرف هيئة للصوت، تظر فيه، تميزه من صوت لآخر مثله في الحدة، والثقل إذا ظهر في المسموع تميز من غيرها"[3].

إن إدراك ابن سينا أن للصوت خصائص تواصلية أكثر من الإشارات وغيرها فهو يستعين بحواس أخرى، ومنه تتضح الأبعاد أو الأفاق الدلالية خاصة داخل السياق الصوتي الواقعة فيه في أمثلة نسبة بعض الحروف إلى بعضها.

"فالصوت يصل دون البصر حين وجود حواجز كحائط وغيره مثلا، وإن السمات المكتسبة للإشارة الصوتية وما تكتسبه من خصائص لسانية محضة كالتنوع،

---

[1]- إبراهيم أنيس: الأصوات اللغوية، مرجع سابق، ص06.

[2]- المرجع نفسه، ص07.

[3]- ابن سينا: رسالة أسباب حدوث الحروف، مرجع سابق، ص104، 105.

والتضام، والاختلاف، والتتابع جعلها طبيعة سهلة الاستعمال في إفراغ مختلف التعابير الشعورية والأفكار العلمية"[1].

يعتبر ابن سينا الصوت الركيزة الأساسية أو البنية الأساسية في بناء الكلام البشري، وطبيعي أن يكون كذلك، فقد "مالت الطبيعة إلى استعمال الصوت ووقفت من عند الخالق بآلات تقطيع الحروف وتركيبها معا، ليدل بها على ما في النفس من أثر"[2].

ومن خلال ما جاء ذكره من قبل العلماء اللغويين وخاصة ابن سينا يتبين أن جل الدراسات التي قاموا بها حول الصوت وخصائصه قد أتت أكلها، فكانت دقيقة وبخاصة في وصفهم للصوت وقضية الاهتزاز لجزئيات الهواء الناتجة عن عمليتي القرع والقلع، "وانتقال الحركة فيها وتلك الإشارة الذكية إلى مرحلتي السمع، أولهما استقبال الموجات عن طريق الصماخين، وثانيهما إدراكها عن طريق ملكة السمع، والمتأمل لكلامهم يجده يدور حول كيفية حدوث الصوت، وانتقاله واستقباله وهي ثلاثة عناصر مشروط بوجودها حدوث الصوت ألا وهي:

- وجود جسم في حالة تذبذب أي مصدر الصوت.
- وجود ناقل للموجات الصادرة من الجسم المتذبذب قد يكون الهواء أو غيره.
- وجود جسم يستقبل هذه الذبذبات (الأذن)"[3].

يقول تعالى: {إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا} [الإسراء: 36] لأن جهاز السمع هو الذي به تتحقق مادة الصوت المدركة، ولولاه لما كان الصوت موجوداً ولما أدركت مادته.

---

[1]- بوعناني سعاد آمنة: الدرس الصوتي عند علماء القرن الخامس الهجري، مرجع سابق، ص287.

[2]- محمد الصالح الطالع، علوم الصوتيات عند ابن سينا، دار غريب للطباعة والنشر، القاهرة، 2003، ص39.

[3]- ينظر: ربيعة برباق، علم الأصوات، مرجع سابق، ص17.

وهنا يعطي رأيه في هيئة الصوت فيقول: "والحرف هيئة للصوت عارضة له يتميز بها عن صوت آخر مثله في الجدة والثقل تمييزا في المسموع، والحروف بعضها في الحقيقة مفردة وحدوثها من حبسات تامة للصوت أو الهواء الفاعل للصوت، يتبعها إطلاق دفعة، بعضها مركبة وحدوثها عن حبسات غير تامة لكن تتبع إطلاقات"[1]. ذلك ما يسمى لدى علماء الأصوات المحدثين بالأصوات الانفجارية والأصوات الاحتكاكية، وأنواعها مفردة ومركبة، وتلك تنتج كما ذكر عن حبسات تامة وحبسات غير تامة للصوت أو الهواء.

وتوالت الدراسات الصوتية العربية في مختلف المجالات، النحو والصرف، والمعجم والبلاغة، فتحدث الجاحظ من علماء البلاغة عن التجاور الصوتي في اللغة العربية، وقال: "فأما في اقتران الحروف فإن الجيم لا تقارن الظاء ولا الفاء ولا الطاء ولا الغين ولا الضاد ولا الذال بتقديم ولا تأخير وهذا باب كبير"[2].

إن هذه المقارنات بينت الفرق بين تمايز الحروف والأصوات بعضها عن بعض، وما تحدثه من تغيرات إثر عوامل مختلفة.

إن الصوت ينتج عن الذبذات الواقعة جراء الاهتزازات التي تقع في الأجسام المادية تحت تأثير التصادم مع الهواء بشدة وقوة لتصل إلى الأذن، فيتم تمييزها حسب صفة الصوت، ولتبدأ عملية تشكيل المنجز اللغوي ومنه تتجلى ظاهرة التخفيف التي يميل إليها السامع فيما يمج ما استثقل منه.

"وتتوقف شدة الصوت أو ارتفاعه على بعد الأذن عن مصدر الصوت، فعلى قرب الأذن من ذلك المصدر يكون وضوح الصوت وشدته، كما تتوقف شدة الصوت على سعة الاهتزاز وهي المسافة المحصورة بين الوضع الأصلي للجسم المهتز وهو

---

[1]– ابن سينا: رسالة أسباب حدوث الحروف، مرجع سابق، ص60.

[2]– ينظر: ربيعة برباق، علم الأصوات، مرجع سابق، ص91.

في حالة السكون، وأقصى نقطة يصل إليها الجسم في هذه الاهتزازة، فعلى قدر اتساع هذه المسافة يكون علو الصوت ووضوحه"[1].

أما كيف يتأدى إلى السمع أو يتناهى إليه هذا الصوت، "فإن الهواء الذي ينبو من المقروع وهو الذين يحمل الصوت فيحرك بمثل حركته الجزء الذي يليه فيقبل الصوت الذي كان قبله الأول ويحرك الثاني ثالثا يليه، فيقبل ما قبله الثاني فلا يزال هذا التداول... حتى يكون آخر ما تتأدى إليه من أجزاء الهواء هو الهواء الموجود في الصماخين بالأذن"[2].

يتبين من ذلك أن شدة الصوت تزداد وضوحا كلما اقترب الجهاز السمعي من مصدر الصوت، وهذا يؤدي إلى معرفة صفته وكيفية إنشائه، وعلوه وحدته، وانخفاضه، تتحكم فيه عدد الاهتزازات، ومن هنا يبدأ الصوت في التمييز عن غيره وتتحدد الدلالات للألفاظ المنجزة في أيسر الأحوال، وأما إذا كان مصدره بعيدا يكون إدراكه ضعيفا أو معدوما.

ويتم الإقرار لبعض المصطلحات الصوتية التي بها يكون الحرف قد اكتمل بناؤه، نشأة ونطقا مثل الصوامت، وقد ذكره ابن سينا بالصامت مما يوحي بأن اللسانيات الحديثة لم تكن لوحدها قد اكتشفت هذا المصطلح، وأن الحركات تقوم بوظيفة مثلما يقوم به حرف المدّ، فكلها من المصوّتات، حيث يذكر ابن سينا (ت427هـ) ذلك بقوله: "ولكني أعلم يقينا أن الألف الممدودة المصوّتة تقع في ضعف أو أضعاف زمان الفتحة، وأن الفتحة تقع في صغر الأزمنة التي يصح فيها الانتقال

[1]– إبراهيم أنيس: الأصوات اللغوية، مرجع سابق، ص06.

[2]– الفارابي: الموسيقى الكبير، تح: عطاس عبد المالك خشبة، مراجعة: محمود أحمد الحنفي، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، القاهرة، د.ت، ص124.

من حرف إلى حرف، وكذلك نسبة الواو المصوّتة إلى الضمة والياء المصوّتة إلى الكسرة"[1].

رغم أن ابن سينا لم يجزم بضبط زمن المصوّت الطويل في نسبته إلى المصوّت القصير، أهو ضعف أو أضعاف، فإن الدراسات الحديثة أثبتت أن الطويلة تساوي جزئين من القصيرة، والقصيرة تساوي نصف الطويلة، إلا أنه فرّق بين الواو الصامتة والواو المصوّتة، وبين الياء الصامتة والياء المصوّتة، وأما الألف فلا تكون إلا مصوّتة، وقد ذكر أيضا قرب الواو الصامتة من الفاء في مخرجها، وأن الياء الصامتة قريبة من السين والزاي، فيقول: "وأما الواو الصامتة تحدث حيث تحدث الفاء ولكن بضغط وحفز للهواء ضعيف لا يبلغ أن يمانعه في انضغاطه سطح الشق، وأما الياء الصامتة فإنها تحدث حيث تحدث السين والزاي ولكن بضغط وحفز للهواء ضعيف، لا يبلغ أن يحدث صفيرا"[2]. وبذلك يكون أن مُهد ووُضع الإطار الصوتي وسببه لحدوث الحروف والأصوات.

وبذلك يكون علماء اللغة العربية والفلاسفة القدامى قد بذلوا الجهد الجهيد في تبيان صفات الأصوات وأسباب حدوثها يقول عبد الرحمان حاج صالح: "وفي تحليلهم بهذه الحروف حددوا ما أسموه بالمخارج، كما أثبتوا أيضا ما أسموه بالصفات، فأحصوا كل ذلك فهي عند سيبويه 16 مخرجاً ونحو 16 صفة، فالأولى صفة تخص حيز الحرف والثانية هي فصل التمييز بين الحروف في داخل المخارج، فهي الحلقي، واللهوي، والشجري، والقطعي، اللثوي، والشفوي ثم المجهور والمهموس، والشديد والرخو، والمستعلي، والمستقل، والمبطن والمنتج وغير ذلك"[3].

---

[1]– ابن سينا: رسالة أسباب حدوث الحروف، مرجع سابق، ص85.

[2]– نفسه، ص83–85.

[3]– عبد الرحمان حاج صالح، منطق العرب في علوم اللسان، موفم للنشر، الجزائر، 2012، ص214.

كما أن ابن جني الذي يعد رائدا في مجال علم التصويت يمثل لجهاز النطق بالناي في إحداث الأصوات، وكذا وتر العود، حيث يقول: "ولأجل ما ذكرنا من اختلاف الأجراس في حروف المعجم باختلاف مقاطعها التي هي أسباب تباين أصدائها ما شبه بعضهم الحلق والفم بالناي، فإن الصوت يخرج فيه مستطيلا أملس ساذجا، كما يجري الصوت في الألف غفلا بغير صنعة، فإذا وضع الزامر أنامله على خروق الناي المنسوقة وراح بين عمله اختلفت الأصوات، وسمع لكل حرف منها صوت لا يشبه صاحبه، فكذلك إذا قطع الصوت في الحلق والفم باعتماد على جهات مختلفة كان سبب استماعنا هذه الأصوات المختلفة"[1].

ثم أن هذه التحديدات والأوصاف للحروف ومخارجها لا تكون إلا سببا في حدوث الصوت أو الحروف، وهو الجهد الذي قام به علماؤنا من أجل تيسير النطق وتسهيل الاستعمال للمنطوق دفعا إلى كل ما يعين على تخفيف الأعباء في التعبير عن الأغراض وما يحتاج إليه.

ونخلص إلى القول أن ابن سينا في مسماه أسباب حدوث الحروف قد اهتدى إلى أهم شيء في الأصوات وحدوثها هو التمييز بينها (أي بين الأصوات) من الناحيتين الفيزيائية والفيزيولوجية، وكذلك دفع هذا الصوت على السمع وبذلك يكون قد جمع بين وصف مخارج الأصوات وصفاتها حتى تقع في أذن السامع، وهنا يقول في قضية مجانسة الحروف مع غيرها واشتراكها في السبب، "ها هنا حروف غير هذه الحروف تحدث بين حرفين (وفي الرواية الأولى حرفين حَرفين) فيما يجانس كل حرف واحد منها بشركه في مسببه، فمن ذلك الكاف الخفيفة التي تستعملها العرب في

[1]– ابن جني: سر صناعة الإعراب، تح: حسن هنداوي، دار العلم، بيروت، 1993، ص08، 09.

عصرنا هذا بدل القاف، وهي تحدث حيث تحدث الكاف ولكن أدخلْ وبحبس أضعف"[1].

وقد ضرب ابن سينا أمثلة حول الحروف المماثلة للحروف العربية واستعان بذلك في اللغات الأخرى لمشابهتها للصوت العربي مثل: "شين صادية، وسين زائية، وهذه تكثر في خوارزم "شين زائية" في الفارسية وغيرها من الحروف، وبذلك يكون قد ميز بين الأصوات حسب سياقاتها التي ترد فيها"[2].

غير أنه لم يذكر لها مصطلحات بحال اليوم، وإنما كان الاهتمام بدراسة الأصوات وأسباب حدوثها ومدى دلالاتها على المستويين اللفظي والتركيبي من أجل الوصول إلى الأغراض بالسبل السهلة وببساطة النطق وتيسير الفهم والإدراك، وخفة الوقع على الأسماع حتى لا تمجها النفوس وتنفر منها، وتلك طبيعة العربي الذي نطاق اللغة تسيل عسلا وتفهم فصيحة، وجاء القرآن الكريم فكانت بحلاوة وطلاوة تلفظ عربيته.

[1]– ابن سينا: رسالة أسباب حدوث الحروف، مرجع سابق، ص127.

[2]– نفسه، ص128، 129.

3. التغييرات الحاصلة في أصوات اللغة العربية:

1.3. التطورات الصوتية وتغير أنظمتها:

لقد اعتنى علماء اللغة العربية القدامى وكذا المحدثون بالدراسات الصوتية للغة العربية، ووصفوا بدقة صفات الأصوات ومخارجها ومميزاتها، حتى تبين ما يوافق النطق العربي الصحيح وما لا يوافقه بالمخالفة أو بالتنافر.

وبالعودة لقول ابن جني (ت392هـ) حد اللغة هي أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم، نجد أن الإنسان يعبر بالضرورة عما استجد في حياته نظرا للتطور الحاصل فيها، وقد تألفت الأصوات فتعالقت بخاصية التمايز الذي لاشك أنه يختلف عن السابق حينما كانت الأغراض قليلة محدودة وفق ما يحتاج إليه الإنسان، مما جعلها تنمو وتتغير وذلك لدواعي الحياة وتطورها، "فقد تألفت تأليفا يميزها عن التأليف الأول، ولولا ذلك لألتبست المعاني وتعذر التفريق بينها، وفقدت اللغة قيمتها في التعبير عن الأشياء بشكل ميسر، وكانت الإشارة الحسية إلى الشيء أسهل في بيان المراد به من الإشارة الصوتية"[1].

لذلك يتم التطور والتغيير الصوتي لغير الألفاظ الجديدة الحاصلة من الأصوات بالتأليف الجديد عن المعاني الجديدة، ثم أن الإنسان بطبعه يغير استعمال الأصوات من لفظ لآخر مستجد معبرا عن معنى جديد عوضا عن ذلك الذي انقطعت صلته به عبر الأزمان والأمكنة، كما هو أمر اللغة العربية في جزيرة العرب، ومثال ذلك بعض الألفاظ التي لم يعد لها وجود استعمال: كاحرنجم والأثافي، والتؤي وغيره، لتعوض بغيرها مثل اجتمع واجمع واجتمعت وغيره، وكذلك الأثافي لم يعد لها استعمال لا في المعنى ولا كمادة يحتاج إليها في نصب القدر للطبخ، وقد تفقد هذه الألفاظ بفقد مسمياتها، ويمكن القول أن الألفاظ في أي لغة من اللغات قد تموت وتضمحل لعدم

[1]– حسام سعيد النعيمي: أصوات العربية بين التحول والثبات، دار الكتب للنشر والتوزيع، بغداد، 1979، ص10.

الحاجة إليها، ومرد ذلك للتطور الذي يحدث في حياة الإنسان، يقول جوزيف فندريس: "النظام الصوتي بعيد كل البعد من أن يكون ثابتا طوال تطوير لغة من اللغات"[1].

ثم أن هذه التغييرات في الألفاظ بالضرورة تحدث في أصوات هذه الألفاظ، يحولها إلى أصوات أخرى مثل ظاهرة الإدغام والقلب وغيره من الظواهر اللغوية التي تقع مخففة للنطق وميسرة سهلة لتوضيح المعاني المقصودة.

"فتطور الأصوات تحكمه عدة عوامل ترتبط ارتباطا وثيقا بحياة الإنسان والحضارة الإنسانية، فالاختلاف الخلقي في أعضاء النطق بين الأجيال المتباعدة، وأخطاء السمع، وتعامل الأصوات مع الألفاظ المستحدثة بالاشتقاق، أو فيما تجاوز من الألفاظ نتيجة التأليف واختلاط العوامل النفسية، والبيئية، كل ذلك يؤثر بفاعلية ذاتية في أصوات اللغة من غير أن يكون أهل تلك اللغة قاصدين تغيير أصواتها"[2].

ولقد تحدث القدماء من اللغويين عن التغييرات الصوتية، ومن بينهم سيبويه الذي كان له القسط الكبير في هذه الأبحاث والدراسات الحاصلة بالتغيرات الصوتية، "فقد انطلق في دراسة للأصوات العربية من منطلق صوتي بحت، هو أثر تجاور الحروف المتماثلة والمتقاربة والمتجانسة في عملية الإدغام، وقد تحدث عن الإبدال والمضارعة في الصوامت، كما تحدث عن الإتباع والإحالة في الحركات، والمصوّتات وكان ما كتبه سيبويه عن مخارج الأصوات العربية، وصفاتها هو الأساس الذي اعتمد عليه العلماء بعد ذلك"[3].

---

[1]– جوزيف فندريس: اللغة، تر: عبد الحميد الدخلاوي، وحميد القصاص، مطبعة لجنة البيان، القاهرة، 1950، ص64.

[2]– حسام سعيد النعيمي، أصوات العربية بين التحول والثبات، مرجع سابق، ص12.

[3]– ينظر: عبد الفتاح عبد العليم البركاوي، مقدمة في علم الأصوات العربية، دار النهضة العربية، مصر، 2004، ص11، 12.

وكذلك المحدثون الذين يرجعون التغيرات الصوتية إلى أسباب مختلفة دون التأكيد على الأساسي منها، ومثل ذلك اختلاف أعضاء النطق، وهذا الرأي يعده بعضهم من اللغويين ضعيفا، "ولم يستطع علماء التشريح البرهنة عليها، بل لقد برهن بعضهم على أن أعضاء النطق عند الإنسان تتحد في جميع تفاصيلها"[1].

إنما يرجعون الأمر وتفاصيله إلى السيطرة على النفس وضغط الهواء في الرئتين بكميات يستطاع التحكم فيها، "ولسنا نعني بتطور الأصوات في اللغة أن القديم منها يفنى فناءً كليا دون أن يترك أثرا له، أو أن أصواتا جديدة لا وجود لها من قبل تنموا وتنتشر في الكلام، وإنما الذي نعنيه هو أن الأصوات القديمة تنتقل من مخارجها وتستعمل في مخارج جديدة أو يبطل استعمالها"[2].

فالتغييرات الصوتية التي اهتم بدراستها القدماء خاصة كانت تقع وفق قوانين وأساس حدوده لحدوث التغير، ومنه الحذف والإدغام والإحالة، "وتأكدت معرفتهم بالقوانين الصوتية المماثلة والمخالفة والقلب المكاني، التي تجنح باللغة إلى السهولة والتيسير"[3].

فالخليل يذكر أن "الهمزة ليست أصل في البناء للكلمة، وإنما يؤتى بها للنطق بالساكنة كما هو في الأثر أن العرب (لا تبدأ بساكن ولا تقف على متحرك)، ولذا يحتاج اللسان إلى زيادة ألف الوصل للتمكن من نطق الحرف الساكن بعدها، مثل اسحنْكَكَ، واسبكرّ- وأدخلت في الأفعال وأمثالها لتكون عمادا وسُلماً للسان إلى حرف البناء"[4].

---

[1]- إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، مرجع سابق، ص232.

[2]- نفسه، ص232.

[3]- صلاح الدين حسن: التغييرات الصوتية في التركيب اللغوي العربي، رسالة دكتوراه، جامعة تشرين، سوريا، 2009، ص11.

[4]- نفسه، ص13.

ولذلك يكون القول على أن القانون الصوتي هو الذي أمكن اللغة وناطقها من الميل إلى السهولة وبذل الجهد اليسير.

كما اعتبر سيبويه: "ألف الوصل زائدة وقال أنها تأتي بسبب إسكان الحرف الأول من الكلمة، فلم تصل إلى أن تبتدئ بساكن فقدمت متحركة لتصل إلى التكلم"[1].

وتكون همزة الوصل في أسماء الصدارة، كاسم وابن وابنم، وامرأة وغيره، وكذلك وتكون في الأوزان كأمر الثلاثي والخماسي والسداسي ومصدريهما، ورأى أن الهدف منها الخفة والسهولة.

يقول ابن جني (ت392هـ): "فأما ما يُتأتى له وينطرق إليه بالملاينة والإكئاب من غير كد ولا اغتصاب، فهو ما عقد عليه هذا الباب، وهو (باب قلب لفظ إلى لفظ بالصنعة والتلطف لا بالإقدام والتعجرف)، وذلك كأن يقول لك قائل، كيف تحيل لفظ (وأيت إلى لفظ أويت)، فطريقة أن تبنى من (وأيت) فوعلاً، فيصير بك التقدير فيه إلى "وَوأي" فتقلب اللام ألفا لتحركها وانفتاح ما قبلها، فيصير ووأى ثم تقلب الواو الأولى إلى همزة لاجتماع الواوين في أول الكلمة، فيصير أواى ثم تخفف الهمزة فتحذفها وتلقي حركتها على الواو قبلها، فيصير (أَوَا) اسما كان أو فعلا، فقد رأيت كيف استتعمال لفظ (وأى) إلى لفظ (أواً من تتعجرف ولا تهكم على الحروف"[2].

التغييرات الصوتية عند القدماء تعني "التغيّر بالزيادة، التغير بالإبدال، التغير بالإعلال (الإعلال بالحذف، الإعلال بالقلب، الإعلال بالنقل، الإعلال بالتسكين)، التغيّر بالإدغام، التغيّر بالإحالة، والهدف من التغييرات الصوتية وتسهيل اللفظ"[3].

وأما اللغويون المحدثون فقد كانت لهم دراسات عميقة في التغييرات الصوتية، فقد قسموا أسباب تغيرها إلى تغيرات تاريخية، وتغيرات تركيبية، فالمستشرق الألماني

---

[1]– صلاح الدين حسن، التغييرات الصوتية في التريب اللغوية، مرجع سابق، ص12، 13.

[2]– ابن جني: الخصائص، ص88–89.

[3]– صلاح الدين حسن، مرجع سابق، ص14.

"براجستراسر" تناول التغيرات الصوتية من الوجهة التاريخية، "لكنه عاد فتناول التغيرات التركيبية وأطلق عليها اسم (القوانين الصوتية)، وهي عنده المماثلة الصوتية، والإدغام والمخالفة، ورأى أن التشابه يكون كليا إذا تطابق الحرفان تماما، وجزئيا إذا لم يتشابه الحرفان ولم يتطابقا، كما يذكر صلاح الدين سعيد أن التشابه كان على نوعين، الأول ما اجتمعت فيه التاء والدال من مثل: ادّعى، والدال والطاء مثل: إطراد، والتاء والذال مثل: اذّكر، يسمى تشابه كلي مقبل، ومثل عبدْت، وربطت واحزم يسمى مدبر، وأما الثاني فمن مثل: اضْطجع وازْدجر فجزئي، تشابه جزئي مقبل، ومن مثل: جنْب، جمب فجزئي مقبل"[1].

ويقول إبراهيم أنيس: "إن تأثر الأصوات المتجاورة بعضها ببعض نوعان رجعي، وفيه يتأثر الصوت الأول بالثاني، وهذا النوع كثير الشيوع في اللغة الفرنسية والعربية أيضا، تقدمي، وفيه يتأثر الصوت الثاني بالأول وهو الشائع في اللغة الإنجليزية، كما أنه قد يوجد أيضا في اللغة العربية"[2]، فهو يسمى أمام المماثلة تقدمي ورجعي في مقابل كلي وجزئي.

وقد قسم رمضان عبد التواب التغيرات الصوتية إلى قسمين: التغيرات الصوتية التاريخية، والتغيرات الصوتية التركيبية، حيث يقول: "ونعني بالتغيرات التاريخية تلك التغييرات التي تحدث في النظام الصوتي للغة بحيث يصير الصوت اللغوي في جميع سياقاته صوتا آخر، أما التغييرات التركيبية فهي التي تصيب الأصوات من جهة الصلات التي تربط هذه الأصوات بعضها ببعض في كلمة واحدة"[3].

ويضرب لنا أمثلة على التطور التاريخي للصوت عبر تقلبه في اللغات السامية، ومثل ذلك أتى به غيره من اللغويين المحدثين من مثل صوت الجيم الذي يقول فيه:

---

[1]– صلاح الدين حسن، التغيرات الصوتية، مرجع سابق، ص17.

[2]– إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، مرجع سابق، ص180.

[3]– رمضان عبد التواب: التطور اللغوي مظاهره وعلله، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1997، ص23.

"انحلاله إلى أحد عنصريه المكونين له في اللهجات العربية الحديثة، إذ ينطق كالدال في صعيد مصر... فيقولون (دمل- جمل، وداموسة- جاموسة)، والمكون الثاني للجيم هو الشين المجهورة تسمعه جيدا في نطق الشوام لهذا الصوت، وهو ما نسميه بالجيم الشامية"[1].

غير أن ابن جني يتناول موضوع المخالفة والتجاور بطريقة لا تبتعد عما جاء به المحدثون، حيث يقول في باب العدول عن الثقيل إلى ما هو أثقل منه، وذلك من أجل اختلاف اللفظين فيخفا عن اللسان، "اعلم أن هذا موضع يدفع ظاهرة إلى أن يعرف غوره وحقيقته، وذلك أنه أمر بعرض للأمثال إذا ثقلت لتكريرها، فيترك الحرف إلى ما هو أثقل منه ليختلف اللفظان فيخفا على اللسان وذلك نحو: الحيوان، ألاَ ترى أنه عند الجماعة، إلاّ أبا عثمان. من مضاعف الياء وأن أصله حيَيَان، فلما ثقل عدلوا عن الياء إلى الواو، وهذا مع إحاطة العلم بأن الواو أثقل من الياء، لكنه لما اختلف الحرفان ساغ ذلك"[2]، وله من المواضع في استبدال الحروف مكان غيرها كالنون يمكن استبدالها بالياء لتسهيل اللفظ.

ويحدث ذلك كذلك بسبب المخالفة "وهو قانون صوتي يفسر ويبين سبب حدوث ظاهرة قلب الياء واواً، والأمثلة كثيرة على هذا النوع عند ابن جني حيث يقول في موضع آخر... وإذا كانوا قد أبدلوا الياء واواً كراهية لالتقاء المثلين في الحيوان، فإبدالهم الواو ياء لذلك أولى بالجوار وأحرى، وليس لقائل أن يقول، فلما صار دوّان إلى ديوان فاجتمعت الواو والياء، وسكنت الأولى، هلا أبدلت الواو ياء كذلك لأن هذا ينقض الغرض، ألا تراهم إنما كرهوا التضعيف في دوّان فأبدلوا ليخلف الحرفان"[3].

---

[1]- رمضان عبد التواب، التطور اللغوي، مرجع سابق، ص25، 26.

[2]- ابن جني، الخصائص، ج3، مرجع سابق، ص18.

[3]- نفسه، ص18، 19.

رغم أن مهمة التغيرات الصوتية موكلة للقوانين التي تخضع لها من أجل التغيرات والتقليبات، إلا أن الملاحظ على ما جاء به العلماء القدامى خاصة، يمكن اجراؤه من باب التصريف أو يعزا إلى عمليات الصرف المحض حتى تتضح مراحل التغير المؤدية إلى أسهل وأبسط السبل للفهم بصورة التخفيف.

"وأما التجاور بين صوتين من مخرج واحد يؤدي إلى ثقل في النطق، في حين أن إبدال حرف بحرف قريب منه في المخرج والصفات يؤدي إلى تسهيل في اللفظ"[1]، وهذا ما ورد في قانون المماثلة، أما قانون المخالفة فإنه يعتمد إلى صوتين متماثلين تماما في كلمة من الكلمات، "فيُغيّر أحدهما إلى صوت آخر يغلب أن يكون من أصوات العلة أو من الأصوات المتوسطة، أو المائعة المعروفة في اللاتينية باسم (Liquida) وهي اللاّم والميم والنون والرّاء"[2].

ومثال المخالفة بين السامية والعربية "كلمة (شمس)، فهي في السامية (شمش) كما في الآكادية والعبرية والآرامية، والعروف لدى علماء الساميات أن الشين في السامية الأم قابلت في العربية سين، وهذا من التغييرات التاريخية، وذلك أن تصير في العربية (سمس) على أن المخالفة بين السينين أدت قلب الأولى شينا"[3].

وقد أدرك ابن جني ومن قبله سيبويه الفرق بين الفونيم أي الوحدة الصوتية، والفون أي الصورة الصوتية، "وسمى النوع الأول الحروف "الأصول" وتمثل حروف العربية التسعة والعشرين، وسمى النوع الآخر بالحروف الفروع وقسمها إلى قسمين: حسنة يؤخذ بها في القرآن الكريم وفصيح الكلام وهي النون الخفيفة، ويقال الخفية،

---

[1]– صلاح الدين حسن، التغيرات الصوتية، مرجع سابق، ص25.

[2]– رمضان عبد التواب، التطور اللغوي، ص57.

[3]– نفسه، ص57، 58.

والهمزة المخففة وألف التفخيم، وألف الإمالة، والشين التي كالجيم. وغير المستحسنة وهي ثمانية لا يؤخذ بها في القرآن ولا في الشعر"[1].

وعلى خلاف كثير من اللغويين الذين كان لهم رأي مخالف لتسمية القانون الصوتي كذلك، فمنهم من سماها قوانين إنسانية، أو اقتصادية، ومنهم من خطأها، ولعل "فاندرس" نظر إليها بالوضيعة، غير أنه عاد ليقول: "لقد أصبح وجود القوانين الصوتية المحدثة للتغيرات الصوتية وتطورها مقبولا عموما... وإن التغيرات والتطورات التي تتعرض لها الأصوات اللغوية، إنما تخضع لقوانين ثابتة تتحكم وتسيرها قوانين تتسم بالحتمية والجبرية، ولا تقل في ثباتها وصرامتها وعدم قابليتها للتخلف عن القوانين الطبيعية"[2].

كما أن القوانين الطبيعية والعوامل المؤثرة في التغيرات الصوتية كما ذكرها اللغويون وعلماء الأصوات لها دور فعال في أثر الصوت وتغيره وتطوره، ومنها البيئة والسهولة والعامل النفسي وأعضاء النطق والانتشار والشيوع.

وأما الحديث عن تطور وتغير الأصوات في البيئة التي يعيش فيها الإنسان سواء كانت جبلية أو صحراوية، مدنية أو ريفية، فأن الحيز الجغرافي يؤثر في الصوت فيغير ما أمكن من شدة ورخاوة، ورقة وخشونة، وهذا الرأي جاء به معظم اللغويين المحدثين وعلى رأسهم (H.Kolilitz) "فقد عزا تطور الأصوات الشديدة في اللغة الألمانية إلى نظائرها الرخوة للطبيعة الجغرافية في بعض جهات ألمانيا... وقد أشار في مقالاته إلى أن البيئة الجبلية تتطلب نشاطا كبيرا في عملية التنفس، ويتبع هذا الميل بالأصوات من الشدة إلى الرخاوة"[3].

---

[1]- عبد الفتاح عبد العليم، مقدمة في علم الأصوات، مرجع سابق، ص13.

[2]- ينظر: فوزي حسن الشايب: أثر القوانين الصوتية في بناء الكلمة العربية، عالم الكتب الحديث، الأردن، 2004، ص28 وما بعدها.

[3]- ينظر: إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، مرجع سابق، ص233.

كما أن اللغة العربية خاصة تميل إلى كل ما هو أسهل وأيسر، والعرب كذلك يمجون الثقل ويميلون إلى ما خف في اللغة والكلام، والعربية كما هو مألوف لغة البلاغة، والبلاغة الفصاحة وهي ما قل لفظه وكثر معناه، وكذلك من العوامل التي ساعدت على تغير الأصوات العامل النفسي، مع أنه كذلك يقع لدى بعض الأمم دون غيرها.

"ولأن الرابط بين أصوات اللغة والحالة النفسية عند الشعوب لا يجد من يؤيده في تاريخ الشعوب الأخرى، غير أنه قد يستأنس لهذا الرأي بما تعرفه من اللهجات العربية القديمة، وميل البيئات المتحضرة في جزيرة العرب إلى الأصوات الرخوة، في حين أن البيئات البدوية تميل إلى الأصوات الشديدة"[1].

ذلك أن الشعور عند البدو يتميز بخشونة الطباع والاضطراب تبعا للعيش المضطرب لدى بعض الشعوب.

وأما عامل السهولة واليسر، فالجهود في جميع ما ذكره الباحثون والعلماء اللغويون أن الإنسان يجنح دائما إلى ما هو أبسط وأسهل وأيسر حتى لا يبذل جهدا كبيرا ولا يتحمل عناء ما يريد الوصول إليه سواء في حياته أم في تواصله الكلامي مع غيره تعبيرا عن أغراضه، وتلبية لحاجياته، فجاءت نظرية السهولة التي تنادي "بأن الإنسان في نطقه لأصوات لغته يميل إلى الاقتصاد في الجهود العضلية وتلمس أسهل السبل مع الوصول إلى ما يهدف إليه من إبراز المعاني وإيصالها إلى المتحدثين معه"[2].

---

[1]– إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، مرجع سابق، ص234.

[2]– نفسه، ص234.

وطبيعي أن يكون استعمال هذه النظرية استعمالا نسبيا، إذ لا يمكن استعمالها مطلقا، فلا تصح في جميع الحالات كما لا يمكنها أن تطبق على كثير من الحالات أيضا، "إنما يمكن تطبيقها على كثير من التطورات الصوتية في اللغة"[1].

"والحقيقة أن أنصار هذه النظرية قد أوضحوا لنا بما لا يدع مجالا للبس والإبهام، أن هذا التطور غير إرادي، فهو يحدث دون أن يشعر به المتكلم ودون أن يعمد إليه أصلا، فالمرء في الحقيقة حين ينطق بالصوت الأصلي دون تغيير فيه، فالعملية إذن شعورية وهي بهذا بعد تكررها تترك أثر في تطور كثير من أصوات اللغة"[2].

ولما كان الميل إلى الخفة دون الاستثقال كان أول ما جاء على ألسنة العلماء استنطاقا للساكن هو الإتيان بهمزة الوصل رغم ما اختلف في تسميتها من همزة وصل أو توصيل، وأن العربي لا يعجز جهاز نطقه عن "أداء الظاهرة الصوتية، وقد جاءت عبارة بعضهم بما يفيد إمكانية هذا النطق بما يوحي بجواز وقوعه... وأن النطق بالساكن وبما يوحي بجواز وقوعه ممكن لكنه مستثقل"[3]، ولذلك كانت همزة الوصل آلية لتسهيل النطق بالساكن، وهي من أمثلة السهولة واليسر.

ويمكن الإشارة إلى التغيرات أو التطورات التي تحدث في أصوات اللغة عموما واللغة العربية خصوصا تكون على نوعين، مطلقة ومقيدة، "فأما المطلقة فهي تلك التطورات التي تحدث من التحول في النظام الصوتي للغة، بحيث يتحول الصوت اللغوي إلى صوت آخر في اللغة وفي جميع السياقات الصوتية"[4].

---

[1]- إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، مرجع سابق، ص235.

[2]- نفسه، ص235.

[3]- ينظر: كمال بشر: دراسات في علم اللغة، دار المعارف للنشر والتوزيع، القاهرة، ط8، 1986، ص136.

[4]- ينظر: فوزي حسن الشايب، أثر القوانين الصوتية في بناء الكلمة العربية، مرجع سابق، ص38.

"والمقيدة هي تلك التطورات التي تحصل للأصوات بفعل تجاورها في سياقات صوتية معينة، فهي إذا مشروطة بعوامل صوتية تشكيلية، وهذا التطور الصوتي هو الذي يكون له أكبر الأثر في تطور الصيغ والأبنية وتأملها، أما المطلقة مجرد حلول صوت مكان صوت آخر، بعيدا عن تفاعل الأصوات"[1].

وقد جاءت تسمية الإطلاق والتقيد بصيغ أخرى على يد الأستاذ رمضان عبد التواب، حيث أطلق على المطلقة التغيرات التاريخية، وعلى المقيدة التغيرات التركيبية.

"ويتم تحول الصوت من حالة إلى أخرى، ومن صفة إلى صفة أخرى لدى البعض الآخر، وفي لغاتهم خاصة، وذلك بنطق حرف بدل حرف آخر أو ما يقابله في لغة أخرى مثل اللغات السامية، "ويتضح لنا أن أصل الفاء هو صوت الباء (P) الذي هو التطير المهموس لصوت الباء، وإلى جانب كلمة (فم) كلمة (فول) العربية هي في العبرية (Pol)، على حين هي في الحبشية (Fol) أي بالفاء كالعربية، لأن صوت البناء تحول إلى فاء في العربية والحبشية، أي في اللغات السامية الجنوبية"[2].

وبعض هذه التغيرات نجدها إلى اليوم كالجيم في مصر والياء في السعودية والكويت، والشين في معظم نواحي الخليج.

"ونجد أنه من السهل جدا تفسير هذا التطور الذي لحن بصوت الجيم، فالمعروف أن الجيم الفصيحة صوت مزدوج يتكون من عنصرين انفجاري وآخر احتكاكي، فهو يجمع بين الانفجار والاحتكاك، والذي حصل فيه أنه تحول من صوت مزدوج إلى صوت بسيط عن طريق التخلص من أحد عنصريه"[3].

---

[1]– فوزي حسن الشايب، أثر القوانين في بناء الكلمة العربية، مرجع سابق، ص37.

[2]– نفسه، ص38.

[3]– نفسه، ص45.

يقول إبراهيم أنيس: "اتضح لنا فيما سبق أن الضاد والقاف والطاء، كما وصف لنا في كتب القراءات قد أصابها بعض التطور حتى صارت إلى النطق الحديث الشائع الآن بين قرائنا الآن"[1].

وهو الأمر المراد من الدراسة بحثا عن مواطن التخفيف في النطق والقراءات أو في التفسير والفهم، وقد تطورت أصوات أخرى خلافا على الضاد والقاف، والانتقال من الشدة إلى الرخاوة، ومرد ذلك انتقال المخرج من مكانه في كلتا الحالتين، مرة إلى الخلف ومرة إلى الأمام ليصبح مخرج الحرف أولا مكان الثاني.

"والضاد العربية ينطبق بها أحيانا ضاداً وأحيانا زاياً (كما هو حالها في سوريا وغيرها) مطبقة وقد احتفظت بالاطباق في الحالتين وبالرخاوة في الحالة الثانية كما هو الحال في القاف التي نسمعها همزة في مصر وحتى في تلمسان عند بعضهم، ويظهر أن هذا التطور كان نتيجة انتقال القاف من مخرجها وتعميمها بين أصوات الحلق، فاستبدل بها همزة التي هي أقرب أصوات الحلق تشبها بالقاف من حيث الشدة، لأن جميع أصوات الحلق ما عدا الهمزة أصوات رخوة"[2]، ولعل هذه التطورات الواردة على ألسنة العرب كانت تجنح إلى ما تيسر وسهل وللاقتصاد في بذل الجهد للتعبير عن الحاجة بأيسر اللفظ وأبسطه، وهو الغرض من البحث في ذلك فيما تعلق بالخفة وتسهيل اللفظ.

كما أن كل تطور صوتي أو تغيره من موضعه الأصلي واستبداله يغيره إثر أحداث قد تضاف في الوسط أو الحياة الاجتماعية التي يتداول فيها، ليحدث الانتقال من صورة صوت إلى صورة صوت آخر في نفس المرتبة، المخرج والصوت، ذلك أن هذا التغير الصوتي في اللفظ سيؤدي بالضرورة إلى التغير في الدلالة لهذا اللفظ.

---

[1]– إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، مرجع سابق، ص207.

[2]– نفسه، ص108.

"حين يصيب اللفظ التغير في الصورة، ويصادف بعد ذلك أن يشبه لفظا آخر في صورته، فتختلط الدلالتان، ويصبح اللفظ مما يسمى بالمشترك اللفظي، فتطور (السين) في كلمة مثل (السغب) إلى حرف مناظر لها في المخرج، والهمس (كالتاء) ينتج لنا صورة جديدة للكلمة تماثل تمام المماثلة لكلمة أخرى موجودة فعلا، وتعنى (الدرن والوسخ)، وهي كلمة (التغب)، ويترتب عن هذا التغير الصوتي تغير دلالي هو أن يصبح للفظ الواحد أكثر من دلالة واحدة"[1].

مع أن إبراهيم أنيس يتحدث في المجال عن فناء واندثار بعض الألفاظ وتعويضها بغيرها مع التنوع الدلالي حسب استعمال ذلك اللفظ، إلا أن التغير الصوتي في اللفظ له الأثر الكبير في المعنى والاقتصاد اللغوي والتغير الدلالي، من مثل قوله تعالى: {تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ النَّارُ وَهُمْ فِيها كالِحُونَ} [المؤمنون: 104]، "فاللفح والنفح واحد إلا أن اللفح أشد تأثيرا"[2]. حتى وإن لم تتغير الدلالة فإن الأثر الصوتي في تغيره يقارب القصد من القول في أقصى صورة بأبسط السبل وأقل جهد للتعبير عن المقاصد اللغوية.

وقد يؤدي التغير الصوتي بعوامل أساسية مثل الحذف الذي يمكن أن يجمع بين الإدغام والإعلال، حيث يتم فيها التغير بالحركة، حيث أنه يحدث في الأصوات الصامتة وكذا الصائتة.

وبالحذف يحدث اختصار للوقت، وتقليل للجهد العضلي في جهاز النطق، وأثر في الكلمة كما هو سبيل للتغيرات الصوتية صوامت وصوائت، وسيأتي الحذف في الفصل الرابع في نماذج تطبيقية.

---

[1]- إبراهيم أنيس: دلالة الألفاظ، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط5، 1984، ص138.

[2]- الزمخشري: الكشاف، ج4، مرجع سابق، ص251.

"يقل الحذف من زمن النطق دون التأثير سلبا على المعاني، وذلك لأن كل صوت يستغرق زمنا أقل، يعادل الزمن الذي يستغرقه نطق الصوت المحذوف.

والجهد العضلي فيه يحتاج نطق صوت لغوي إلى عمليات يقوم بها الجهاز النطقي، من تجميع للهواء في الرئتين، وخروجه عبر القصبة الهوائية ثم السدّ أو التضييق، وما يصاحب ذلك من اهتزاز للحبال الصوتية إذا كان الصوت مجهوراً، وحذف أي صوت يؤدي إلى إزالة الجهد المقابل له"[1].

ذلك أن الحذف والإيجاز والإضمار تعد من آليات التغير الصوتي في اللغة عامة والعربية خاصة، حيث أن العربي يكره أن تتوالى الأمثال ويمج الاستثقال، وفي ذلك يقول ابن جني في كتابه الخصائص، وقد اعتبر الحذف تغيرا صوتيا تستحبه النفوس وهو إلى ذلك يدفع إلى تغيرات أخرى، فيقول: "اعلم أن هذا موضع من العربية لطيف، ومغفول عنه، غير مأبوه به، وفيه من لطف المآخذ وحسن الصنعة ما أذكره، لتعجب منه، وتأنق به، ذلك أن العرب إذا حذفت من الكلمة حرفا إما ضرورة أو إيثاراً، فإنها تصور تلك الكلمة بعد الحذف منها تصويراً تقبله أمثلة كلا منها، ولا تعافه وتمجه نموذجه عنها سواء كان ذلك الحرف أصلا أم زائدا"[2].

كما أن الإدغام إذا وقع باندماج الحذف فيه "يكون أحد أسباب التغير الصوتي في اللفظ، وعلى سبيل المثال في الكلمات الآتية المدّ والشدُّ وأفعالها مدَّ وشدَّ من خلال الملاحظة تظهر عملية الإدغام في هذين الفعلين يعني في الدالين، بإدغام الدال الأولى في الثانية في الفعل مدّ أو شدّ، والحقيقة أنه واقع بهما حذف وإدغام الحذف واضح لحركة فاصلة بين الدالين، وبين الصوتين الدال الأولى والدال الثانية مما

[1]– صلاح الدين سعيد حسن، التغيرات الصوتية في التركيب اللغوي العربي، مرجع سابق، ص36.

[2]– نفسه، ص36.

يوضح نوع هذا التغير الذي هو صوتي ومقطعي، وحرفي، بحيث أن الدال في مدّ أصلها مَدَدَ مكون من ثلاثة أصوات صامتة وثلاثة أصوات صائتة.

كما أنه تتكون من ثلاثة مقاطع قصيرة (مَ.دَ.دَ)، وعند الإدغام تحذف فتحة عين الفعل أي فتحة الدال الأولى، ويصبح تركيب الكلمة مَدْدَ، وبذلك يحدث تغير من الناحية الصرفية، كما أنه يحدث تغيّر مقطعي، وحذف فتحة عين الفعل هو تغيُر صوتي، وأي تغير صوتي سيؤدي إلى تغيرات أخرى، وذلك لأن المقطع يتكون من أصوات، والكلمة من أصوات، وتغير جزء من الكل يعني التغير يشمل الكل"[1].

كما أن التغيرات الواقعة في المقاطع بحذف فتحة عين الفعل أدت إلى تقليص عدد المقاطع في ثلاثة إلى اثنين وتقلصت كذلك بنية الكلمة من ستة أصوات صائتة وصامتة إلى خمسة أصوات صائتة وصامتة، وبذلك تكون التغيرات الحاصلة في جملة الأصوات اللغوية هي المؤدية إلى تغيير بنية الكلمة من شكل لآخر، ومن دلالة لأخرى طلبا للخفة وتسهيل النطق.

"وقد تعتري بعض الأصوات تغيرات نطقية تخرج الصوت من صورته الصحيحة إلى صورة أخرى مخالفة، ولما كانت الكلمة تتكون من أصوات ودلالتها الأصلية إنما تتحقق بتركب تلك أصوات في نظام وترتيب معينين، فإن تغير صوت معين، وتحوله إلى صوت آخر لسبب ما، يشبه عملية استبدال صوت بنظير له في الكلمة"[2].

ذلك أن الحرف الهجائي كما عرفه اللغويون القدامى والمحدثون كوحدة صوتية في أصغر صورها في الكلمة، وباستبدال وحدة مكان وحدة يؤدي بالضرورة إلى تغير في المعنى.

---

[1]– ينظر: صلاح الدين سعيد حسن، التغيرات الصوتية، مرجع سابق، ص41.

[2]– فتح الله أحمد سليمان: مدخل إلى علم الدلالة، مكتبة الآداب للنشر، القاهرة، ط1، 1991، ص47، 48.

فلو استبدلنا الوحدة الصوتية مثلا الصاد في صاد بالوحدة الصوتية السين في ساد، يعني تحول الصاد إلى سين مع الحفاظ على باقي الوحدات في ذات الكلمة، كان ذلك متبوعا بتغير دلالي، وبديهي أن عدد الوخدات الصوتية (الحروف) في أي لغة محدود وتختلف طبعا من لغة إلى أخرى.

وقد أفاد بعض الدارسين إلى أن التغيرات الدلالية في الوحدات اللغوية إنما تقع في "حروف الإطباق وهي الصاد والطاء والظاء، فنطق هذه الأصوات دون إطباق يحول ترتيبها إلى سين، ودال، وتاء، وذال، أو زاي، في أولاهما وثانيهما أن هذا التغير يتحدد فقط في مجال الخطاب دون الكتابة"[1]، وهو ما يعنينا في القراءات القرآنية والتغيرات الصوتية.

وبنية الكلمة سواء أكانت اسما أم فعلا أم حرفا تسمى الحروف الهجائية، كما تسمى حروف المباني وذلك ما سنراه في أداء دورها في تشكيل بنية الكلمة.

[1]– فتح الله أحمد سليمان، مرجع سابق، ص48.

4. الوظيفة النطقية لأعضاء جهاز التصويت:

قد يتبادر إلى الذهن أن وظيفة الأعضاء النطقية هي التصويت فقط، ونعني إحداث أصوات لا تتميز عن غيرها من الأصوات في الطبيعة، "بل يذهب بعض اللغويين المحدثين إلى أن الدقة العلمية في التعبير عن ذلك محايد عن هذه التسمية، ذلك لعدم وجود عضو مختص بالنطق دون سواه من أعضاء الجهاز التصويتي لدى الإنسان"[1].

فهو قبل أن تكون له وظيفة صوتية تنتج الأصوات لتشكل المنجز اللغوي للتعبير عن الأغراض والحاجات، فهي وظيفة مناعية (تمنع الأخطار عن جسم الإنسان)، تصد عنه أي جسم غريب يداهمه سواء عن طريق التنفس كالغبار وما يحمله من جسيمات عن طريق الوترين الصوتيين والحنجرة، أم عن طريق الطعام واللسان يمنع دخوله دفعة واحدة حتى لا يسد البلغوم أو يعسر هضمه، "وأما التجويف الأنفي، فهو حجرة لتكييف الهواء قبل هبوطه إلى الرئتين حتى يتناسب مع درجة حرارة هواء الرئتين"[2].

ولن ندخل في توسيع شرح وظائف الأعضاء خارج إطار التصويت ولا المفارقات والمميزات مع غيره (الحيوان)، لأن دراسة وظيفة الجهاز في البحث تقتضي الوقوف على إنتاج وإحداث الأصوات وعلاقتها ببعضها في المقاطع، والألفاظ والجمل، وبأيسر السبل والتخفيف في نطقها وكتابتها، ومعانيها ودلالاتها.

"والجهاز النطقي يتكون من أعضاء مهمة للغاية تؤدي وظائف صوتية دقيقة، وأهم الأعضاء هي:

- الحنجرة.

---

[1]- ينظر: سمير شريف أستيتة: الأصوات اللغوية، رؤية عضوية ونطقية وفيزيائية، دار وائل للنشر، الأردن، دت، ص11

[2]- أحمد مختار عمر: دراسة الصوت اللغوي، عالم الكتب للنشر والتوزيع، القاهرة، 1997، ص99.

- اللهات.
- اللسان، ويقسم إلى: طرف اللسان، ومقدم اللسان (طرفه، ذلقه).
- وسط اللسان ومؤخره، إضافة إلى أعضاء التنفس (الحجاب الحاجز، الرئتان، القفص الصدري).
- الحنك: ويقسم إلى: أصول الأسنان (اللثة، ومقدم الحنك)؛ والحنك الصلب؛ والحنك اللين.
- الأسنان.
- الشفتان.
- التجويف الأنفي"[1].

والملاحظ أن جهاز النطق ذو أهمية قصوى في أداء الوظيفة الصوتية (النطقية)، "وتعد الأوتار الصوتية أهم عضو في الجهاز النطقي"[2].

بالإضافة إلى الوظائف التي تقوم بها بعض أجزاء الحنجرة كالوترين أو لسان المزمار، فإن للحنجرة ككل يمكن إجمالها فيما يلي:

- ✓ يؤثر ارتفاع الحنجرة أو انخفاظها على صندوق الرئتين مما يؤثر على النغمة المصاحبة لبعض الأصوات أو على ما يسمى بالرنين الحنجري الذي يترتب عليه الفرق بين الأصوات الحادة والغليضة.
- ✓ تعمل الحنجرة كأداة بداية لإنتاج وحدات صوتية، تقابل وحدات مماثلة بدايتها هواء الرئتين، وذلك مثل الكاف العادية، والكاف الموقوف عليها بما يشبه الهمزة في بعض مناطق اليمن.
- ✓ تعمل الحنجرة كمخرج لبعض الأصوات مثل الهمزة والهماء.

---

[1]– ينظر: عبد الفتاح عبد العليم، مقدمة في علم الأصوات العربية، مرجع سابق، ص35، 36.

[2]– أحمد مختار عمر، دراسة الصوت العربي، مرجع سابق، ص101.

- ✓ تؤدي الحنجرة دوراً بارزاً فيما يسمى بالوحدات الصوتية الأدائية، وذلك كالتنغيم الذي تكتسب به الجملة معنىً مغايراً كمعنى الاستفهام أو الخبرية أو التعجب، ذلك أن المسار النغمي للجملة هو الذي يحدد المعنى المراد، وقد ينبئ في حالات كثيرة عن مزاج الشخص، ويكشف عن حالته النفسية من نحو الرضا، والغضب، وما شابه ذلك.
- ✓ ولعل أهم وظائف الحنجرة هو ما تقوم به الأوتار الصوتية"[1].

إن الدور الذي تؤديه الحنجرة أو الوظيفة المهمة التي تقوم بها ككل هي الأداء الصوتي النغمي الذي يعد من الوظائف الأساسية الناتج عن تفاعل يميز بين الكلمات، وتراكيبها، وكذا أنماط النحو والصرف فيها، وبه تعرف دلالة تلك الألفاظ، وعليه يمكن الاعتماد في إدراك مادة اللغة ووحداتها الصوتية للدلالة على مرونة اللغة تبعا للعلاقات الصوتية في كل منجز لغوي وسياقاته.

"إن الوظيفة النطقية لأعضاء النطق عملية معقدة تتمثل في ترجمة النبضات الكهربائي التي تنقلها أعصاب متخصصة إلى أعضاء النطق، يقوم كل منها بوظيفته وليس النطق مجرد إصدار غير منظم للأصوات"[2]، ذلك يعني أن الأصوات لا تحدث بطريقة عشوائية أو بمحض الصدفة، ولذلك وصفت الأصوات بالجهر والهمس، والاحتكاك والانشداد، ومن هنا يمكن تمييز الصوت الذي تحدثه أو تنتجه الحنجرة من غيره من الأصوات التي تحدثها الأعضاء الأخرى من الجهاز النطقي، وعند مرور كمية من الهواء عبر الفراغ الحنجري فإذا وقع اهتزاز أو نزيز للوترين الصوتيين، كان الصوت حنجريا، أما إذا لم يحدث اهتزاز كان الصوت من غيرها من الأعضاء رغم

---

[1]– عبد الفتاح عبد العليم، مقدمة في علم الأصوات العربية، مرجع سابق، ص42، 43.

[2]– سمير شريف أستيتة، الأصوات اللغوية، مرجع سابق، ص17، 18.

مرور الهواء قليلا كان أم كثيرا، فلا يسمى حنجريا أو بنسب مباشرة إلى العضو غير الحنجرة.

وما إتياننا على دراسة أعضاء النطق إلا "ليفيدنا في معرفة ميكانيكية النطق وما يقوم به كل عضو في توليد حركات معينة للهواء، وقيادة هذه الحركة، والأوضاع الفعلية التي تتخذها هذه الأعضاء عند نطق الأصوات اللغوية (Speeah Sounds) وغير اللغوية (Non Speeah Sounds)"[1].

تعمل الحنجرة بواسطة مجموعة من الأعضاء التي ترتبط بها، وترتبط فيما بينها بأغشية وأربطة وعضلات مساهمة في عملية إنتاج الصوت الأساسي، وتتحكم بها في التنغيم الذي به تفهم العبارات في سياقاتها، وتتكون هذه الأعضاء من غضاريف سميت حسب مواضع خلقها، كما وصفت غضاريف الحنجرة بتقسيمها إلى "العضروف الدرّقي (Thyroid cartilage)، والغضروف الحلقي (Crieoid cartilage)، والغضروفان الهرميان (asytenoid eastilage)"[2].

الغضروف الدرّقي أكبر غضاريف الحنجرة، يسميه إبراهيم أنيس "الأول العلوي منها (أي من الحنجرة) ناقص الاستدارة من خلف وعريض بارز من الأمام ويعرف الجزء البارز منه بتفاحة آدم. أما الثاني (الغضروف الثاني) فهو كامل الاستدارة"[3].

والغضروفان الهرميان عبارة عن "زوج من الغضاريف لكل واحد منهما شكل الهرم"[4].

ثم يأتي العنصر المهم في الحنجرة وهو لسان المزمار، "يؤدي لسان المزمار إلى جانب وظيفته الأساسية وهي حماية المجاري التنفسية أثناء البلع، وظيفة صوتية

---

[1]– سمير شريف أستيتة، مرجع سابق، ص17.

[2]– نفسه، ص54.

[3]– إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، مرجع سابق، ص17.

[4]– عبد الفتاح عبد العليم، مقدمة في علم أصوات العربية، مرجع سابق، ص37.

تتمثل في اختلاف حجم صندوق الرنين الذي يتكون في الحجنرة... ويبدو أن لسان المزمار يشترك مع غيره من الغضاريف في عملية التكيف الصوتي في الحنجرة"[1].

وتعتبر الأوتار الصوتية التي يشترك معها لسان المزمار في وظيفة إنتاج وتوجيه الصوت أهم الأجزاء الصوتية، إن لسان المزمار لم يجد له ابن سينا اسما، فدعاه مرة بلا اسم له، ومرة بعديم الاسم بقوله: "فالعضلات التي تفتح بتنحية الطرجهالي عن الدرقي لابد أن تكون طالعة من أسفل ومن جنب الذي لا اسمه له"[2]، وفي الرواية الثانية يقول: "ومن جانب العديم الاسم تتصل بمؤخر الطرجهالي دون أن تشنج تجذبه إلى الخلف"[3].

ولتبيان دور الوترين الصوتيين في عملية التصويت أو النطق بأصوات الكلام، يقول: "هما زوجان من نسيج عضلي مرن، يقعان داخل الحنجرة ويتخذان فيها وضعا أفقيا من الأمام إلى الخلف ويكون أحدهما علويا والثاني سفليا، ويسمى الفراغ بينهما بطين الحنجرة (Lary negeal vertieal)، يلتقي هذان الوتران عند الغضروف الدرّقي ويتحرك الوتران الصوتيان حركات يقترب أو يبتعد فيها أحدهما عن الآخر، وهذه الحركات هي التي تعطي الصوت طبيعته النطقية"[4].

"ويختلفان في السمك والحجم والطول باختلاف جنس الشخص وعمره ويقوم هذان الوتران بدور في غاية الأهمية بالنسبة لجهر الأصوات (اهتزازها) وهمسها (عدم اهتزازها)، وعلى وضع الأوتار الصوتية يمكن تحديد صفة الصوت، من حيث الجهر

---

[1]- عبد الفتاح عبد العليم، مرجع سابق، ص39.

[2]- ابن سينا، رسالة أسباب حدوث الحروف، مرجع سابق، ص66.

[3]- نفسه، ص110.

[4]- سمير شريف أستيتة، الأصوات اللغوية، مرجع سابق، ص67.

والهمس، كما أنهما المسؤولان عن نطق الهمزة، وعن درجة الصوت كونه حادً وغليظا"[1].

يبدو أن مرور الهواء من الرئتين حتى الشفاه يحدث تميزا بين الأصوات وكل عارض له دور في صفة الصوت وميزته، والوتران الصوتيان مسؤولان عن الهمزة كما ذكر، وذلك ناتج عن احتكاك في موضع العارض وبه تنشأ مجموعة من الأصوات اللغوية صامتة طبعا، وتكون مجهورة باعتبار تذبذب الوترين الصوتيين أثناء عملية النطق، وهنا يبين ابن سينا (ت427هـ) موضع خروج الهمزة أو مخرجها، فيقول: "إنها تحدث من حفز قوي من الحجاب (الحجاب الحاجز) وعضل الصدر لهواء كثير ومن مقاومة الطرجهالي الحاضر زمانا قليلا لحفز الهواء ثم اندفاعه إلى الانقلاع بالعضل الفاتحة عند اهتزازهما بالضغط الهوائي مع فتح التجاويف العظمية تنتج الهمزة من الجوف"[2]، والجوف يذكره العديد من القراء في تحديد مخرج الهمزة.

وأن مخرج الحرف يقع في حصر الصوت أو ضغطه حتى تعرف صفته وميزته، فكذلك مخرج الهمزة يقول فيه مكي القيسي: "هي صوت هوائي يخرج من هواء الحلق متصلا بهواء الفم لا يعتمد على مخرج معين، وهي أخف الحروف، ولذلك سميت بالحرف الهوائي لأنه يهوي في الفم حتى يصل إلى الحلق"[3]، فإذا عرض الصوت عائق لاستمراره تشكل الحرف في ذلك الموضوع، وفي ذلك يقول ابن جني: "واعلم أن الصوت عرض يخرج مع النفس مستطيلا متصلا حتى تعرض لدى الحلق

---

[1]– عبد الفتاح عبد العليم، مقدمة في علم أصوات العربية، مرجع سابق، ص39، 40.

[2]– ابن سينا، رسالة أسباب حدوث الحروف، مرجع سابق، ص114.

[3]– أبو محمد مكي بن أبي طالب القيسي: الرعاية لتجويد القراءة وتحقيق لفظ التلاوة، تح: أحمد حسن فرحات، دار ابن كثير، بيروت، 2022، ص43.

والفم والشفتين مقاطع تثنيه عن امتداده واستطالته، فيسمى المقطع أينما عرض له حرفا، وتختلف أجراس الحروف بحسب اختلاف مقاطعها"[1].

ويفهم من كلامه هذا "أن الصوت عنده موجود قبل أن يصل الهواء إلى موضع الضغط، بل أنه نص على أن أول الصوت من أقصى الحلق، وفي هذا إشارة واضحة إلى إحساسه بأثر الوترين الصوتيين، فالصوت الذي يحس أثره في الوترين الصوتيين، وليس له في جهاز النطق مقطع هو الألف، وقد اتفق المحدثون على أن اهتزاز الوترين الصوتيين يؤثر في صفة الحرف لا في مخرجه"[2].

وليس من أهداف هذا البحث الإضافة على ذكر وظائف كل عضلة من عضلات الحنجرة... التي تعمل جميعا وتنشذ لإحداث الأصوات وصفاتها جهراً أو همساً جراء تحرك تلك العضلات أفقيا ليمتد الوتران الصوتيان ويشتد توترهما فتتغير درجة الصوت وعند إبساطها يخف التوتر فتخف درجة الصوت، وأهم ما يعنينا من وظائف هذه العضلات ما يتعلق منها بعمل الحنجرة (وظيفتها) وموضعها، إذ أن هذه العضلات تعمل على تغيير موضع الحنجرة ارتفاعاً وانحفاظاً... وغير ذلك مما له أثر في عملية التصويت وسائر العمليات النطقية"[3].

---

[1]– ابن جني، سر صناعة الإعراب، مرجع سابق، ص06.

[2]– حسام سعيد النعيمي، أصوات العربية بين التحول والثبات، مرجع سابق، ص17.

[3]– ينظر: سمير شريف أستيتة، الأصوات اللغوية، مرجع سابق، ص59 وما بعدها.

5.دور الأصوات في بناء الكلمة:

1.5. تشكيل بنية الكلمة:

الكلمة في أي لغة من اللغات البشرية العالمية يتم تأليفها بضم أصواتها بعضها إلى بعض، وتكون صامتة مما يعني خلوها من المعاني.

بيد أنه لا يمكن النطق بها، وحتى يحصل ذلك لابد من وجود حروف اللين أو الحركات (الصوائت)، وهو ما أورده الخليل بقوله: "والفتحة والكسرة والضمة زوائد هن ما يلحق الحروف ليوصل إلى التكلم بها"[1].

ثم أن ضم الأصوات إلى بعضها البعض لتشكيل الكلمة أو الكلمات العربية تحكمه خصائص يمكن إيرادها كما يلي:

أ. نوع الصوت:

يعد الصوت من العناصر المهمة في بنية الكلمة لما لها من سلاسة وسهولة جريان على الألسن طيّعة مما جعل اللغويين يميزون بين المتلائم منها في تشكيل اللفظ والمتنافر منها، كذلك وهو ما كان سببا في استحسان النغم وجماله وإتساق الحروف، وكذلك سببا في استهجان أو فتح الألفاظ وشناعتها، وقد كان الخليل دقيق الإحساس فيما جمل من الألفاظ أو كان قبيحا يمجه إذا سمع ما ثقل ولم يألفه من فصيح الكلام، وروي أنه قال: "سمعنا كلمة شنعاء وهي (الهمخع) وأنكر تأليفها"[2]. ومن أمثلة الثقل والاسهجان فيما ورد من تنافر الحروف ذلك البيت الشهير للجاحظ للحن من الشعر لصعوبة تكراره وقراءته، بقولهم (من الرجز):

وقبر حرب بمكان قفر وليس قرب قبر حرب قبرُ

---

[1]– سيبويه: الكتاب، ج3، تح: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط3، 1988، ص215.

[2]– عبد القادر حسين: أثر النحاة في البحث البلاغي، دار النهضة، مصر، 1975، ص55.

ولقد تم استبعاد الكلمات التي تتألف من أصوات لا تنطق بها ألسنة العرب، ولم تكن مألوفة لديهم.

كما أن علماء اللغة قد استبعدوا الكلمات التي تجتمع فيها حروف يصعب النطق بها، وعلى رأسهم الخليل الذي كان له الفضل في تحديد بناء اللغة، مثل تلك التي حوت فاء، وغين أو خاء وهاء أو قاف وكاف، أو قاف وجيم إلى غير ذلك، مما كان يحسب أنه ليس من طبيعة لغة العرب، وفي ذلك يقول الخليل: "فإن وردت عليك كلمة رباعية أو خماسية معراة من حروف الذلق، أو الشفوية ولا يكون في تلك الكلمة من هذه الحروف حرفا واحداً أو اثنان أو فوق ذلك، فاعلم أن تلك الكلمة محدثة، مبتدعة ليست من كلام العرب"[1].

ثم أن العرب كانوا يتوجسون خيفة في كلامهم من أن يعتريه الثقل أو ما يثقل على ألسنتهم، وبخاصة ما كان يجري في كلامهم.

والخليل إذ بذكر الكلمة الرباعية أو الخماسية دون الثلاثية التي يعتبرها أخف الأبنية، فإذا زادت على ثلاثة ثقلت على ألسنتهم، وعندئذ يضمنونها من الأصوات ما تنطق به ألنستهم وتخف، وهي حروف الذلاقة (الراء، واللام، والنون، والفاء، والباء، والميم)، وقد كانت الأصوات من العلامات التي بها يعرف الأصيل من غير الأصيل في كلام العرب، ومن هذه العلامات "أن يجتمع في الكلمة الواحدة حرفان لم يألف العرب اجتماعهما كالجيم والقاف، والجيم والصاد، والدال والزاي، وأن تكون الكلمة الرباعية أو الخماسية ليس فيها حرف من حروف الذلاقة"[2].

---

[1]– الخليل بن أحمد الفراهيدي: كتاب العين، ج1، تح: مهدي المجزومي وإبراهيم السامرائي، دار مكتبة الهلال، بيروت، دت، ص52.

[2]– جلال الدين السيوطي: الموجز في علوم اللغة وأنواعها، ج1، تح: فؤاد علي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1998، ص270.

ب. توالي الأمثال:

ومن الخصائص كذلك توالي الأمثال، وقد تكلم عن هذه الظاهرة علماء اللغة وأعطوها العديد من التعابير مثل كراهة التضعيف، أو كراهة اجتماع حرفين من جنس واحد، أو كراهة الأمثال.

وللتخلص من الثقل الناتج عن هذه الظاهرة جيء بوسائل أو قوانين لغوية تسهيلا لنطق اللغة، ومنها القلب أو المخالفة، فقد يقلّب أحد المثلين حرفا آخر يكون مناسبا لنسيج الكلمة وجرس أصواتها من مثل: تظنيت، والأصل تظننت، قلبت النون الثانية ياء، "والسبب في المخالفة من الناحية الصوتية هو الصوتين المتماثلين يحتاجان إلى جهد عضلي، وفي النطق بهما في كلمة واحدة، ولتيسير هذا الجهد يقلب أحد الصوتين صوتا آخر من تلك الأصوات التي لا تتطلب جهدا عضليا كاللام والميم والنون"[1].

ج. الفصل بين الحرفين المتماثلين:

ومن الخصائص كذلك الفصل بين الحرفين المتماثلين، وللتخلص من اجتماعهما يفصل بينهما بصوت آخر ليخفف من ثقل اجتماعهما، كأن تزاد الألف بعد الهمزة التالية لها، نحو قوله تعالى: {أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ} [المائدة: 116]. وكذلك قوله تعالى: {أَأَنْتَ فَعَلْتَ هَٰذَا بِآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ} [الأنبياء: 62].

"أأنت" تنطق بها العرب "أنت". وقد وردت منه نظائر كثيرة في القرآن الكريم نحو قوله تعالى: {وَقُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالأُمِّيِّينَ أَأَسْلَمْتُمْ فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوْا} [آل عمران: 20]، وقوله تعالى: {قَالَ فِرْعَوْنُ آمَنتُم بِهِ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ} [الأعراف: 123].

[1]– رمضان عبد التواب، التطور اللغوي، مرجع سابق، ص64.

د. الحذف:

ومن الخصائص كذلك الحذف، فإن العربية تميل إليه للتخلص من التقاء المثلين أو اجتماعهما، وهو على ضربين: حذف الحركة، وحدف الحرف، فأما حذف الحرف فكالذي يتم في الصيغ الصرفية: تفعّل، وتفاعل، وتفعلل، فتحذف عادة تاء المضارعة نحو: تتقدّم، وتتثاقل، وتتبختر، في العربية يكون الاكتفاء بتاء واحدة للتخفيف وتسهيل النطق، وفي القرآن الكريم أمثلة كثيرة نحو قوله تعالى: {ٱتَّبِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُمۡ وَلَا تَتَّبِعُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَۗ قَلِيلٗا مَّا تَذَكَّرُونَ} [الأعراف: 03]. وقوله تعالى: {ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ أَفَلا تَذَكَّرُونَ} [يونس: 03]. وكذلك قوله تعالى: {تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ الْغَيْظِ} [الملك: 08]. بدلا من تتميز.

وأما حذف الحركة فقد "أطلق النحاة على حذف الحركة مصطلح التسكين، فالتسكين إذن هو حذف الحركة وإحلال السكون محلها، والحركة موجبة، والتسكين سلب للحركة عن الحرف من أجل هذا تعد الحركة قسيما للسكون"[1].

ولذلك عدّه العلماء مظهرا من مظاهر التخفيف، فإذا سكن حرف اعتبر ذلك من الخفة في اللغة، فقد أجاز النحاة في فَعُلَ وفَعِلَ تسكين وسط الكلمة اسما كانت أم فعلا، كما في عَضُدَ، وفَخِذَ، إذ يقال: عضْد، فخْذ.

وقد آثر بعضهم أن لا تسكن الكلمة المفتوحة العين، لخفة الفتح والحركات بصفة عامة أثقل من السكون، وهنا يتضح أن الرأي بأخف الحركتين الفتح أم السكون يذهب إلى اتجاهين:

منهم من يرى أن السكون أخف من الفتح، لأن الفتح حركة والسكون سكب للحركة، ومنهم من يرى أن الفتحة أخف من السكون لأنها أخف الحركات، وفي ذلك يقول الأصمعي قلت لأبي عمرو: "لمَ لا تقرأ رغْبا ورهْبا بالسكون مع ميلك للتخفيف

[1]– أحمد عفيفي: ظاهرة التخفيف في النحو العربي، مرجع سابق، ص224.

في قوله تعالى: {إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ} [الأنبياء: 90]، فقال: ويلك احْل أخف أم حَملَ ويعني المفتوح لا يخفف"[1].

وقال سيبويه: "وأما ما توالت فيه فتحتان فإنهم لا يسكنون لأن الفتح أخف عليهم من الضم والكسر"[2].

كما أن ظاهرة المسوغ من الصرف، أو حذف التنوين لها دور فعال في بنية الكلمة، وفي ذلك يقول رمضان عبد التواب مفسراً ذلك في كلمة (أشياء) من قوله تعالى: {لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ} [المائدة: 101] بأنه لو نونت هذه الكلمة لأدى تنوينها إلى اجتماع مقطعين متماثلين، الأول ناشئ في التنوين في (أشياء)، والثاني من الحرف إن"[3].

هـ. القلب المكاني:

ومن خصائص الأصوات المشكلة للكلمة كذلك القلب المكاني، ورد معنى القلب في لسان العرب بأنه: "تحويل الشيء عن وجهته قلبه يقلبه قلبا"[4]، هذا المعنى في اللغة.

وأما المصطلح، فهو وضع حرف مكان حرف آخر بالتقديم أو التأخير، كما ذكر ذلك أبو حيان: "القلب يصير الحرف مكان الحرف بالتقديم أو التأخير"[5]، غير أن التغيير الواقع في بنية الكلمة لم يكن بمقياس الإطراد، بل هو محدود بألفاظ معينة، "ومع ذلك لم يطرد شيء منه بل يحفظ حفظا لأنه لم يجيء في باب ما يصطلح أن يقاس عليه"[6].

---

[1]- ينظر: أحمد عفيفي، ظاهرة التخفيف في النحو العربي، مرجع سابق، ص227.

[2]- سيبويه، الكتاب، ج2، مرجع سابق، ص258.

[3]- رمضان عبد التواب، التطور اللغوي، مرجع سابق، ص74.

[4]- ابن منظور: لسان العرب، ج1، مادة قلب، مرجع سابق، ص685.

[5]- جلال الدين السيوطي: همع الهوامع، ج6، تح: عبد العالي سالم مكرم، دار البحوث العلمية، بيروت، 1979، ص440.

[6]- نفسه، ص440.

وقد تم التقليب على أوسع مواضع الحروف، وكذلك التقديم والتأخير، ولا يكون محصورا في نوع واحد من الكلمة، بل يحدث التغيير بمواقع الحروف فيها، وقد يتجاوز ذلك ليقع التبادل في الحركات الإعرابية، أو يقع التبادل للمعاني في التراكيب والجمل.

وقد يرد القلب المكاني في الإعراب، ومن الأمثلة على ذلك قولهم: (خرق الثوب المسمار) و(كسر الزجاج الحجر)، أو ما أورده الأخطل في شعره:

أما كليب بن يربوع فليس لها عند المفاجر إيراد ولا صدر

مثل القنافد هداجون قد بلغت نجران أو بلغت سوءاتهم هجر

وهو يريد إبلاغ نجران أي بلغوا نجران[1].

وهنا قد يأخذ الفاعل إعراب المفعول به أو العكس، عند تفادي اللبس، ولأن الشعر له خاصيته فكان القصد من الإعراب هو بيان المعنى، فإن كان واضحا جليا لم يعيروا الحركات أهمية لأنها قرينة دالة على المعنى المراد، والمعنى قد يفهم من السياق أو من نظم الجملة بكاملها عند القلب، وهو ما يسمى بقلب القصة، كذلك مثل قولهم: عرضت الناقة على الحوض، يريدون عرضت الحوض على الناقة، وكذلك قولهم: أدخلت القلنسوة في رأسي، والحقيقة أدخلت رأسي في القلنسوة.

والقلب في الإعراب فيدرس في النحو وهو ميدانه، وأما ما يقع في قلب في المعنى فمجاله البلاغة، وأما القلب المقصود في البحث قيد الدراسة فهو القلب في الصرف، وهو خاص بحروف العلة، لذلك يقول بن مالك: "وأكثر ما يكون القلب في المعتل والمهموز"[2].

[1]– محمد بدوي المشخون: ظاهرة القلب المكاني في العربية، مجلة كلية اللغة العربية، العدد 11، 1981، ص269، 270.

[2]– جلال الدين السيوطي، همع الهوامع، ج6، مرجع سابق، ص440.

ويأتي القلب كذلك بتقديم الأمر على متلو العين، أو بتقديم العين على الفاء في مثل: آيس، وجاه، وأنيق، وآبار، أو اللام على الفاء كما في أشياء، على راي"[1]، أو بتأخير اللام على الفاء في الحادي، أو بتقديم اللام الأولى على العين كما في طمأن.

يذكر هذه المسألة وما تعلق بالتقارب تقديما وتأخيرا ابن جني في كتابه الخصائص في باب الأصلين، حيث يقول: "اعلم أن كل لفظين وجد فيهما تقديم وتأخير فأمكن أن يكونا جميعا أصلين ليس أحدهما مقلوبا عن صاحبه، فهو القياس الذي لا يجوز غيره"[2]، وهو بذلك يعرض وجهة نظره في هذا القلب معتبرا تساوي الكلمتين في التصرف هو الأصل وذلك مثل (جذب، حبذ)، وهو بذلك لا يعتبرهما من القلب، فهما أصليان لا قلب فيهما، وليس أحدهما مقلوب على الآخر لأنهما يتصرفان تصرفا واحداً، ويؤخذ من كل منهما المشتقات المعروفة، كالفعل والفاعل واسم الفاعل والمصدر وغيره، على خلاف كلمة (اضمحل) التي تقلب (امضحل) ولا يمكن أن يصاغ منها المصدر، ومثلها (اكفهر) التي تقلب (اكرهف).

وقد اختلفت الآراء بين اللغويين ابن جني، وسيبويه، والجرمي في كلمة طمأن، حيث يراها سيبويه مقلوبة من طأمن على خلاف الجرمي.

وأما لفظ (أينق) فقد رأى فيه سيبويه مذهبين، الأول أن تكون على (أنوق) قلبت إلى ما قلبها من الفاء فصارت في التقدير (أونق)، ثم أبدلت الواو ياء فصارت (أينق)، والآخر أن تكون العين حذفت ثم عوضت الباء منها قبل الباء فمثالها (أيفل)، ليأتي كلام ابن جني موضحا في القلب رأيه بقوله: "والقلب في كلامهم كثير وقد قدمنا في هذا الباب أنه متى أمكن تناول الكلمة على ظاهرها لم يجز العدول عن ذلك بها، وإن دعت ضرورة إلى القول بقلبها كان ذلك مضطرا إليه لا محتارا"[3].

---

[1]- أصل أشياء: جمعت على شيئاء، نحو طرفاء، فوزنها سيبويه على لفعاء.

[2]- ابن جني، الخصائص، ج2، مرجع سابق، ص69.

[3]- نفسه، ص82.

ولقد تعددت مظاهر القلب المكاني التي تعمل على تشكيل بنية الكلمة العربية تسهيلا للنطق والاستعمال، وتخفيفا رغم ما كان من صعوبة تحديد الأصل من المقلوب.

بيد أن علماء اللغة وبخاصة علماء الصرف منهم قد أخذوا على عاتقهم مهمة البحث والتنقيب في هذه الظاهرة، وصاغوا لها قواعد فيها تمم معرفة الكلمة الأصلية من المنقلبة عنها، ومن ذلك:

- "أن يكون أحد النظمين أكثر استعمالا من الآخر، فالأكثر استعمال هو الأصل من مثل لعمري ورعملي"[1].
- الاشتقاق: ومن المعروف أن الاشتقاق يوضح أصل الكلمة، وهو أن يأتي التصريف فيه على أحد النظمين دون الآخر في مثل شاع فهو شائع، ولا يقال شعا فهو شاع، وللعلم بذلك أن شوائع هو الأصل وشواع هو المنقلب عنه.
- أن يكون كذلك في أحد النظمين ما يشهد أنه متقلب من الآخر أو ما عبر عنه بالصحة أو الاعتدال، نحو: (أيس، يئس)، إذا لو لم يكن (أيس) مقلوبا لوجب إعلاله ليقال فيه (آس) بحسب قواعد الإعلال.
- وورود صيغة الجمع مخالفة لصيغة المفرد تقديما وتأخير"[2].
- أن يترتب على عدم القلب اجتماع همزتين أو مثيلين نحو: أأبار التي هي آبار، قووس التي هي قسي.

وقد تعددت الأسباب والدواعي التي توجب وقوع هذا من القلب المسمى المكاني، فهي عبارة دواع صوتية من طبيعة بناء صيغة الكلمة، وهي أحيانا من اللهجات العربية عرفت وانتشرت بينها.

---

[1]- جلال الدين السيوطي، همع الهوامع، ج6، مرجع سابق، ص441.

[2]- عبد الفتاح حموز: ظاهرة القلب المكاني في العربية، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1986، ص270.

وقد تجتمع في بناء الكلمة حروف العلة كاجتماع واوين في مثل كلمة (قووس) الأصل لقسي، ولذلك يتم اللجوء إلى القلب فيها أي في قووس، ويقع الإعلال في أحدهما فتصير قسي، ومثله في كلمة "أياسى فاصله ايائم على وزن قبائل"[1].

وكذلك توالي الهمز في مثل كلمة شيئاء التي وزنها لفعاء، فتوالي الهمزات فيها أثقلها، والعرب تمج الثقل، فكان القلب المكاني ملجأها للتخلص من هذا الثقل لتصير أشياء، ومثلها آبار التي تحولت بواسطة القلب المكاني إلى أأبار، ثم من خلال قواعد الإعلال في الهمزة صارت آبار.

كما أن لهجات القبائل العربية على اختلافها كانت سببا في إتساع دواعي هذا النوع من القلب في اللغة العربية طلبا للتخفيف وتسهيل الكلام، واختلاف القبائل أدى إلى اختلاف النطق والكلمات، ولذلك نلحظ علماء الصرف خاصة "يعزون بعض الكلمات إلى قبائل بعينها مثل كلمة جمرزت لغة في جرمزت، أي حادت عن الطريق ونكصت، وصاقعة، والصواقع من الصواعق، وتنسب إلى تميم وقد قرئ بها"[2].

وفي قوله تعالى: {يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ مِنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ} [البقرة: 19]. وكلمة عميق في لغة المجاز، أما لغة تميم فهي معيق وبها قرأ بن مسعود {يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ} [الحج: 27]، وكلمة اضمحل لغة كلاب، والبطيخ عند أهل الحجاز الطبيخ. وفي الحديث: "كان النبي صلى الله عليه وسلم يأكل الطبيخ الرطب"[3].

و. المخالفة:

ومن بين الوسائل والقوانين اللغوية التي تضبط الأصوات في بنية الكلمة قانون المخالفة، وهو من أشهر القوانين التي اعتمد عليها اللغويون المحدثون في تفسير

---

[1]– جلال الدين السيوطي، همع الهوامع، ج6، مرجع سابق، ص440.

[2]– قرأ بها الحسن البصري.

[3]– عبد الفتاح حموز، ظاهرة القلب المكاني في العربية، مرجع سابق، ص291.

وتوضيح الظواهر الصوتية في النحو والصرف، كما جاء في تعريف الدكتور أحمد مختار عمر: "تعديل الصوت الموجود في سلسلة الكلام بتأثير صوت مجاور"[1]، أو هي "ظاهرة صوتية تجري بتغيير أحد الصوتين المتماثلين في صوت مخالف تيسيرا للنطق وتخفيفا للانسجام الصوتي في الكلام"[2].

والمخالفة لها علاقة وطيدة، بل وثيقة بالقلب المكاني لظاهرة لغوية صوتية، فتقديم بعض الأصوات على بعضها البعض في الكلمة لتفادي صعوبة تتابعها، وللسهولة والخفة في النطق بها، فهي مثلا تحدث في اللغة العربية بين صوت الصفير والواو، في مثل كلمة قسي، والأصل فيها قووس، كما يحدث كذلك بين السين والأصوات الغارية، والشفوية في مثل الاكسندر والاسكندر، وظاهرة المخالفة تبدو جلية في أراق المنقلبة عن وراق.

كما أن اللغة العربية تمتاز بالسهولة والمرونة، فهي بطبيعتها تميل في تطورها إلى السهولة والتسيير والتخفيف، فتحاول بذلك التخلص من الأصوات عسيرة النطق، "وتستبدل بأصوات أخرى لا تتطلب جهدا عضليا كثيرا"[3].

فالقلب المكاني يحاول بجميع السبل المذكورة إبعاد الصوت عن مقلبه قدر الإمكان أو يسلط عليه ما يمكن أن يناسبه من إعلال لثبت ظاهرة التخفيف في المنجز اللغوي في القرآن الكريم أو في اللغة عموما.

---

[1]– أحمد عمر مختار، دراسة الصوت اللغوي، مرجع سابق، ص329.

[2]– عبد القادر مرعي خليل: المصطلح الصوتي عند علماء العربية القدماء في ضوء علم اللغة المعاصر، منشورات جامعة مؤتة، الأردن، 1993، ص139.

[3]– أحمد عمر مختار، مرجع سابق، ص45.

الفصل الثاني

الوظائف اللسانية لبعض الأحكام اللغوية

1. القراءات و أثرها في ظاهرة التخفيف.
2. الوظيفة اللسانية للظواهر اللغوية.
3. أثر القوانين الصوتية في العوامل النحوية

1. القراءات القرآنية وأثرها في ظاهرة التخفيف:

1.1. القراءات القرآنية:

القرآن الكريم أنزل بلغات العرب ولهجاتهم على اختلاف مشاربهم، فكان كل واحد يقرأه على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم بلحن قومه حتى إذا آنس أحدهم اختلافا في قراءة، سمعها من إنسان عما قرأه رسول الله صلى الله عليه وسلم، هرع إليه شاكيا، فسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم من كل واحد قراءته، فأقرّه عليها، ومن هنا أقام عزّ في علاه للقرآن الكريم "أئمة تجردوا لتصحيحه، وبذلوا أنفسهم في إتقانه، وتلقوه من النبي صلى الله عليه وسلم حرفا حرفاً، ولم يهملوا منه حركة ولا سكونا، ولا إثباتا ولا حذفا، ولا دخل عليهم في شيء منه شك"[1].

أدى ذلك الاختلاف في القراءة للنص القرآني "وهي الوجوه المختلفة التي سمح النبي بقراءة نص المصحف بها قصدا للتيسير، والتي جاءت وفقاً للهجات العربية، يقول بن الجزري، فأما سبب وروده على سبعة أحرف للتخفيف على هذه الأمة، وإرادة اليسر بها، والتهوين عليها، وتوسعة ورحمة، وخصوصية لفضلها وإجابة لقصد نبيها... حيث أتاه جبريل فقال له: إن الله يأمرك أن تقرأ أمتك القرآن على حرف، فقال صلى الله عليه وسلم، أسأل الله معافاته، ومعونته، إن أمتي لا تطيق ذلك ولم يزل يردد المسألة حتى بلغ سبعة أحرف"[2].

وقد ورد في اللغة العربية معنى القراءات أنها: "جمع مؤنث سالم، مفرده قراءة وهو مصدر قرأ بالهمز، والمعاني اللغوية لهذه الكلمة في المعاجم كثيرة، فأصلها يرجع إلى معنى واحد، القاف والرّاء والحرف المعتل، أصل صحيح يدل على جمع واجتماع،

---

[1]– ابن الجزري: طيبة النشر في القراءات العشر، ج1، تح: محمد علي الضباع، دار الكتب العلمية، بيروت، دت، ص06.

[2]– ينظر: أحمد عمر مختار: البحث اللغوي عند العرب، عالم الكتب، القاهرة، ط6، 1988، ص19.

من ذلك القرية سميت قرية لاجتماع الناس فيها، ويقولون: قريت الماء في المقراة جمعته"[1].

وجاء في معجم المحيط في اللغة: "قرأت القرآن قراءة، فأنا قارئ والقرآن مقروء، ورجل قارئ، أي عابد ناسك، وسمى القرآن قرآناً لأن القارئ يظهره ويبينه، ويلفظه من فيه"[2].

ويستدرك ابن القيم الجوزية من معرض تحريره لمسألة اشتقاق القرء على من جعل مادة "قرأ" في معنى واحد مع مادة قريَ بقوله: "والقرءُ من المهموز من بنات الهمز، من قرأ يقرأ، كنحر ينحر، وهما أصلان مختلفان، فإنهم يقولون: قريت الماء في الحوض أقريه أي جمعته. ومنه سميت القرية، ومنه قرية النمل: للبيت الذي تجتمع فيه لأنه يريها أي يضمها ويجمعها، وأما المهموز فإنه من الظهور والخروج على وجه التوقيت والتحديد، ومنه قراءة القرآن، لأنه قارئه يظهره، ويخرجه مقداراً محدوداً لا يزيد ولا ينقص، ويدل عليه قوله: {إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ} [القيامة: 14]، ففرق بين الجمع والقرآن، ولو كانا واحداً لكان تكريراً محضا، ولهذا قال بن عباس ربي الله عنه: {فَإِذا قَرَأْناهُ فاتَّبِعْ قُرْآنَهُ} [القيامة: 18]، فإذا بيناه، فجعل قراءته نفس إظهاره وبيانه، لا كما زعم أبو عبيدة أن القرآن مشتق من الجمع"[3].

وجاء كذلك بمعنى: قرأ الكتاب قراءة وقرآنا، أي تتبع كلماته نظر ونطق بها، أو تتبعها ولم ينطق بها (القراءة الصامتة)، وقرأ الآية من القرآن: نطق بألفاظها عن نظر

---

[1]– ابن منظور، لسان العرب، ج1، مرجع سابق، ص128.

[2]– أبو القاسم إسماعيل بن عباد: المحيط في اللغة، ج6، تح: محمد حسن آل ياسين، دار عالم الكتب، القاهرة، ط1، 1994، ص09.

[3]– ابن القيم الجوزية: زاد المعاد في هدي خير العباد، ج5، تح: شعيب الأرناؤوط، عبد القادر الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1998، ص564.

أو عن حفظ فهو قارئ، ج قراء، وقرأ الشيء قرءًا وقرآنا جمعه وضم بعضه إلى بعض"[1]، كما لها معان كثيرة أخرى وعديدة يضيق المقام ببسطها جميعا.

وأما ما جاء من تعريف في المصطلح، فقد تناوله علماء القراءات بكثرة تفاوتت بين مفصل، ومجمل، ومسهب، وموجز، فكان منهم من ركز على جانب وأغفل الآخر، وإذ نورد بعضا منها، فهو بإيجاز دون تفصيل، وتجدر الإشارة إلى أنه لا يخلو كتاب في علم القراءات من بعض هذه التعاريف.

ولقد كان الإمام بن الجزري خاتمة المحققين في هذا العلم، وعلى كلامه بنى من جاء بعده، وتعريفه أشمل التعاريف حيث يقول: "القراءات علم بكيفية آداء كلمات القرآن واختلافها بعزو الناقلة"[2]، ويمكن القول بأن حدّه هذا جاء جامعاً مانعاً من حيث دلالته على الرجوع إلى المشافهة عند التلقي والتحمل وحسن الضبط عند الأداء مع معرفة محل الاتفاق، والاختلاف بين القراء، كل ذلك منسوبا إلى ناقليها ثابتا من جهة النقل الصحيح، والسماع عنهم، إذ القراءة سنة متبعة ونقل محض.

كما أنه ورد التعريف في كتاب البرهان: "اختلاف ألفاظ الوحي المذكور في كتبة الحروف أو كيفيتها من تخفيف وتثقيل وغيرها"[3]، وجاء في مفتاح السعادة تعريف القراءات بأنها: "علم يبحث فيه عن صور نظم كلم الله تعالى من حيث وجوه الاختلاف المتواترة... وقد يبحث فيه أيضا عن صور نظم الكلام من حيث الاختلافات غير المتواترة الواصلة إلى حدّ الشهرة"[4].

---

[1]- ينظر: مجمع اللغة العربية بالقاهرة، المعجم الوسيط، ج2، (مادة قرأ)، مكتبة الشروق الدولية، مصر، ط4، 2008، ص722.

[2]- ابن الجزري: منجد المقرئين ومرشد الطالبين، مكتبة القدسي، القاهرة، 1999، ص09.

[3]- بدر الدين الزركشي: البرهان في علوم القرآن، ج1، تح: أبو الفضل إبراهيم، دار الحديث، القاهرة، 1957، ص318.

[4]- طاش كبرى زادة: مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم، ج2، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1983، ص06.

وكذلك يعرفها الإمام الزرقاوي في كتابه مناهل العرفان بقوله: "إنه مذهب يذهب إليه إمام من أئمة القراء مخالفا به غيره في النطق بالقرآن الكريم، مع إتقان الروايات والطرق عنه سواء أكانت هذه المخالفة في الحروف أم نطق في هيئاتها"[1].

ويوضح لنا عبد العلي المسؤول في كتابه الإيضاح معنى المتفق عليه بين القراء والمختلف فيه بضرب مثال على هذا الاتفاق، وأمثلة على اختلافهم في اللغة، والإعراب، والحذف، والإثبات، والتحريك والتسكين بقوله: "فالقراء مثلا اتفقوا على قراءة (الرحمن الرحيم) في الفاتحة بالجر، واختلفوا في ألفاظ مثل اختلافهم في لفظ (القُدُس)، حيث قرأ بن كثير باسكان الدّال في جميع القرآن، والباقون بالضم، وهما لغتان حسنتان، واختلفوا في الإعراب كاختلافهم في لفظ (والأرحام) بالنساء، حيث قرأه حمزة بالجر، والباقون بالفتح، واختلفوا في الحذف والإثبات كقوله تعالى: (وما عَمِلَتْ أيْدِيهم)، حيث قرأ شعبة وحمزة والكسائي (وما عملت) والباقون (وما عملته أيديهم)، واختلفوا في تحريك أواخر كلمات أو إسكانها كلفظ (مَحْيَايَ)، حيث أسكن رافع آخره وفتحه الباقون"[2].

ومن هنا نجد التعاريف على ما وردت به تدور حول محاور ثلاثة، أولها حقيقة الاختلاف بين القراءات، وثانيها النقل الصحيح سواء أكان متواترا أم آحاداً، والثالث مواضيع الاختلاف في القراءات.

وذكر أبو عبيد الله القاسم بن سلام في أول كتابه في القراءات، من نقل عنهم شيئا من وجوه القراءة من الصحابة وغيرهم، فذكر منهم "من الصحابة أبا بكر وعمر وعثمان وعليا، وطلحة، وسعدا، وابن مسعود وحذيفة وسالما، وأبا هريرة وابن عمر، وابن عباس، وعمر بن العاص وابنه عبد الله، ومعاوية، وابن الزبير، وعبد الله بن

[1]– محمد عبد العظيم الزرقاوي: مناهل العرفان في علوم القرآن، ج1، دار الكتاب العربي، بيروت، ط1، 1995، ص402.

[2]– عبد العلي المسؤول: الإيضاح في علم القراءات، عالم الكتب الحديث، القاهرة، ط1، 2008، ص06.

السايب، وعائشة، وحفصة، وأم سلمة، وهؤلاء كلهم من المهاجرين، وذكر من الأنصار: أبي بن كعب، ومعاذ بن جبل، وأبا الدرداء، وزيد بن ثابت، وأبا زيد، ومجمع بن جارية، وأنس بن مالك رضي الله عنهم"[1].

ولما انتقل الرسول صلى الله عليه وسلم إلى جوار ربه، قام من بعده أبو بكر بأمر المسلمين، وفي حربهم لأهل الردة، قتل عدد كبير من الصحابة، فأشير على أبي بكر يجمع القرآن في مصحف واحد، من أن يذهب القرآن بذهاب الصحابة، "فأمر زيد بن ثابت بتتبع القرآن وجمعه، فجمعهُ في مصحف كانت عند أبي بكر رضي الله عليه حتى توفي، ثم عمر رضي الله عنهما، ثم عند حفصة رضي الله عنهم"[2].

وفي خلافة عثمان بن عفان رضي الله عنه اختلف الناس في قراءة القرآن، ومن هنا نسخ عدة نُسخ عن المصحف الشريف ووزعت على الأمصار، "فوجه بمصحف إلى البصرة، وآخر إلى الكوف، وإلى الشام، وترك مصحفا بالمدينة، وأمسك مصحفا لنفسه، ووجه مصحفا إلى مكة، ومصحفا إلى اليمن، ومصحفا إلى البحرين، وجردت هذه المصاحف جميعها من النقط والشكل ليحتملها ما صح نقله وثبت تلاوته عن النبي صلى الله عليه وسلم"[3].

ثم انتشر القراء وكثروا، وتفرقوا فكان منهم المتقن للتلاوة المشهور بالرواية والدراية، ومنهم المقتصر على وصف من هذه الأوصاف، وكثر بينهم ذلك الاختلاف، وقل الضبط واتسع الخرق، وكاد الباطل يلتبس بالحق، وهذا ما ألزم جهابذة علماء الأمة، فبالغوا في الاجتهاد، وبينوا الحق المراد وجمعوا الحروف والقراءات، وعززوا الوجوه والروايات وميزوا بين المشهور والشاذ، فكانت الأحرف السبعة التي أنزل بها

---

[1]– ابن الجزري، طيبة النشر في القراءات العشر، مرجع سابق، ص06.

[2]– نفسه، ص07.

[3]– نفسه، ص07.

القرآن والحرف لفظ يستعمل في اللغة بمعنى الوجه والطريقة، ومنه قوله تعالى: {وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ} [الحج: 11]، أي على وجه واحد.

واختلف العلماء في معنى الأحرف السبعة التي نزل عليها القرآن الكريم، فذهب قوم إلى القول بأن (السبعة) ليس المراد بها حقيقتها أي عدد سبعة وإنما يراد (بالسبعة) الكثرة.

قال صاحب حجة القراءات بأن المراد بها أي "(السبعة) التعدد والكثرة لا تحديد العدد سبعة"[1].

واستدل على ذلك بقوله تعالى: {اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ} [التوبة: 80].

ولا يفهم من ذلك بأن النبي صلى الله عليه وسلم لو يستغفر لهم فوق السبعين لغفر الله لهم، وقد قيل إنما السبعون ذكرت حسما لمادة الاستغفار لهم، لأن العرب في أساليب كلامها تذكر هذا العدد في مبالغة كلامها، لا أن يكون مازاد عليها بخلافها.

والقراءات القرآنية هي "اختلاف ألفاظ الوحي المذكور في كتابة الحروف، أو كيفيتها من تخفيف وتثقيل وغيرها"[2].

وقد وضع العلماء ضوابط دقيقة لهذه القراءات لتمييز صحيحها عما لا يصح، وأخضعوا القراءات لهذه الضوابط وحدثت خلافات حولها حتى استقرت على ثلاثة أركان، اتفقوا على اثنين وبقي الاختلاف على الثالث.

---

[1]– أبو زرعة عبد الرحمان بن محمد: حجة القراءات، تح: سعيد الأفغاني، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1997، ص09.

[2]– بدر الدين الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ج1، مرجع سابق، ص223.

"فكل قراءة وافقت العربية ولو بوجه ووافقت أحد المصاحف العثمانية ولو احتمالا وصح سندها فهي القراءة الصحيحة التي لا يجوز ردها ولا يحل إنكارها، بل هي من الحروف السبعة التي نزل بها القرآن الكريم، ووجب على الناس قبولها، سواء أكانت عن الأئمة السبعة أم العشرة أم غيرهم من الأئمة المقبولين، ومتى اختل ركن من هذه الأركان، عدت ضعيفة أو شاذة أو باطلة سواء كانت عن السبعة أم عمن هو أكبر منهم"[1].

فموافقة رسم أحد المصاحف العثمانية ولو تقديراً كقراءة ابن كثير: {جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ} في أواخر سورة التوبة بزيادة كلمة (من)، فإن ذلك ثابت في المصحف المكي وقد قبل تقديراً لأنه يكفي في الرواية أن توافق رسم المصحف ولو موافقة غير صريحة، ومثال ذلك: {مَالِكَ يَوْمِ الدِّينِ} [الفاتحة: 01]، حيث يحذف الألف في جميع المصاحف، ولذلك تحتمله قراءة الحذف تخفيفا وتحتمله القراءة بالألف تقديراً.

وكذلك موافقة اللغة العربية ولو بوجه، حيث يشترط العلماء أن توافق وجها من وجوه اللغة العربية بغض النظر عن درجة فصاحته، وعن الإجماع أو الاختلاف فيه اختلافا لا يضرُّ مثله إذا كانت القراءة شائعة، وتلقاها الأئمة بالإسناد الصحيح.

وبذلك لا يمكن رد قراءة حمزة للآية: {وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ} بجر الأرحام عطفا على المجرور دون إعادة الجار، وما يجيزه الكوفيون ويخالفه البصريون.

ومن الشروط أيضا أن تكون القراءة متواترة، وقد اختلف العلماء في هذا الشرط، فالجمهور اشترطوا التواتر من أول السند إلى منتهاه، ومنهم من اكتفى بصحة السند مع الاستفاضة والشهرة وهو ابن الجزري ومن حذا حذوه، وقد لخصها أي الأركان بقوله المذكور آنفا كل قراءة وافقت العربية...

[1]– ابن الجزري، طيبة النشر في القراءات العشر، ج1، مرجع سابق، ص15.

وقال في الطيبة:

فكل ما وافق وجه نحو وكان للرسم احتمالا لا يحوي

وصح اسناداً هو القرآن فهذه الثلاثة الأركان

وحيثما يختل ركن أثبت شذوذه لو أنه في السبعة[1]

وأما ما اختلف فيه من شرط فهو يرى أن الأحرف السبعة هي وجوه التغاير السبعة التي لا يخرج عنها الاختلاف في القراءات، وهي:

- اختلاف وجوه الإعراب.
- الاختلاف بالنقص والزيادة.
- الاختلاف بالتقديم والتأخير.
- الاختلاف بالإبدال.
- اختلاف اللهجات كالفتح والإمالة، والتفخيم والترقيق، والإظهار والإدغام"[2]، والمتفق عليه بين هذه الآراء أنها الأحرف التي نزل عليها الذكر الحكيم لتسيره للناس.

ولما كانت القراءة على غير درجة واحدة من الصحة والتواتر، وبعد أن حصل تفرق القراء في الأمصار وكثرت الروايات، والأوجه التي لا تكاد تحصى، وإذا كانت الضرورات النطقية قد حتمت وألزمت أخذ بعض الظواهر اللغوية بعين الاعتبار في القراءات كالإدغام والإعلال والإمالة وغيرها، فإن بعض التقاليد النطقية قد جرى على التصرف في بعض الحروف كالهمزة بالحذف أو التخفيف، ذلك ما كان له الأثر الواضح للقراءات في ظاهرة التخفيف.

---

[1]– ابن الجزري، طيبة النشر في القراءات العشر، مرجع سابق، ص09.

[2]– ينظر: مصطفى ديب البغا محي الدين ديب مستو: الواضح في علوم القرآن، دار الكلم الطيب، دمشق، ط2، 1998، ص15.

2.1. أثر القراءة في التخفيف:

وقد قسم العلماء القدامى أحوال الهمزة المخففة إلى:

- ✓ "ساكنة ما قبلها متحرك.
- ✓ متحركة فما قبلها إما ساكن وتدخل في ذلك ثلاث حالات:
  - أن يكون الساكن صحيحا.
  - أن يكون الساكن ألفا.
  - أن يكون الساكن واواً أو ياء.
- ✓ وإما أن يكون ما قبلها متحركا وأحوالها حينئذ تختلف باختلاف حركتها هي واختلاف حركة ما قبلها أيضا"[1].

"وإذا سكنت الهمزة وأريد تخفيفها نظرا إلى حركة ما قبلها، فإن كان فتحة صار ألفا، وإن كان ضمة صارت واواً، وإن كان كسرة صارت ياء مثل (رأس، وراس)، و(جؤنه، وجونه)، و"ذئب، وذيب)، والمنفصل كالمتصل في هذا التخفيف، فتقرأ: إلى الهدى أتنا إلى الهداتنا... والذي أتمن: الذي يمُّن وهذا قياس مطرد"[2].

وتسقط الهمزة عند بعض القراء ويعوض عنها أو عن موقعها بالتضعيف، فقد:

- قرأ الزهري وقتادة الآية: {بين المرّ وزوجته} من غير همزة بالتشديد.
- وقرأ الحسن والزهري: بين المرء وقلبه من غير همزة وبالتشديد.
- وقرأ يزيد بن القعقاع: جزًّا بتشديد الزاي وهي في حفص جزءًا.
- قرأ أبو جعفر والزهري وشيبة: جزًّا بالتشديد.
- وقرأ الزهري: دفٌّ بالتشديد، وهي في حفص دفءٌ بسكون الفاء وبالهمزة"[3].

---

[1]– عبد الصبور شاهين: القراءات القرآنية في ضوء علم اللغة الحديث، مكتبة الخانجي، القاهرة، دت، ص97.

[2]– نفسه، ص97.

[3]– نفسه، ص135.

- وقراءة بعد الكلمات التي تكون الهمزة بين حركة طويلة من مثل ما قرأه الزهري والحسن ونافع (ثلاثة قروّ) بغير همزة، وهي في حفص قروء.
- وقرأ الحسن والأعمش (أساءوا السُّوَى) بتشديد الواو وهي في حفص السُّوأى.
- وقرأ عيسى الثقفي (سيّغا للشاربين) بتشديد الياء. وذكر ابن جني أن قراءة عيسى بسكون الياء، وعزا تشديد الياء لفرقة، وكذلك فعل ابن خالوية أيضا والبحر، ويبدو أن كلا الوجهين مروي عن عيسى، والوجه في حفص (سائغا).
- وقرأ عيسى وعاصم، وأبو عمر (سيّغ شرابه) بتشديد الياء، وذكر ابن جني أن قراءة عيسى بسكون الياء كسابقتها[1].

[1]– عبد الصبور شاهين، القراءات القرآنية، مرجع سابق، ص136.

2. الوظيفة اللسانية للظواهر اللغوية:

لقد أولى علماء القراءات والتجويد الظواهر اللغوية اهتماما بالغا، وبذلوا في ذلك جهودا معتبرة، رغم أنها كانت مفرقة في مصنفاتهم، وقد ورد مجمله في بعض منها، وظاهرة الإدغام تعد من الظواهر الصوتية التي تهدف إلى تيسير عملية النطق وتخفيف عبء ثقله، وبالاعتماد على الجهود السابقة لبعض العلماء اللغويين كما الاستعانة بما بذله المحدثون من أثر في تبيان صورة الإدغام سنورد ما أمكن من توضيح لهذه الظاهرة ونركز على الإدغام لكثرة تعلقه بالتخفيف.

1.2. الإدغام:

من معاني الجذر د.غ.م الإدخال، قال الجوهري: "وأدغمت الفرس اللجان إذا أدخلته في فيّه، ومنه إدغام الحروف، يقال أدغمت الحرف وأدغمته على افتعلته"[1].

واستعمل سيبويه الإدخال في تعريفه للإدغام، حيث قال: "والإدغام إنما يدخل الأول في الآخر، والآخر على حاله، ويقلب الأول فيدخل في الآخر حتى يصير هو والآخر في موضع واحد نحو قد تركتك"[2].

وعرفه بقوله: "الحرفان اللذان تضع لسانك لهما موضعا واحدا لا يزول عنه، وقد بين أمرهما إذا كان من كان من كلمة لا يفترقان، وإنما بينهما في الانفصال"[3].

كما يعرفه الزجاجي بقوله: "ومعنى الإدغام هو أن يلتقي حرفان من جنس واحد، أو يلتقي حرفان متقاربان في المخرج فيستبدل الأول حرفا من جنس الثاني، وتدغمه فيه فيصير حرفا واحدا"[4].

---

[1]- أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تح: أحمد عبد الغفور عطار، (مادة دغم)، دار العلم للملايين، بيروت، 1987، ص656.

[2]- سيبويه، الكتاب، ج4، مرجع سابق، ص105.

[3]- نفسه، ص437.

[4]- عبد الرحمان بن إسحاق الزجاجي: الحمل في النحو، تح: علي توفيق الحمد، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1984، ص413.

فالإدغام عند العلماء القدامى اجتماع حرفين، الأول ساكن والثاني متحرك، ثم الوصل بين هذين الحرفين فيصيران حرفا واحداً.

وقد ورد تعريف الإدغام في الخصائص: "أن الإدغام المألوف المعتاد إنما هو تقريب صوت من صوت، وهو في الكلام على ضربين أحدهما أن يلتقي المثلان على الأحكام التي يكون عنها الإدغام، فيدغم الأول في الآخر... والآخر أن يلتقي المتقاربان على الأحكام التي يسوغ معها الإدغام"[1].

وابن جني يشير هاهنا إلى أن الإدغام يكون على ضربين، إما المثلات أو المتماثلات، وهما صوتان من جنس واحد كالدال والدال في مدّ والباء والياء، والمقاربان اللذان يسوغ معها الإدغام وهما ما كان من مخرج واحد نحو: الدال والتاء، وأما أخذا صفة واحدة مثل الجهر في الدال والزاي.

ثم يوضح ابن جني ظاهرة الإدغام بشكل آخر حيث يقول: "والمعنى الجامع لهذا كله تقريب الصوت من الصوت، ألا ترى أنك في قطُّع ونحوه قد أخفيت الساكن الأول في الثاني حتى بنا اللسان نَبْوة واحدة، وزالت الوقفة التي كانت تكون في الأول لو لم تدغمه في الآخر، ألا ترى أنك لو تكلفت ترك إدغام الطاء الأولى لتجشمت لها وقفة عليها تمتاز من شدة ممازجتها للثانية بها كقولك قطْطَعَ، وسكْكَر، وهذا إنما تحكمه المشافهة به، فإن أنت أزلت تلك الوقفة والفترة على الأول خلطته بالثاني فكان قربه منه وإدغامه فيه أشد لجذبه إليه وإلحاقه بحكمه"[2].

والإدغام أنواع: كإدغام الصوت الساكن في المتحرك سواء في كلمة أو في كلمتين، ونوع آخر كإدغام الصوتين المتحركين من كلمتين بأن يسكن، المتحرك الأول فيدغم في الثاني، ومنها التام فهو ما يماثل الصوت الأول الصوت الثاني مماثلة تامة،

---

[1]- ابن جني، الخصائص، ج2، مرجع سابق، ص187.

[2]- نفسه، ص140.

مثل إدغام حرف اللام في الشين، كالشمس، والشجر وغيره، أو كإدغام النون في الياء.

كما في من يقول من قوله تعالى: {وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ} [البقرة: 08]، أورد الزمخشري "أن ممن في يقول (موصوفة) كأنه قيل: ومن الناس أناس يقولون كذا، كقوله: {مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ} [الأحزاب: 23]، إن جعلت اللام للجنس، وإن جعلتها للعهد فموصولة، وأصل (ناس) أناس حذفت همزته تخفيفا، كما قيل: (لوفة) في (ألوفة) وحذفها مع لام التعريف كاللازم لا يكاد يقال: لأناس، ويشهد لأصله إنسان وأناس وأناسي، وإنس، وسموا لظهورهم وإنهم يؤنسون أي يبصرون"[1].

ولذلك كان تجاور الصوتان "ولا حركة بينهما فهما إما من جنس واحد، وفي الحالة الأولى لا يحدث الإدغام، فالإظهار هو الأصل، فالصوت الأول تلتقي أعضاء النطق لنطقه ثم تتفرق لتلتقي مرة أخرى عند نطق الصوت الذي يليه، وأما إن كان من جنس واحد، فإن أعضاء النطق تلتقي لنطق الصوت الأول وتظل في لقائها حتى تنطق الصوت الذي يليه"[2].

ويكون ذلك في مثل النطق بحرف الباء عند إدغامه، فلا تنفتح الشفتان، بل تظلان منطبقتين حتى سمع الثانية أي الباء الثانية، "والفرق بين نطق الباء غير المدغمة والباء المدغمة في الباء هو فرق في الزمن حيث يتأخر انفجار الصوت مع الحالة الثانية، ولذلك يعد فندرس الصوت المشدد صوتا واحدا لا صوتين"[3].

---

[1]- الزمخشري، الكشاف، ج1، مرجع سابق، ص170.

[2]- أبو أويس إبراهيم الشمسان: الإدغام مفهومه وأنواعه وأحكامه، مجلة جامعة الإمام، العدد 25، جامعة الملك سعود، 1998، ص03.

[3]- نفسه، ص03.

والإدغام خاص بالصوامت عند تناوله على المستوى الصوتي لذلك يعد صوتا واحدا، أما على المستوى الأدائي الإجرائي فهما اثنان أي صوتان.

والإدغام ظاهرة صوتية تهدف إلى تجنب ما يحدثه تجاوز صوتين متماثلين من عبء عند إخراجهما والسعي إلى مزيد من التخفيف من أعباء النطق، وذلك بالتخلص من حركة أولهما، بحذفها أو بتقديمها فيتوالى صوتان مثلان يكون أحدهما قفلا لمقطع ويكون الثاني مفتاحا لمقطع تالٍ.

وأما الأصوات المتقاربة في مخارجها أو صفاتها فإنها لا تدغم حتى تتماثل، فإن ماثل الصوت الأول وهو الأصل فالإدغام تقدمي، وإن ماثل الثاني الأول فالإدغام تأخري.

والإدغام يؤدي وظيفة تعمل على إبعاد وتجنب الوقوع في المتماثلات، "ولقد جاء في الطراز ما أورده العلوي بقوله: اعلم أن العرب الذين هم الأصل في اللغة قد عدلوا عن تكرير الحروف المتماثلة في كثير من كلامهم إلى الإدغام وما ذاك إلا لأجل ثقله على ألسنتهم، وهكذا فعلوا في المتقاربين فقالوا شدّ ومدّ والأصل شدد، ومدد"[1]، وبذلك يكون الإدغام وسيلة لغوية يتم اللجوء إليها لأداء هذه الوظيفة اللسانية تخفيفا عند النطق أو القراءة وخاصة قراءة كتاب الله تعالى.

ويذكر سيبويه أن الإدغام حين تكثر المقاطع يكون حسنا، فيقول: "فاحسن ما يكون الإدغام في الحرفين المتحركين اللذين هما سواء إذا كانا منفصلين أن تتوالى خمسة أحرف متحركة بهما فصاعدا ألا ترى أن بنات الخمسة، وما كانت عدته خمسة

[1]– يحي بن حمزة العلوي: الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وحقائق الإعجاز، ج3، دار الكتب الجديوية، القاهرة، 1964، ص52.

لا تتوالى حروفها متحركة استثقالا للمتحركات مع هذه العدة ولابد من ساكن، وقد تتوالى الأربعة متحركة في مثل غلبِطَ ولا يكون ذلك في غير المحذوف"[1].

ويعرف الإدغام لدى المحدثين بأنه: "نزعة صوتين إلى التماثل أي الاتصاف بصفات مشتركة تسهل اندماج أحدهما في الآخر، وهذا يحدث دائما في الحروف متقاربة المخارج"[2].

وبحسب الصفات الصوتية للأصوات اللغوية فإن الإدغام نوعان، وهو المشهور: إدغام مثلين وإدغام متقاربين.

أ. إدغام مثلين أو متماثلين:

وهو "إدغام صوتين متفقين في الصفات الصوتية، مثل قوله تعالى: {اذْهَب بِّكِتَابِي هَٰذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَانظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ} [النمل: 28].

يقال: دخل عليها من كوة فألقى الكتاب إليها وتوارى في الكوة، فإن قلت: لم قال فألقه إليهم على لفظ الجمع؟ قلت لأنه قال: وجدتها وقومها يسجدون للشمس. فقال: فألقه إلى الذين هذا دينهم، اهتماما منه بأمر الدين"[3]. والدلالة كذلك لأن عبادة غير الله سببا في الذهاب بالكتاب.

والشاهد في إدغام الباء في الباء من اذهب وبكتابي لتسهيل وتخفيف القراءة.

ب. إدغام المتقاربين:

فهو "إدغام صوتين متقاربين من ناحية الصفة سواء في المخرج أم في الجهر أو الهمس أو غيره من صفات التقارب، مثل قوله تعالى: {ومَا يُعَمَّرُ مِنْ مُعمَّرٍ وَلَا يُنقَصُ مِن عُمرِهِ إِلَّا فِي كِتَاب} [فاطر: 11]... الإنسان إما معمر أي طويل العمر أو

---

[1]– سيبويه، الكتاب، ج4، مرجع سابق، ص437.

[2]– الطيب البكوش: التصريف العربي من خلال علم الأصوات الحديث، تق: صالح القرمادي، الهيئة العامة للمكتبة الإسكندرية، مصر، ط3، 1992، ص67.

[3]– الزمخشري، الكشاف، ج4، مرجع سابق، ص450.

منقوص العمر، أي قصيره... وقرئ ولا ينقص على تسمية الفاعل من عمره بالتخفيف"[1]. والشاهد في إدغام (من معمر) وهو إدغام النون في الميم أثناء القراءة وذلك لغرض التخفيف.

والإدغام في اللغة أو الاستعمال اللغوي تحكمه أحكام بالوجوب والحواس والامتناع، أما في قراءة القرآن الكريم، فالقراءة هي التي تحكمه مع الالتزام بما يرويه الرواة والقراء.

"ومعنى الوجوب هنا أن مستعمل اللغة لا يستطيع تفادي الإدغام، فهو يحدث تلقائيا ولأنه يدفع عنه المشقة والجهد في الكلام، ويجب الإدغام في موضعين:

أ. سكون الصوت الأول وتحرك الثاني سواء أكان ذلك في كلمة واحدة أم كلمتين بشروط هي:

– ألا يكون أولهما هاء السكن نحو قوله تعالى: {مَا أَغْنَى عَنِّي مَالِيَهْ هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَه} [الحاقة: 28–29]، لا العرض من هاء السكن الوقف عليها فلا توصل بما بعدها.

– ألا يكونا في كلمتين وأولهما مدٌّ ثابت في الآخر نحو قولنا: يعطي ياسر، يدعو وائل، قال تعالى: {فَمَن تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ} [البقرة: 203].

– ألا يؤدي اللبس بإخراج اللفظ من بناء إلى آخر نحو: سوُوِم، إذ لا نقول سوّم حتى لا يلتبس بناء فُوعل ببناء فُعّل.

– ألا يكونا همزتين في كلمتين لأن التخلص من اجتماعهما يكون بالتخفيف غالبُ، نحو أكل أحمد"[2].

---

[1]– الزمخشري، الكشاف، ج5، مرجع سابق، ص146، 147.

[2]– أبو أويس إبراهيم الشمسان، الإدغام، مرجع سابق، ص09.

ب. تحرك المثلين بشروط هي:

- أن يكونا في كلمة واحدة، فإن كان في كلمتين فهو جائز.
- ألا يتصدرا في اسم نحو: دَدَنٌ، بَبَرٌ.
- ألا يتصل أولهما بمدغم، نحو: ردّدَ، تجسّس.
- ألا يكونا في وزن ملحق بغيره، نحو: جلبب، قردد.
- ألا يكون في اسم يؤدي إدغامهما إلى لبس، نحو: ذلَلٌ، صُفَفٌ[1].
- ألا يقتضيا إعلالا، نحو: قَوِي، أحبَا، أعْيَا، إذ أصلهم: قوِو، أحيي، وأعيي، إذ لو أدغمت الواو في الواو لفات الإعلال، والإعلال أبلغ في التخفيف... ولأن قاعدة الإعلال سبقت الإدغام.
- أن لا تكون حركة الثاني عارضة في المعتلين نحو: لن يَحْيِيَ، رأيت محيِيْيَا، لأن حركة الإعراب عارضة تزول بزوال العلل[2].

كما أنه يجوز، ومرد الجواز هو التخفيف الذي هو علة المماثلة قصد اتسهيل والخفة لها حالتان "الحالة الأصلية التي لا إدغام فيها، والحالة الفرعية الطارئة بشيء من التغيرات الصوتية التي هيأت للإدغام، ويكون ذلك في ثلاث حالات:

- إن سكن الأول وتحرك الثاني على أن يكون منقلبا عن غيره مماثل الثاني، نحو رئيا قلب تخفيفا ريبا وبالإدغام ريًّا، تؤوي قلب تخفيفا تووي، وبالإدغام توي.
- إن تحرك الأول وسكن الثاني، وذلك في المضارع المضعف المجزوم والأمر منه نحو: لم يشدَّ وشدَّ...

[1]- أبو أويس إبراهيم الشمسان، الإدغام، مرجع سابق، ص10.

[2]- نفسه، ص11.

- إن تحرك المثلان وكان اجتماعهما اجتماعاً عارضا... مثل تتبَّع.. اِتبَّع تتابع تابع.. اِتابع"[1]، ونحو قوله تعالى في اثاقلتم: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ} [التوبة: 38].

فالإدغام عموما هو آلية لغوية فضلا على أنه ظاهرة لغوية تحدث تغيرات في بنية الكلمة أي في أصواتها بغرض التخفيف وسهولة القراءة والاستعمال اللغوي، وكذلك تعمل ظواهر أخرى ومنها الإعلال والإبدال والتفخيم، سنعرض إليها لاحقا.

وقد ورد في القرآن الكريم الإدغام بصور متعددة، ومن ذلك الآية: {وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ} [النمل: 88] وهو إدغام الصوتين المتماثلين حين يتواليان في كلمة واحدة إذا كان الصوت الأول مشكلا بالسكون والثاني محركا.

وقوله تعالى: {بَل لا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ} [الفجر: 17].

وقوله تعالى: {قُل لَّا أَقُولُ لَكُمْ عِندِي خَزَائِنُ اللَّهِ} [الأنعام: 50].

وقوله تعالى: {أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ} [النمل: 62].

والمتماثلان في أكثر من كلمة فمرده إلى ثلاث صور كما في الآيات:

- فالأول أن يكون أول المتماثلين ساكنا.
- والثاني أن يكون أول المتماثلين متبوعا بحركة قصيرة.
- والثالث أن يكون أول المتماثلين متبوعا بحركة طويلة (الألف، الواو، الياء).

إلا إذا كان أول المثلين هاء السكن، فلا يتم الإدغام لأن الوقف على الهاء منوي للثبوت، ومع ذلك روي عن بعض القراء الإدغام في قوله تعالى: {مَا أَغْنَى عَنِّي مَالِيَهْ هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَه} [الحاقة: 28-29]"[2].

---

[1]- أبو أويس إبراهيم الشمسان، الإدغام، مرجع سابق، ص12.

[2]- ينظر: أحمد عمر مختار، دراسات لغوية في القرآن الكريم وقراءته، عالم الكتب، القاهرة، ط9، 2001، ص17، 18.

أما إذا كان أول المتماثلين متبوعا بحركة قصيرة، فقد جاء من أمثلته القرآنية:

{وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ} [البقرة: 30].

{سَيَقُولُ لَكَ الْمُخَلَّفُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ} [الفتح: 11].

{وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ} [آل عمران: 85]

وقد قرنت الإضافة الثانية والثالثة بالإدغام دون الأولى، نظرا لعدم سبق الصوتين المتماثلين بحركة فيها.

2.2. الإعلال:

يعد الإعلال من أهم الظواهر اللغوية المتصلة ببناء الكلمة العربية وما يتعلق بها من مشتقات، وتصريفات، وتغيرات دقيقة في الأوزان والمباني، "بتغيير حرف العلة أو التسكين، أو الحذف"[1].

وقبل الولوج إلى تفاصيله، نعرج على التعريف في اللغة والاصطلاح.

ويعني الإعلال "العلة المرض، عل يعل واعتل، أي مرض فهو عليل، فأعليه الله، ولا أعلك الله، أي لا أصابك بعلة، واعتل عليه بعلّيه إذا إعتاقه عن أمر، اعتله وتجنى عليه، والعلة الحدث شغل صاحبه عن حاجته، كأن تلك العلة صارت شغلا ثانيا منعه حق شغله الأول"[2].

وجاء المعنى كذلك في المعجم الوسيط: "عل علا وعللا، يشرب ثانية أو تباعاً، عُل الإنسان علة: مرض فهو معلول، وعليل، أعل الشيء جعله ذا علة، وبين علته، وأثبته بالدليل، العلة المرض الشاغل، وفي الفلسفة: ما يترتب عليه أمر آخر بالاستقلال، أو بوساطة انضمام غيره إليه فهو علة لذلك الأمر"[3].

---

[1]- محمد علي السراج: اللبان في قواعد اللغة والأدب، مر: خير الدين شمس باشا، دار الفكر، دمشق، ط1، 1983، ص128.

[2]- ابن منظور، لسان العرب، مرجع سابق، ص260.

[3]- مجمع اللغة العربية: معجم الوجيز، دار التحرير، مصر، ط1، 1989، ص427.

ولم يخرج معجم الوسيط عن هذه الدلالات حيث أورد المعنى: "علّ الإنسان علّه، مرض فهو معلول، علّ فلان: سقي سقيا بعد سقي، اعتل وشرب علّلا، وفي اصطلاح الصرفيين ذكر وجههما في الإعلال"[1].

والمعنى المراد والمستشف من هذه التعاريف أو التعريفات، وأما في المصطلح فهو كما يأتي: ذكره على لسان الزمخشري وابن يعيش وغيرهم.

تناول الزمخشري في كتابه المفصل لفظة إعلال بقوله: "ومن أصناف المشترك الاعتلال حروفه الألف، والواو، والباء وثلاثتهما تقع في الأضرب الثلاثة"[2].

وشرح بن يعيش هذا القول: "معنى الإعلال التغيير والعلة تغير المعلول عما هو عليه، وسميت هذه الحروف حروف علة لكثرة تميزها، وهذه الحروف تقع في الأضرب الثلاثة، الأسماء والأفعال والحروف"[3].

والمراد بهذه التعريفات أن فحواها يوضح الظاهرة بأنها تغيير يطرأ على أحد حروف العلة، ويقع هذا التغيير في حروف مخصوصة، وهو تغيير حرف لتحقيق التخفيف في اللفظ بقلبه أو إسكانه أو حذفه، إذ يقول بن يعيش: "وفي الإعلال ضرب من التخفيف لذلك كان أخف عليهم من استعمال الأصل"[4].

وظاهرة التخفيف قائمة على الثقل وتؤثر هذه الظاهرة في الصوت تأثيرا واضحاً، إذ كان الثقل سببا في اللجوء إلى النقيض الذي هو الخفة، ومنه تسهيل

---

[1]– مجمع اللغة العربية: معجم الوسيط، إخراج: إبراهيم مصطفى وآخرون، ج2، المكتبة الإسلامية للطباعة والنشر، مصر، 1972، ص623.

[2]– الزمخشري: المفصل في علم اللغة، تح: فخر الدين صالح قوارة، دار وائل للنشر، عمان، 2004، ص312.

[3]– ابن علي بن يعيش: شرح المفصل، ج10، تح: جماعة من العلماء، إدارة الطباعة المنيرية، مصر، دت، ص54.

[4]– بن يعيش: شرح المفصل، ج10، تق: إسماعيل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2001، ص98.

استعمال اللغة، "فنحن بحاجة إلى أن نفهم كيف تخلصت اللغة من كل ثقيل لا يؤثر حذفه، واحتفت بكل ما هو سهل ويسير"[1].

يبدو أن ارتباط الثقل بالتخفيف ارتباطا وثيقا إذ لولا وجود ظاهرة الثقل كذلك في اللغة لما فسرت العديد من قضايا اللغة، ولما تم اللجوء إلى ما هو سهل على اللسان نطقيا وتقنيا ودراسة وتمحيصا، إذ التخفيف الصوتي في مدلوله العام هو عبارة عن تغيرات جزئية تمس الكلمات من غير مساس بدلالتها، وهو لا يمس ولا يصيب إلا الألفاظ التي يحمل أداؤها استثقالا.

والمتأمل في ظاهرة الإعلال في الدرس اللغوي يجد أن العناية كانت في دراسة العلة النحوية خاصة، والمرجع أن سبب ذلك هو أن النحو كان يشمل المسائل النحوية والصرفية معا.

"وعلى عاتق البحث في التعليل اللغوي تقع مهمة تصدير الأحكام اللغوية ثم تسويغها بمستوياتها الصوتية والصرفية، والنحوية، فكل ما ينطبق على النحو ينسحب على التعليل الصرفي والصوتي، فكل حكم لغوي يحلل، وكل ظاهرة نحوية كلية أو جزئية لا يدلها من علة عقلية أوجدتها"[2].

"يفيد بيان العلل والأسباب الموجبة للتغيرات التي تنال بنية اللفظة جراء الإبدال أو الحذف أو الزيادة والنقصان وما إلى ذلك ما يثري اللغة العربية من حيث تنوع الصيغ وزيادة الألفاظ"[3]. وعلى ذلك كانت الدراسة منصبة على علل الصرف، ومن بين تلك العلل: علة الإتباع، وعلة الإلحاق، وعلة أمن اللبس وعلل أخرى لعلة الوجوب أو اللزوم وغيرها، وكذلك كانت فكان من الواجب إتباع التعليل الصوتي بالتعليل الصرفي.

---

[1]- أحمد عفيفي، ظاهرة التخفيف في النحو العربي، مرجع سابق، ص15.

[2]- خديجة الحديثي: دراسات في كتاب سيبويه، وكالة المطبوعات، الكويت، دت، ص157.

[3]- عادل نذير بحيري: التعليل الصوتي عند العرب في ضوء علم الصوت الحديث، قراءة في كتاب سيبويه، مركز البحوث والدراسات الإسامية، بغداد، ط1، 2009، ص34.

وخلاصة القول أن الإعلال هو مجموعة التحولات الصوتية التي تطرأ على بنية الكلمة الواحدة، وهناك في الصرف العربي أمثلة كثيرة ومتنوعة ومتفاوتة، وبخاصة إذا عولجت بظاهرة الإعلال، حيث يمكن معالجتها على أساس صوتي، وبذلك نصل إلى أن ظاهرة الإعلال لا تفسر ولا تحلل إلا في ضوء مجالي الصوت والصرف، ولها آليات تقوم عليها وهي الإعلال بالقلب والإعلال بالنقل.

أ. الإعلال بالقلب:

هو حلول حروف العلة بعضها محل بعض، وهو كذلك قلب حرف علة إلى حرف علة آخر، بمعنى آخر هو: "قلب الحرف نفسه إلى لفظ غيره على معنى إحالته إليه، وهذا إنما يكون في حروف العلة التي هي الواو، والياء، والألف، وفي الهمزة أيضا"[1].

ويعرفه عبد الصبور شاهين كذلك تعريفا صوتيا، إذ يقول: "فهو ما تتعرض له أصوات العلة الطويلة من تغيرات بحلول بعضها محل بعض"[2]، ولهذا النمط من الإعلال أوجه عديد حظيت بتعليلات حرفية وصوتية عند عماء اللغة، ومنها:

- **قلب الواو، والياء ألفا:**

تقلب الواو والياء ألفا إذا تحركتا وانفتح ما قبلها، وسبب قلبها هو الثقل، "ولهذا كانت علة قلبهما ألفا ليست في غاية القوة لأنهما إذا تحركتا وانفتح ما قبلهما خف ثقلهما"[3].

وقد استند الصرفيون في قلب الواو والياء ألفا إلى قاعدة تكاد تكون عامة تنص على أن وقوع أي منهما متحركا وما قبلهما مفتوحا يقلب ألفا، وهذا ما ذهب إليه ابن

---

[1]- ابن يعيش: شرح الملوكي في التصريف، تح: فخر الدين قباوة، المكتبة العربية للنشر والتوزيع، سوريا، ط1، 1973، ص214.

[2]- عبد الصبور شاهين: المنهج الصوتي للبنية العربية، مرجع سابق، ص167.

[3]- ابن جني، سر صناعة الإعراب، مرجع سابق، ص667.

جني بقوله: "فأما الياء والواو فمتى تحركتا وانفتح ما قبلهما قلبتا ألفا"[1]، ومثال ذلك قوله تعالى: {قَالُوا تِلْكَ إِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ} [النازعات: 12].

ورد في الآية الكريمة إعلال في كلمة قالوا، وأصلها: قولوا، على وزن فعلوا، حيث وقعت الواو المتحركة بعد حرف صحيح متحرك بالفتح مما أدى إلى ثقل في النطق.

فقلبت الواو ألفا لتحركها وانفتح ما قبلها، وهذا ما نص عليه اللغويون القدامى، فقد أورد سيبويه في الكتاب هذه القضية بقوله: "إذا كانت الياء والواو خلفها فتحة اعتلت وقلبت ألفا"[2].

والأمثلة كثيرة، ومن بينها كذلك كلمة قام على وزن فعل الواردة في قول الشاعر جميل صدقي:

إذا ما أقام العلم راية أمة فليس بها حتى القيامة ناكس

أقام: يقيم، ومنها قام فعل أجوف أصله قَوَمَ على وزن فَعَلَ، إذا قلبت الواو ألفا لتحركها بعد الفتح.

يعني ذلك إذا قلبت الياء والواو ألفا غايته الأساسية هي التخفيف والشرط في قلبهما إذا انفتح ما قبلهما.

ولا يقتصر هذا الإعلال على قلب الواو ألفا فحسب، بل قلب الياء أيضا ألفا، وذلك ماورد في قوله تعالى: {وَأَهْدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ} [النازعات: 19].

حيث وقع إعلال بالقلب في لفظة (فتخشى) التي جاءت على صيغته في الزمن المضارع والتي أصلها تخشيُ على وزن تفعلُ، فوقعت الياء المتحركة بعد حرف متحرك بالفتحة فقلبت الياء ألفا دفعاً للثقل.

---

[1]– ابن جني: التصريف الملوكي، تصحيح: محمد سعيد بن مصطفى النعمان الحموي، مطبعة شركة التمدن الصناعية، مصر، دت، ص17.

[2]– سيبويه، الكتاب، ج4، مرجع سابق، ص383.

وقد أشار إلى ذلك ابن عصور بعدما أحس بثقل الواو والياء مع الألف، فقال: السبب في ذلك اجتماع المثلين أعني فتحة العين واللام مع ثقل الواو والياء، فتقلب الواو والياء ألفين لخفة الألف، لأنها لا تتحرك فيزول اجتماع المثلين، ولأنه ليس للواو والياء ما يقلبان إليه أقرب من الألف، لاجتماعهما مع الألف في أن الجميع حروف علة ولين"[1].

ففي كلمة تخشى ثقل مرتبط بالحركات القصيرة على حروف العلة، ويبقى للمجانسة والانسجام دور في هذا القلب، وسبب قلب الواو والياء ألفا، هو أن الألف أخف في النطق من الواو والياء.

وقد وضع اللغويون لقلب الواو والياء شروطا وذلك إذا تحركت الواو وانفتح ما قبلها أو تحركت الياء وانفتح ما قبلها، فإنها تقلب ألفا، "وهذا القلب مقيد بقيود أو شروط منها أربعة وهي:

- أن يتحركا.
- أن تكون الحركة أصلية.
- أن يفتح ما قبلهما.
- أن تكون الفتحة في نفس الكلمة التي فيها الواو أو الياء"[2].

كما ينفي العديد من اللغويين المحدثين منهم أمثال عبد القادر عبد الجليل وجود علاقة بين الواو والياء من جهة، والألف من جهة أخرى، إذ يقول: "ومع الفعل الأجوف (عاد) يقول الصرفيون إن أصله (عَوَدَ) وإنه لما تحركت الواو فتح ما قبلها انقلبت ألفا فصارت (عاد)، وهذا دون أية إلمامة لسر الانقلاب الذي حطم الواو وحولها إلى

---

[1]- ابن عصفور الإشبيلي: الممتع في التصريف، ج2، تح: فخر الدين قباوة، دار المعرفة، بيروت، ط1، 1982، ص438.

[2]- عبد الله درويش: دراسات في علم الصرف، مكتبة الطالب الجامعي، مكة المكرمة، ط3، 1987، ص112.

الألف، مع العلم أن هذه الأصوات الثلاثة يختلف الواحد عن الآخر في طريقة إنتاجه وصفاته الصوتية"[1].

- **قلب الألف والواو والياء همزة:**

"تقلب الألف والواو والياء همزة إذا تطرفت الواو أو الياء بعد ألف زائدة"[2].

كما تقلب الواو والياء والألف همزة إذا وقعت بعد ألف الجمع الأقصى، في مثل كلمة عجوز، من قوله تعالى: {أَأَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَذَا بَعْلِي شَيْخًا} [هود: 72]، فكلمة عجوز جمعها الأقصى عجاوز"[3].

- **قلب الهمزة إلى حرف من حروف العلة:**

تقلب الهمزة إلى حرف من حروف العلة إذا التقت أو اقترنت بهمزة أخرى في نفس الكلمة، "فإذا التقت همزتان في كلمة واحدة أعلت الثانية بحصول زيادة الثقل وتقلب الثانية بحسب حركة الأولى لكي يحدث التناسب بين الحركة، وحرف المدّ فتخفف الكلمة"[4].

ومثال ذلك ما جاء في قوله تعالى: {فَقَاتِلُوا أَئِمَّةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لا أَيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنْتَهُونَ} [التوبة: 12]. فكلمة أئمة تقلب همزتها الثانية للتخفيف لتصير أيمة.

وسبب قلب الياء يذكره ابن يعيش حيث يقول: "إنما كثر إبدال الياء لأنه حرف مجهور مخرجه من وسط اللسان، فلما توسط مخرجه الفم وكان فيه من الخفة ما ليس

---

[1]– عبد القادر عبد الجليل: علم الصرف الصوتي، دار أزمنة، عمان، 1998، ص424.

[2]– عمر بن ثابت الثمانيني: شرح التصريف، تح: إبراهيم بن سليمان النعيمي، مكتبة الرشد الرياضي، السعودية، ط1، 1999، ص321.

[3]– حسان بن عبد الله العثيمان: الواضح في التصريف، جامعة الملك سعود، دت، ص211.

[4]– محمد بن مالط الطائي النحوي: إيجاز التعريف في علم التصريف، تح: محمد عثمان، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ط1، 2000، ص109.

في غيره كثر إبداله كثرة ليست لغيره... فإبدالها من الألف إذا انكسر ما قبلها نحو قولك في تصغير قرطاس قريطيس، وفي تصغير مفتاح مفيتيح"[1].

- **قلب الألف والياء واواً:**

من المفروض أن طبيعة الألف تكون ساكنة وما قبلها مفتوحا، وعند اختلال هذين الشرطين أو أحدهما تقلب الألف ياء أو واواً عند وقوعها بعد ضم مثل ساهم إذا بنيت للمجهول تصبح سوهم، وفي قوله تعالى: {فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ} [الصافات: 141].

وتقلب الياء واواً عند وقوعها ساكنة بعد ضم مفردة في غير جمع التكسر، وشذ في مصيبة وجمعها مصائب والأصل مُصْوبَةٌ على وزن مُفْعِلَةٌ، فنقلت حركة الواو (عين الكلمة) إلى الساكن قبلها وسكنت الواو فأصبحت مُصِوَّبة، وفيها وقعت الواو ساكنة مفردة قبلها كسرة قلبت ياء فأصبحت مُصَيْبة.

إلا أن مع ذلك في الجمع نقول مصائب على وزن مفاعل، وأصلها مصاوب، وقعت الواو بعد ألف الجمع الأقصى ولم تكن زائدة في المفرد، فهي في مقابل العين فأعلت وقلبت همزة، وتقرأ مصايب"[2].

- **قلب الألف ياء:**

تقلب الألف ياء في حالتين: أن يكون ما قبلها مكسورا أو أن تقع بعد ياء التصغير.

- **قلب الواو ياء:**

الواو أثقل حروف العلة، ودائما ما يقلب طلبا للخفة.

---

[1]– ابن يعيش: شرح المفصل، ج10، مرجع سابق، ص21.

[2]– ينظر: صباح بن عبد الله بافضل: الإعلال والإبدال بين النظرية والتطبيق، الدار السعودية للنشر والتوزيع، السعودية، 1997، ص16.

وكذلك مثل قائم في قوله تعالى: {شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ} [آل عمران: 18].

والمعنى ما ورد في تفسير الكشاف "شبهت دلالته على وحدانيته بأفعاله الخاصة التي لا يقدر عليها غيره، وبما أوحى من آياته الناطقة بالتوحيد... (قائما بالقسط) مقيما للعدل فيما يقسم من الأرزاق والآجال، ويثيب ويعاقب وما يأمر به عباده من إنصاف بعضهم لبعض والعمل على التسوية فيما بينهم"[1].

وقائم اسم فاعل وعلته "إن تقلب عينه همزة كقولك قائل، وبائع، وربما حذفت كقولهم شاك، ومنهم من يقلب شاكئ، وفي جائئ قولان أحدهما أنه مقلوب كمشاكئ، والهمزة لام الفعل وهو قول الخليل، والثاني أن الأصل جائئ فقلبت الثانية ياء والباقية من نحو همزة قائم"[2].

والأمثلة كثيرة في قلب وحذف الواو والياء، ومن ذلك قوله تعالى: {قُلۡ إِنَّنِي هَدَىٰنِي رَبِّيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ دِينٗا قِيَمٗا مِّلَّةَ إِبۡرَٰهِيمَ حَنِيفٗاۚ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ} [الأنعام: 161].

والشاهد في لفظة (قيما) ومعناه "هداني صراطا بدليل قوله (ويهديكم صراطا مستقيما)، والقيم فيعل، من قام كسيد من ساد وهو أبلغ من القائم، وقرئ (قيما) والقيم مصدر بمعنى القيام وصف به"[3].

"وإنما أعلوا قيما لأنه مصدر بمعنى القيام، وصف به في قوله تعالى: (دينا قيما) والمصدر يعل بإعلال الفعل"[4].

---

[1]- الزمخشري، الكشاف، ج1، مرجع سابق، ص534.

[2]- الزمخشري، المفصل في صناعة الإعراب، مرجع سابق، ص527.

[3]- الزمخشري، الكشاف، ج2، ص419.

[4]- الزمخشري، المفصل في صناعة الإعراب، مرجع سابق، ص520.

والخلاصة أنه تقلب الواو والياء ألفا لتحركها وانفتاح ما قبلهما، وكذلك تقلب الألف ياء إذا ورد ما قبلها مكسورا.

ومن خلال الأمثلة الواردة آنفا أن هناك سببا صوتيا أدى إلى القلب، حيث أن الناطق العربي أسقط الألف التي هي فتحة طويلة "لأن المقطع الذي جاءت فيه لا تجيزه اللغة العربية، فأعاد تشكيل النسيج المقطعي لهذه البنى، وما جاء على شاكلتها لينسجم مع القوانين المقطعية"[1].

فالغالب إذا أن سبب القلب هذا هو عدم التجانس بين المقاطع الصوتية، مما جعل ناطق اللغة العربية يسقط الألف أي الفتحة الطويلة ويعوضها بالياء.

فتقلب الواو ياء إذا وقعت ساكنة وبعدها كسر، ومثل ذلك كلمة ميراث التي أصلها موراثا، كما تقلب الواو ياء إذا وقعت متطرفة ومسبوقة بكسر، مثل ساهيا وأصلها ساهوا، كما هو الحال في كلمة القيام والأصل قِوام، قلبت الواو ياء لأنها وقعت عينا لمصدر معلول، وقد اعتلت في الفعل، ذلك لأن الأصل في الفعل قام قوم، ومن ثم قلبت الواو ألفا لتحركها وانفتاح ما قبلها فاعتل المصدر لاعتلال فعله، وفي مثل جالت جيال، وقاوم قواما، والتعليل الصوتي لقلب الواو هنا هو أنها وقعت بين كسرة وفتحة طويلة هي الألف، وهذا التتابع فرضته العربية لذا أسقطعت الواو واقتصر على الكسرة والفتحة، وبسبب اتصالهما صارت الياء"[2].

ب. الإعلال بالنقل:

ويكون الإعلال بالنقل، بنقل حركة الحرف المعتل المتحرك إلى الساكن قبله، وذلك في أربعة مسائل:

---

[1]– ابن يعيش، شرح المفصل، ج10، مرجع سابق، ص72.

[2]– صيوان خضير خلف: الإعلال بين التعليلين الصرفي والصوتي، مجلة أبحاث البصرة للعلوم الإنسانة، المجلد 38، العدد 04، 2013، ص65.

أن يكون الحرف المعتل عينا للفعل، ويجب بعد النقل في المسائل الأربع ما يلي:

- أن يبقى الحرف المعتل إن جانس الحركة المنقولة مثل: قال: يقول والأصل في يقول: يقْوُل على وزن يَفْعُلُ، ثم تنقل حركة الواو إلى الساكن قبلها"[1].

فتصبح يقوْلُ على وزن يفعل، وذلك أن الواو باقية كما هي، بسبب حركة ما قبلها التي هي من جنسها كما هو الحال بالنسبة لحركة الياء في مثل: باع يبيع، حيث نقلت حركة الياء إلى الساكن قبلها فصارت يبيْعُ على وزن يَفعْلُ، وبالنظر للياء تكون حركة ما قبلها من جنسها، ولذلك تبقى الياء على حالها لا تقلب.

- أن يقلب حرفا آخر يجانس حركة ما قبلها مثل: يخاف وأصلها يَخَوْفُ على وزن يفعْلُ، حيث تقلب الواو ألفا لتحركها في الاصل وانفتاح ما قبلها في كلمة واحدة، ولان الواو لم تجانس الحركة المنقولة قبلها ويصبح الفعل يخاف.

وكذلك وبالنسبة للقلب ياءً في الفعل أخاف يخيف والأصل يُخْوفُ، وقعت الواو ساكنة مفردة إثر كسرة فقلبت ياءً.

- إذا كان فعل تعجب مثل ما أبينه وأبين به وما أقومه وأقوم به لأنهم حملوه على نظيره (أفعل التفصيل) في الوزن والدلالة على المزية.
- إذا كان مضعف اللام نحو (أبيض، وأسود) بزنة افعلْلُ... وتقلب الياء لتحركها باعتبار ما كانت عليه وانفتاح ما قبلها ووقوعه في كلمة واحدة ألفا، لأن الياء لم تجانس الحركة المنقولة قبلها فتصبح أباض"[2]. وتحذف الهمزة الوصلية التي في أول الكلمة، ولأنها اجتلبت للنطق بالساكن.

---

[1]- ينظر: صباح بن عبد الله بافضل، الإعلال والإبدال، مرجع سابق، ص83.

[2]- نفسه، ص86.

وبذلك يكون الإعلال "بالنقل والحذف كذلك، والقلب حيث، "يكون بنقل حركة الواو أو الياء إلى الحرف الصحيح الساكن قبلهما، ثم حذف الواو أو الياء منهما لالتقاء الساكنين"[1].

وكذلك "يكون بنقل الواو أو الياء إلى الحرف الصحيح الساكن قبلهما، ثم تحويل الواو أو الياء إلى حرف علة آخر، فجانس لهذه الحركة فيصير المفتوح ألفا والمكسور ياءً"[2].

3.2. الإمالة والتفخيم:

الإمالة في اللغة هي "مصدر أمال الشيء سيره مائلا، عدل به إلى غير الجهة التي هو فيها"[3].

والميل العدول إلى الشيء، والإقبال عليه، وكذلك الميلان، ومال الشيء يميل ميلا وممالا ومميلا، ومن معانيها مالت الشمس ميولا صبحت أو زالت عن كبد السماء.

وأما في المصطلح فيعرفها المبرد بقوله: "أن تنحو بالألف نحو الياء، ولا يكون ذلك إلا لعلة تدعو إليه... وكذلك إذا كانت قبلها كسرة أو ياء نحو قولك عباد وجبال كل هذا إمالته جائزة، وأمّال عيال، فالإمالة ألَزم له من الكسرة ياء"[4].

ويعرفها ابن جني بقوله: "معنى الإمالة أن تنحو بالفتحة إلى الكسرة فتميل الألف نحو الياء لضرب من تجانس الصوت"[5].

---

[1]- راجحي الأسمر، المعجم المفصل في علم الصرف، مر: إميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت، 1997، ص147.

[2]- نفسه، ص147.

[3]- راجي الأسمر: المعجم المفصل في علم الصوت، مرجع سابق، ص159.

[4]- المبرد: المقتضب، ج3، تح: محمد السيد سيد أحمد علي، دار التوفيقية للتراث للطبع والنشر والتوزيع، القاهرة، 2012، ص33.

[5]- ابن جني: اللمع في العربية، تح: سميح أومغلي، دار مجدلاوي للنشر، عمان، 1988، ص156.

كما يعرفها الزمخشري فيقول: "فمن أصناف المشترك الإمالة، يشترك فيها الاسم والفعل، وهي أن تنحو بالألف نحو الكسرة فتميل الألف نحو الياء ليتجانس الصوت"[1].

والإمالة كانت منتشرة في اللهجات العربية القديمة، وهي تمثل مستوى في اللغة الفصحى، ويقرأ بها القرآن الكريم، "ويطلق القدماء على الفتح أكثر من اسم فيسمونه أحيانا التفخيم، وأحيانا أخرى النصب، ويسمونه الإمالة والإضجاع أو البطح"[2].

وقد أورد سيبويه في الكتاب تعريفا بقوله: "فالألف تمال إذا كان بعدها حرف مكسور، وذلك كقولك عِابد، وعِالم ومساجد ومفاتيح وعذافر، وهابيل، وإنما أمالوها للكسرة التي بعدها، أرادوا أن يقربوها منها"[3]، وذلك مرّده إلى تأثير الكسرة في الإمالة، كما أن الكسرة تؤثر في الإمالة، فإن الياء أيضا تؤثر في الإمالة لوجود الألف بعدها.

والغرض من الإمالة "تقارب الأصوات وتناسقها وتحسين جرسها بالابتعاد عن التنافر، وهي لا تجري إلا على الأسماء المعربة، والأفعال المنصرفة فقط، أما الأسماء المبنية فلا تمال إلا سماعاً لأنها لا تتصرف"[4]، وبذلك يمكن أن نورد أنواع الإمالة كالآتي:

- "إمالة الألف نحو الكسر أو الياء، مثل قوله تعالى: (تلك آيات الكتاب)، حيث يجوز في القراءات القرآنية نطق الألف في (آيات، الكتاب) ممالة نحو الكسرة.
- إمالة الألف نحو الضمة أو الواو، مثل (الصلاة، والزكاة)، حيث تمال الألف نحو الضمة أو الواو.

---

[1]- الزمخشري: المفصل في علم العربية، دار الجيل للنشر، بيروت، دت، ص335.

[2]- عبده الراجحي: التطبيق الصرفي، دار النهضة العربية، بيروت، دت، ص179.

[3]- سيبويه، الكتاب، ج2، مرجع سابق، ص259.

[4]- راجي الأسمر، المعجم المفصل في علم الأصوات، مرجع سابق، ص159.

- إمالة الفتحة نحو الكسرة ومثالها الحركة التي تسبق تنوين الكسرة في (عليم وحكيم)، ومن ذلك الحركة التي قبل الياء في (لم يكاتِب)، وحركة فاء الفعل في (سر وبع).
- إمالة الفتحة نحو الضمة، ومثل ذلك الحركة التي تسبق تنوين الضم في (عليم وحكيم)، ومن ذلك الحركة التي قبل الراء في (لم ينصُرْ)، وحركة فاء الفعل في (عُد وقُمْ)"[1].

ولقد أولى علماء اللغة كما القراء مصطلح الإمالة اهتماما بليغا، حيث كان أهل اللغة يدرسون المصطلح باعتباره ظاهرة صوتية مثله مثل الإدغام والتصغير والنسبة، وكان علماء القراءات كذلك يدرسونه باعتباره قراءة قرآنية لذلك كانت دراستهم مقترنة بآيات القرآن الكريم.

وقد ذكروا لهذه الظاهرة أسبابا وأنواعا وفوائد وحروفا مانعة لها، فأما الأسباب: "فأرجعوها إلى سببين أساسيين: الكسرة ظاهرة أو خفية، والياء ظاهرة أو خفية كذلك، واختلفوا في أي السببين أقوى، فذهب جمهور العلماء إلى أن الكسرة أقوى، وهو الذي علق عليه سيبويه بأن تسفل اللسان بالكسرة أكثر من تسفله بالياء... وذهب ابن السراج إلى أن الياء أقوى في طلب الإمالة، وهذه المسائل يكاد يتفق فيها اللغوي والقارئ مع شيء من الاختلاف في طريقة التناول"[2].

وكثيرة هي كتب علماء القراءات التي تناولت موضوع الإمالة، "ومنها كتاب (السبعة) لابن مجاهد، والحجة لأبي علي الفارسي، والحجة لابن خالوية، والكشف عن وجوه القراءات السبع لمكي بن أبي طالب القيسي، والعنوان لابن ظاهر إسماعيل بن

---

[1]– ينظر: صلاح الدين حسن ، التغيرات الصوتية في التركيب اللغوي العربي، مرجع سابق، ص69.

[2]– عبد العزيز علي سخر: الإمالة والتفخيم في القراءات القرآنية، دراسة مع تحقيق كتاب الاستكمال لأبي غلبون، ج1، السلسلة التراثية، الكويت، دت، ص05.

خلف المقرئ الأنصاري الأندلسي، والتيسير للداني، والنشر لابن الجزري، والاتحاف للبناء.

كما اهتم علماؤنا القدامى بهذا الموضوع، فقد اهتم به المحدثون كذلك، ومنهم الأستاذ الدكتور عبد الفتاح شلبي في كتابه (الإمالة في القراءات واللهجات العربية)"[1].

ويذكر الآية في قوله تعالى: {ذلِكَ لِمَنْ خافَ مَقامِي} [إبراهيم: 14] كاستشهاد على الإمالة فيما ورد بسبب الكسرة قبل وبعد الألف، ولذلك الياء "والمعنى ذلك الأمر حق (لمن خاف مقامي) موقفي وهو موقف الحساب"[2].

ومن هنا يتضح أن الكسرة والياء سببان في وقوع الإمالة، الأمر الذي جعل العربي أو ناطق العربية على أصلها يجنح إلى استعمال هذه الظاهرة طلبا للتخفيف وسهولة القراءة، وهذا ما أورده اللغويون بأن الألف تميل نحو الياء والفتحة تميل نحو الكسرة.

ويمنع الإمالة شيئان:

- الراء غير المكسورة إذا وقعت قبل الألف نحو راشد.
- حروف الاستعلاء أو ما يسمى بالحروف المستعلية، لأنها مستعلية إلى الحنك الأعلى، وهي (ح، ص، ض، ط، ظ، غ، ق).

فتمنع هذه الحروف الإمالة سواء أكانت متقدمة على الألف أو متأخرة عليها، وذلك أن الإمالة تتطلب تسفلا وهو انبساط اللسان وهبوطه نحو قعر الفم، وذلك يؤكده سيبويه بقوله: "وإنما منعت هذه الحروف (المستعلية) لأنها حروف مستعلية إلى الحنك الأعلى، والألف إذا خرجت من موضعها استعلت إلى الحنك الأعلى، فلما كانت مع هذه الحروف المستعلية عليت عليها كما عليت الكسرة عليها في مساجد ونحوها، فلما

---

[1]- عبد العزيز علي سخر: الإمالة والتفخيم في القراءات القرآنية، مرجع سابق، ص07.

[2]- الزمخشري، الكشاف، ج3، مرجع سابق، ص369.

كانت الحروف مستعلية وكانت الألف تستعلي، وقربت من الألف كان العمل من وجه واحد أخف عنهم فيدفعونه، ولا نعلم أحدا يميل هذه الألف إلا من لا يؤخذ بلغته"[1].

وقد أشار إليها سيبويه في باب الإمالة حين قال: "وإنما أمالوا الألف للكسرة التي بعدها، أرادوا أن يقربوها منها كما قربوا في الإدغام الصاد من الزاي"[2].

وقد وفّى اللغويون الإمالة حقها كما المقرؤون في ضبط حالاتها ووضع قواعدها، فكانت الفائدة هي تقريب الأصوات بعضها ببعض ليحصل نوع من التشاكل.

ومما تتصف به الأصوات عموما أن لها سمات تعمل على تأمين اللبس، كما أنها عند استعمال الأصوات يظهر لها الجانب المعرفي، أي المتعارف عليه، وهو الجانب المنهجي عند البحث في اللغة. ففي كل صوت مسموع يظهر التأثير كالصوت الموسيقي مثلا.

"فالأصوات المسموعة ذات معان طبيعية إيحائية انطباقية لاهية عرفية ولا ذهنية، فقد تدل المقابلة بين الترقيق والتفخيم على إرادة التأكيد عند تفخيم الصوت، مثل قوله تعالى في الإخبار عن الخلق: {وَالأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا} [النازعات: 30]... "نصب الأرض والجبال بإضمار (دعا) و(أرسى)، وهو الإضمار على شريطة ، وقرأهما الحسن مرفوعين على الابتداء، فإن قلت: هلا أدخل حرف العطف على أخرج، قلب: فيه وجهان، أحدهما أن تكون معنى (دحاها) بسطها ومهدها للسكنى، ثم فسر التمهيد بما لابد منه في تأتي سكناها من تسوية أمر المأكل والمشرب وإمكان القرار عليها"[3].

ثم عندما أريد التأكيد بمناسبة القسم قال: {وَالْأَرْضِ وَما طَحاها} [الشمس: 06] بوضع الطاء في موضع الدال أي بإبدال التفخيم بالترقيق، وقد بدعوا المقصود إلى

---

[1]– سيبويه، الكتاب، ج2، مرجع سابق، ص264.

[2]– ينظر: عبد العزيز علي سخر، الإمالة والتفخيم، مرجع سابق، ص97.

[3]– الزمخشري: الكشاف، ج6، مرجع سابق، ص308، 309.

تغيير حركة البناء للوصول إلى غرض معيّن، كما في تغيير بناء الفرد الغائب من الكسر إلى الضم على رغم القاعدة، وذلك في قوله تعالى: {وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهُ اللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا} [الفتح: 10]، وذلك للحرص على تفخيم اللام في لفظ الجلالة، وقد تدل الرخاوة أي الاحتكاك في نطلق الصوت على أثر معين، كما في قوله تعالى: {إِذَا قِيلَ لَكُمُ انْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ} [التوبة: 38]، وذلك بإدغام التاء في تثاقلتم مع الثاء.

ومن الأمثلة كذلك قوله تعالى: {خَتَمَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ ۖ وَعَلَىٰ أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ} [البقرة: 07] تحمل الآية الكريمة من التخفيف من الجانب النحوي، وذلك ما أورده الزمخشري في الكشاف بقوله: "وأن تقدر مضافا محذوفا، أي وعلى حواس سمعهم... ومن الإمالة قوله: وقرأ بن أبي عبلة وعلى أسماعهم فإن قلت هلا منع أبا عمرو والكسائي من إمالة أنصارهم ما فيه من حرف استعلاء وهو الصاد، قلت: لأن الراء المكسورة تغلب المستعلية لما فيه من تكرير لأن فيها كسرتين، وذلك أعون شيء على الإمالة"[1].

ومن الأمثلة قوله تعالى: {وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنسَانِ أَعْرَضَ وَنَأَىٰ} [فصلت: 51]، "قرئ، ونأى بجانبه بإمالة الألف وكسر النون للإتباع، وناء على القلب كما قالوا راء في رأي"[2]. فقد أشار إلى إمالة فتحة الهمزة إلى الياء لتحقيق ما بينهما من توافق وانسجام، ثم إن حركات التركيب تحتاج إلى تقارب أو تقريب وانسجام كذلك وكسرت النون لإتباع الهمزة بعدها أي إتباع حركة الهمزة، وينتج عن ذلك نطقا موافق لكسرة بتحقيق الإمالة سهولة وتخفيفا.

---

[1]- الزمخشري، الكشاف، ج1، مرجع سابق، ص129.

[2]- نفسه، ج5، ص389.

ومن ذلك ما جاء في تفسيره أيضا قوله تعالى: {أَنَّا صَبَبْنَا الْمَاء صَبًّا} [عبس: 25]، "ويعني الغيث، قرئ بالكسر على الاستئناف، وبالفتح على البدل مع الطعام، وقرأ الحسن بن علي رضي الله عنهما (أنى صببنا) بالإمالة معنى فلينظر الإنسان كيف صببنا الماء"[1].

على اعتبار أن هذه الإمالة قريبة من قراءة الأعشى، وعاصم، بحيث يجعلانها في موضع حفص... وقرأ أهل الحجاز والحسن البصري (إنا)" [2].

[1]– الزمخشري، الكشاف، ج6، مرجع سابق، ص316.

[2]– يحي بن زياد الفراء: معاني القرآن، دار المصرية للتأليف والترجمة، القاهرة، 1983، ص238.

3. أثر القوانين الصوتية في العوامل اللغوية:

المتفق عليه فيما ورد على ألسنة علماء اللغة والفقهاء وأساطين البلاغة، أن اللغة العربية الفصيحة تقوم على الإعراب كظاهرة نحوية تجعل الكلام يستقيم ليحسن السكون على التركيب ومعناه، والبون واضح بينها، ومن سائر اللغات السامية التي تفتقد لهذه الظاهرة باستثناء اللغة الآكادية.

ويعتبر الإعراب من الآثار الجلية التي توضح عمل العوامل النحوية، وهو ما يحدثه من تغيير في شكل التركيب والتي تعبر عنه الحركات في مختلف المواضع للجمل والتراكيب، ويكون الإعراب مطردا قياسيا على مستوى النحو وكذلك على مستوى الصوت، ويكون ذلك عموما في الحركات الفرعية الإعرابية، أو التقدير لهذه الحركات، ولأهمية الإعراب وضرورته في توضيح المعنى نذكر قوله تعالى: {وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ} [النساء: 01].

ورد في تفسير الكشاف "(تساءلون به) تتساءلون به، أدغمت التاء في السين وقرئ (تتساءلون) بطرح التاء الثانية أي يسأل بعضكم بعضا بالله والرحم"[1]، والإدغام لطلب الخفة على مجرى اللسان حال القراءة، وأما الإعراب فوجب أن يشار إليه، "وقرئ (والأرحام) بالحركات الثلاث، فالنصب على وجهين، إما على (واتقوا الله والأرحام)، أو أن يعطف على محل الجار والمجرور كقولك: مررت بزيد وعمراً، قراءة ابن مسعود (تساءلون به والأرحام) والجر على عطف الظاهر على المضمر وليس بسديد لأن الضمير المتصل متصل كاسمه، والجار والمجرور كشيء واحد"[2]. والعامل فيه الفعل اتقوا.

---

[1]– الزمخشري، الكشاف، ج2، مرجع سابق، ص06.

[2]– نفسه، ص06.

والإعراب يؤدي طبيعيا إلى التغير المعنوي، كما اللفظي، فإذا أضفت العوامل للتراكيب كان التغيير بالزيادة أو النقصان، مثل ذلك الجملة الثانية، فإن دخل عليها عامل الشرط أصبحت ناقصة تحتاج إلى جواب شرط، كأن تقول: قام زيد، وإن قام زيد، ولهذا العامل النحوي أثر معنوي، وأثر صوتي.

فالعامل النحوي "يؤدي إلى تغيرات معنوية تتغير بتغير العوامل"[1]، هو ما أشار إليه ابن جني بقوله: "أما الكلام فكل لفظ مستقل بنفسه مفيد لمعناه، وهذا الذي يسميه النحويون الجمل، نحو: زيد أخوك، وقام محمد، وضرب سعد، وفي الدار أبوك... فعلى هذا يكون قولنا زيد قائم ثلاثا، فإن قلت شارطا: إن قام زيد، زدت عليه إن رجع بالزيادة إلى النقصان، فصار قولا لا كلاما"[2].

ومن خلال ذلك يتضح أن العامل (إن) أدى وظيفة التأثير في الكلام (الجملة)، هذا التأثير أو الأثر أدى إلى التغير المعنوي، حيث أصبحت الجملة بعد دخول العامل تحتاج إلى جواب شرط بعدما كانت تامة لفظا ومعنى.

ومن ذلك قوله تعالى: {وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ} [الأنفال: 33]، والمعنى "اللازم لتأكيد النفي والدلالة على تعذيبهم وأنت بين أظهرهم غير مستقيم في الحكمة، لأن عادة الله وقضية حكمته ألا يعذب قوم عذاب استئصال مادام نبيهم بين أظهرهم، وفيه إشهاد بأنهم مرصدون بالعذاب إذا هاجر عنهم"[3].

---

[1]– صلاح الدين حسين سعيد، التغيرات الصوتية في التركيب اللغوي، مرجع سابق، ص291.

[2]– ابن جني، الخصائص، ج1، مرجع سابق، ص17–19.

[3]– الزمخشري، الكشاف، ج2، مرجع سابق، ص577.

ومن ذلك قوله تعالى: {لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنْفَكِّينَ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ} [البينة: 01]، "والمعنى أنهم متشبثون بدينهم لا يتركونه إلا عند مجيء البينة، والبينة الحجة الواضحة"[1].

"كان الكفار من الفريقين أهل الكتاب، وعبدة الأصنام، يقولو قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم: لا تنفك مما نحن عليه من ديننا ولا نتركه حتى يبعث النبي الموعود الذي هو مكتوب في التوراه والإنجيل، وهو محمد صلى الله عليه وسلم محكى الله تعالى ما كانوا يقولونه"[2].

فالعامل (لم) في (لم يكن الذين كفروا) نفي وقلب، نفي كونهم من أهل الكتاب، وقلب زمن الكون لديهم، وبذلك أدى تغيرات في المعنى.

كذلك في مثل قوله تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ} [الأحقاف: 13]، بحيث أن العامل الذي هو الحرف المشبه بالفعل (إن) قد أدى معنى التوكيد، فضلا عن التغير الصوتي حتى أدى إلى قلب الضمة فتحة.

ومثل قوله تعالى: {وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ} [البقرة: 08]، والشاهد في عامل النفي (وماهم بمؤمنين)، "القصد إلى إنكار ما أدعوه ونفيه فسلك في ذلك طريق أدى إلى الغرض المطلوب، وفيه من التوكيد والمبالغة ما ليس في غيره وهو إخراج ذواتهم وأنفسهم من أن تكون طائفة من طوائف المؤمنين"[3]. والنفي أدى إلى التغير المعنوي كذلك.

وأما العامل الصوتي فيكون كذلك بحضور العوامل النحوية التي تؤدي إلى تغيرات صوتية تظهر في العلامات الإعرابية، وهي التي توجه الدلالة والمعنى

---

[1]- الزمخشري، الكشاف، ج6، مرجع سابق، ص411.

[2]- نفسه، ص411.

[3]- نفسه، ج1، ص171.

المقصود، وهذه التغيرات الصوتية تحدث نتيجة للعوامل النحوية، وقد قسمها اللغويون إلى قسمين:

الأول ما يحدث جراء القانون الصوتي، إذ ينتج عن هذا القانون الأثر الواضح في المنجز اللغوي، وهو ما يلاحظ ونراه دائما في التغيرات الصوتية حذفا، أو قلبا أو إبدالا، والآيات الآتية توضح ما أوردناه.

قال تعالى: {أَلَمْ أَقُل لَّكَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا} [الكهف: 75].

وقوله تعالى: {قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ} [يوسف: 96].

والملاحظ أن دخول (لم) على الفعل (قال) في الجملتين في حالة المضارع حذف الضمة، أي قام بعمله كعامل. فكان في الأولى سكونا واضحاً، وفي الثانية أدمج السكون في (أقل لكم)، وهذا التغير نتج عن حدث صوتي، وهذا هو عمل العامل الصوتي.

كما يُذكر ذلك في مثل الأفعال لم يقرأ تلميذ درسه، ولم يقرأ التلميذ الدرس، ذلك أنه في الجملة الأولى قلبت الضمة سكونا، وفي الثانية تغير من السكون إلى كسرة لالتقاء الساكنين، وذلك لسهولة النطق وتخفيفه.

وأما الثاني فكان "قياسي اصطلاحي، لاحظ اللغويون أن هناك تفاعلا بين الكلمات ضمن الجملة، وأن هذا التفاعل ينتظم وفق قوانين تسمح بتبادل التأثيرات والقوانين التي تنظم وفقها اللغة"[1].

ثم أن هذه القوانين الصوتية التي تنتظم وفقها اللغة، وحسب ما أورده اللغويون فهي خاضعة لأمرين أساسيين، وهما:

- أن تكون القوانين في دائرة التغيرات اللاإرادية وهذا نتيجة للتطور اللغوي.
- وأن تكون في مجال القياس، وهو الذي تنسحب عليه كل القضايا اللغوية المماثلة.

[1]– صلاح الدين سعيد حسن، التغيرات الصوتية، مرجع سابق، ص293.

وبذلك يحدث التغيّر في الحركات الإعرابية بسبب دخول العوامل على الجمل أو التراكيب، وذلك حسب نوع العامل وأثره فيما دخل عليه، فينقلب وضع الجملة مثلا من الضمة إلى السكون في فعلها المضارع بالجزم، وهو ما اصطلح عليه اللغويون لأنه من الناحية الصوتية يوحد إمكانية النطق بالضمة دون مراعاة العامل، ومثله مثل حالة النصب، {إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا} [الكهف: 75].

قلبت الضمة في تستطيع إلى فتحة بدخول العامل (لن)، فلم يتم حذف الضمة ولم تقلب إلى كسرة في مثل التقاء الساكنين في حالتها، وهذا يعزز القول "إن التغيرات الحاصلة هنا هي تغيرات اصطلاحية للتمييز بين المعاني، ثم أصبحت قياسا يعتمد ويحتذى"[1].

والمعروف أن الحروف تقسم كعوامل إلى ما يختص بالأسماء فقط، وهي حروف الجر، ومنها ما يختص بالأفعال دون سواها، ومنها ما يختص بها جميعاً.

ومن الحروف العوامل ما يجعل الأسماء مجرورة وهي حروف الجر، مثل قوله صلى الله عليه وسلم: "التمسوا ولو خاتما من حديد ومن يخفض الاسم وتصل الاسم بالاسم كما في المثال، أو العقل بالاسم مثل "مررت بزيد".

ومنها ما يدخل على الجملة الاسمية فيحدث فيها تغيّرا نصبا ورفعا كان وأخواتها، ومنها ما يدخل على الأفعال فقط كالنواصب والجوازم، كما في قوله تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ} [البقرة: 06]، فلفظ الدين المبني في محل رفع بعد دخول إن أصبح في محل نصب، وكذلك قوله تعالى: {فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَن تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ} [البقرة: 24]، ففي لم تفعلوا ولن تفعلوا غيرت علامة الإعراب الفرعية المعوضة للضم إلى الجزم، ثم إلى النصب في الثانية.

[1]– صلاح الدين سعيد حسن، التغيرات الصوتية، مرجع سابق، ص193.

وبعض الأحرف لها تأثير صوتي، ومثال ذلك لما يقع أثر العامل في الاسم (المبتدأ)، فيحدث فيه تغير صوتي في تشكيل هذا الاسم بقلب الضمة على أساس هو مبتدأ إلى فتحة في أخرى، وبذلك يكون التأثير الصوتي سببه العامل النحوي.

ومن الأحرف كذلك ما له تأثير معنوي، ومثال ذلك التأكيد والتمني والترجي، والتشبيه والاستدراك، باستعمال العوامل إن وأن، وليت ولعل، وكان ولكن وغيرها، والأمثلة على ذلك في محكم التنزيل كثيرة.

قال تعالى: {إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ إِنَّهُ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ} [البروج: 12-13]، والمعنى المضاف في (إن بطش ربك) هو التأكيد على أنه تعالى ذو القوة المتين الذي ما شاء كان كما يشاء في مثل لمح البصر أو هو أقرب.

وكذلك التشبيه في قوله تعالى: {كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ} [الرحمن: 58].

والتمني: قوله تعالى: {يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ} [القصص: 79].

وقوله تعالى: {وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ} [البقرة: 186]، والمعنى هو التوقع بالإرشاد والعودة لله عز وجل.

ومن العوامل النحوية التي كان الأثر الصوتي والأثر المعنوي فيها واضحا الإنشاء، ومنه الأسماء التي فيها معنى إلا كغير، وسوى، ومنه الأفعال التي فيها معنى إلا أيضا، فهي ليس، ماعدا، وخلا، وأداة الاستثناء تقوم بعمل كعامل من العوامل النحوية، وتنصب الاسم بعدها وذلك بتمام ما قبلها، وبذلك يحرك آخر اسم بعد إلا بفتحة نحو قوله تعالى: {وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ} [البقرة: 34]، فالاسم ابليس عملت فيه أداة الاستثناء إلا فنصبته.

وقوله تعالى: {وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلا أَيَّامًا مَعْدُودَةً} [البقرة: 80]، وبذلك العمل الذي أدته أداة الاستثناء بنصب ما بعدها لتمام ما قبلها تكون قد أدت وظيفة صوتية ومعنوية، ودلت على معنى إضافي.

ومن المعلوم أن أداة النداء تقوم مقام الفعل أنادي، أو أدعو، وعليه فهي تنصب الاسم المضاف بعدها، فهي تعمل عمل النصب في الاسم المنادي، والنداء هو طلب، أو تنبيه المنادي بإحدى أدوات النداء، وحكمه النصب، وإذا ورد مبني على الضم فهو في محل نصب، نحو قوله تعالى: {وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ} [البقرة: 35]. المنادى (آدم) اسم مبني على الضم فهو في محل نصب، وهذا ينم عن مرونة وطواعية اللغة العربية في قبولها وقدرتها على التغير الصوتي نتيجة التغير الواقع في أواخر الكلمات تبعا لتغير المعاني المراد التعبير عنها.

"والواضح أن أثر أداة النداء يتواكب مع المعنى المراد التعبير عنه، وهذا يدل على ارتباط المعاني بالتغيرات التي تفرضها العوامل النحوية"[1].

[1]– صلاح الدين سعيد حسن، التغيرات الصوتية، مرجع سابق، ص296.

الفصل الثالث

البنية اللسانية

لعربية القرآن

1. مظاهر التخفيف في البنية اللغوية.
2. مظاهر التخفيف بين الدلالة والبلاغة.
3. البنية التركيبية لعربية القرآن.
4. الحظر اللغوي في القرآن الكريم.

1. مظاهر التخفيف بين الدلالة والبلاغة:

يريد الإنسان دائما التعبير عن معان في نفسه، أو بما يدور في خلده، على اختلاف هذه المعاني وتفاوتها، وبطرق قد تكون مختلفة واختلافها يكون واضحا في الظاهر أو الخفاء.

وقد يأتي أسلوب التعبير لديه على سبيل البيان مجازاً أو كناية أو استعارة أو تشبيها، كما يمكن له أن يعبر عن المعنى الواحد المنفرد بإحدى هذه الطرق مع مراعاة مطابقة الكلام لمقتضى الحال أو لما يراد به، وبذلك يمكن القول أن المعنى يرد بطرق متعددة مع وضوح الدلالة عليه.

وهذا ما نجده في علم البيان، إذ "أن العلاقة في علم البيان قائمة بين اللفظ ودلالته على المعنى، هذا المعنى يختلف أيضا ويتباين، وهذا ما نجده في قضايا المشترك، فإن العلاقة بين اللفظ والمعنى تحدد بشكل واضح نوعية الأسلوب ومقصوده، وما أراده المتكلم منه مع القرائن المحددة للمعنى"[1].

والحديث عن دلالة الألفاظ التي تحمل معان متعددة مختزلة بذلك كثيرا من الجهد والعناء في التعبير يعزونا للوقوف على أهم قضايا علم البيان ودلالته من حقيقة ومجاز، والمعروف أن الحقيقة هي اللفظ المستعمل في ما وضع له في الأصل، وقد تختلف باختلاف استعمالها، فقد تكون لغوية، أو متعارف عليها أو شرعية، أو ما سمع من صطلاح لحرفة أو غير ذلك.

وأما المجاز فهو استخدام اللفظ في غير ما وضع له في الأصل، وسنتناول بعض قضايا الدلالة المتعلقة بالمشترك اللفظي والتضاد، والترادف وغيره، والفرق بين كل مصطلح منها.

---

[1]– عبد الواحد حسن الشيخ: العلاقات الدلالية، والتراث البلاغي العربي، مكتبة ومطبعة الإشعاع الفنية، الإسكندرية، ط1، 1999، ص101.

وقد تختلف الحقيقة باختلاف استعمالها وإن تعددت الألفاظ، ويستخدم كل منها مستقل بنفسه، وبذلك يحمل على مراده، ومع ذلك يمكن أن يقع الاشتقاق في اللفظ بما يزيد في إتساع الكلام.

"فالمشترك اللفظي هو ما دل على معنيين أو أكثر مختلفين غير ضدين دلالة حقيقية، ومن ذلك كلمة العين التي تدل على منبع الماء، أو على البصر، أو على الجاسوس، الدينار وسنام الإبل وغيره.

ومن ذلك قول الشاعر:

ما غلام له ثمانون عينا زاهرات كأنهن الدراري

فمن معاني العين الكثيرة هذا المعنى، أي له ثمانون ديناراً، والقرينة هي التي حددت هذا المعنى الحقيقي للفظة العين[1].

والمعاني التي تبطنها لفظة العين هاهنا، أن الغلام في يسر ورغد عيش فهو قرير العين، وقد اختصرت لفظة العين كل هذا المعنى وخففت من عناء الكلام وجهد التعبير، واستخدام المشترك في مثل هكذا مواضع يصير أبلغ من المجاز.

وقد يستغلق اللفظ بين كونه مجازاً أو مشتركا، ومثل ذلك لفظة "النكاح" فإنها ترد بين الوضعين الحقيقة والمجاز، وتحديدها يترتب عليه قضايا فقهية، بحيث تكون حقيقة في معنى الوطء، وربما هي مجازا في الزواج كعقد قران، أو أنها تتأرجح بين الحقيقة والمجاز، ومع ذلك فهي تحقق مظهرا لغويا في قضية التخفيف دلاليا وبلاغيا.

ومن مظاهر التخفيف في المشترك اللفظي والقرينة هي التي تحدد المعنى المراد، ففي قوله تعالى: {إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّكَ مَا يُوحَىٰ أَنِ اقْذِفِيهِ فِي التَّابُوتِ فَاقْذِفِيهِ فِي الْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ} [طه: 38-39].

[1]- عبد الواحد حسن الشيخ، العلاقات الدلالية، مرجع سابق، ص103.

جاء في الكشاف: "أن ظاهر اللفظ (اليم) أن البحر ألقاه بساحله وهو شاطئه، لأن الماء يسحله أي يفسره، وقذف به ثمة فالتقط من الساحل، إلا أن يكون قد ألقاه اليم بموضع من الساحل فيه فوهة نهر فرعون ثم أداة النهر إلى حيث البركة"[1].

وأما لفظة "فليلقه" فهو اشتراك بين الخبر والأمر، أي الإنشاء كأن حمل المعنى والله أعلم.

فألقه في اليم يلقه اليم، أو أن الله تعالى عز في علاه أمر اليم بإلقاء سيدنا موسى عليه السلام بالساحل، حيث القرب من فرعون.

فالمعاني متعددة واللفظ مفرد، ذلك هو الاختصار لتحقيق ظاهرة التخفيف في المنجز اللغوي.

ومثل ذلك الفعل مع الهمزة في "أرأيت" في قوله تعالى: {أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَى} [العلق: 09]، "والمعنى أخبرني عمن ينهى بعض عباد الله عن صلاته، إن كان ذلك الناهي على طريقة شديدة فيما ينهى عنه من عبادة الله أو كان أمرا بالمعروف والتقوى فيما يأمر به من عبادة الأوثان كما يعتقد، وكذلك إن كان على التكذيب للحق والتولي عن الدين الصحيح"[2]، والهمزة يحتمل أن تكون للتنبيه، كما يمكن أن تكون للاستفهام.

ومن ذلك الفعل قضى في قوله تعالى: {فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الموت مَا دَلَّهُمْ على مَوْتِهِ إِلاَّ دَابَّةُ الأَرْضِ} [سبأ: 14].

جاءت بمعنى حتم، وفي سورة الإسراءة الآية الرابعة وردت بمعنى أوحينا، جاء في الكشاف "وأوحينا إليهم وحيا مقضيا أي مقطوعا مبتوريا بأنهم مفسدون في الأرض"[3].

---

[1]- الزمخشري، الكشاف، ج4، ص82.

[2]- نفسه، ج5، ص405.

[3]- نفسه، ج3، ص494.

وكذلك في قوله تعالى: {وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الْغَرْبِيِّ إِذْ قَضَيْنَا إِلَى مُوسَى الْأَمْرَ وَمَا كُنْتَ مِنَ الشَّاهِدِينَ} [القصص: 44].

ورد في الكشاف "الغربي المكان الواقع في شق الغرب، وهو المكان الذي وقع فيه ميقات موسى عليه السلام من الطور وكتب الله له الألواح والأثر المقضي إلى موسى عليه السلام الوحي الذي أوحى إليه"[1].

ويكون بمعنى أمر في قوله تعالى: {وَقَضَى رَبُّكَ أَلا تَعْبُدُوا إِلا إِيَّاهُ} [الإسراء: 23]، ويكون بمعنى ضع في مثل: {فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ} [طه: 72]، كما يكون بمعنى أعلم في نفس الآية السابقة الرابعة من سورة الإسراء في قوله تعالى: {وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنّ فِي الأَرْضِ} [الإسراء: 04].

وبذلك يكون المشترك اللفظي قد تفرد بخصائص كانت له واضحة ومحددة لمقابله، ولما كانت للدلالة علاقة بالبلاغة أو مجازا وذلك لعلاقة قد تكون المشابهة أو غيرها مع القرينة طبعا، فإذا كانت مشابهة فهي استعارة، وإذا كانت غير ذلك فهي المرسل.

ويعبر بالضدية في بعض المواقف على سبيل السخرية والاستهزاء، فيؤتى بضد اللفظ عن الصفة التي يراد التعبير عنها، ويكون الاستعمال اللفظي مجازيا مع القرينة لأنه وضع في غير الأصل، ومثل ذلك القول بالاستجهال للعاقل، وبالاستخفاف للحلم، ومثل ذلك قوله تعالى: {قَالُوا يَا شُعَيْبُ أَصَلَاتُكَ تَأْمُرُكَ أَن نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَن نَّفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ إِنَّكَ لَأَنتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ} [هود: 87]، وهو قول قومه على سبيل التهكم والسخرية والاستهزاء في مقابل الاحترام والتقدير، واختصروا بذلك كثيرا الكلام للتخفيف وقصر الجهد.

[1]– الزمخشري، الكشاف، ج4، مرجع سابق، ص509.

جاء في الكشاف تفسير الآية: "كان قومه إذ رأوه يصلي تغامزوا وتضاحكوا فقصدوا بقولهم (أصلاتك تأمرك) السخرية والهزء، والصلاة إن جاز أن تكون آمرة على طريق المجاز كما كانت ناهية... ويقال أن الصلاة تأمر بالجميل والمعروف، كما يقال تدعوا إليه وتبعث عليه، إلا أنهم ساقوا الكلام مساق الطنز، وجعلوا الصلاة آمرة على سبيل التهكم بصلاته"[1].

"والشاهد كذلك في الآية في قوله تعالى: {إِنَّكَ لَأَنتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ} نسبته إلى غاية السفه والغي، فعكسوا ليتهكموا به كما يتهكم الشحيح الذي لا بيض حجره، فيقال له لو أبصرك حاتم لسجد لها، وقيل معناه: أنك للمتواصف بالحكم والرشد في قومك، يعنون أن ما تأمر به لا يطابق حالك وما شهرت به"[2].

فإذا كان المشترك اللفظي يدل على معان ومفردات عديدة غير متضادة، فإن التضاد له علاقة الضدية فحسب سواء أكان بأصل الوضع، أم لتحقيق التفاؤل أم التهكم أم السخرية.

ومن مظاهر التخفيف كذلك في المنجز اللغوي في لغتنا العربية التصور البياني بجميع صوره الذي هو الإيجاز البليغ، والإبانة الجلية والتأثير القوي، ولما كان تحليل صورة من صوره التي تعرض في لفظ منفرد أو في ألفاظ متعددة إلى شرح مطول وتفسير موسع، فهي لا تؤدي بذلك الإسهاب، ما تؤديه الصورة على إيجازها، كما لا يمكن إيقاظ الأذهان وإثارة المشاعر مثل ما تفعله الصورة البيانية، وما تحدثه من إفهام وتأثير.

فالتشبيه أبلغه ما اعتمد الإيجاز بحذف الأداة ووجه الشبه وتم الاقتصار في التعبير على ركنيه الأساسيين، وليس التخفيف مقصورا على هذا الجانب الشكلي من

---

[1]– الزمخشري، الكشاف، ج3، مرجع سابق، ص225.

[2]– نفسه، ص226.

الحذف، وإنما الأهم من ذلك ما يؤديه اللفظ القليل فيه من دلائل وإيحاءات ما يعجز عنه التعبير الحقيقي مهما أطلت فيه وأطنبت وأسهبت"[1].

ومثل ذلك حين يقع تشبيه الأمل مع استحالة المنال بالسراب في قوله تعالى: {وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا} [النور: 39].

وجاء تفسير السراب في الكشاف: "ما يرى في الفلاة من ضوء الشمس وقت الظهيرة يسرب على وجه الأرض كأنه ماء يجري... شبه ما يعمله من لا يعتقد الإيمان ولا يتبع الحق من الأعمال الصالحة التي يحسبها تنفعه عند الله وتنجيه من عذابه، ثم يخيب في العاقبة أمله، ويلقى خلاف ما قدر، بسراب يراه الكافر بالساهره، وقد غلبه عطش يوم القيامة، فيحسبه ماء فيأتيه فلا يجد ما رجاه"[2].

فكان التصوير البياني في أروع صوره فناً للأفكار بلغة ساحرة وإيحاء مبهر بما ورد في لفظ موجز برسم صورة تتراءى للعيان "للمنظر الخادع وللحر القائظ والهجير الملتهب، والظمأ القاتل الذي يبدو للعين في ثنايا هذه المحنة فرجا وأملا، وريا وماء، وترسم أيضا مشاعر الرغبة واللهفة والشوق والفرحة العارضة، والسعادة الغامرة، ثم اليأس والقنوط، والصدمة القاتلة"[3].

حينها تتجلى الحقيقة التي حملها اللفظ المفرد متمثلة فيما عبر عنه بتلك الصورة لتبدد ذلك الأمل الخادع، وأكثر من ذلك عبر عنه هذا الشتبيه بأدق المعاني بإيجاز مركز.

---

[1]- حمزة عبد الله النشرتي: من مظاهر التخفيف في اللسان العربي، الهيئة العامة لمكتبة الإسكندرية، مصر، 1986، ص203.

[2]- الزمخشري، الكشاف، ج4، مرجع سابق، ص309.

[3]- حمزة عبد الله النشرتي، من مظاهر التخفيف، مرجع سابق، ص203.

فالصورة البيانية المتمثلة في التشبيه تعتمد عادة على الإيجاز، وتحقق المعنى المراد، تحتوي بين طياتها أو ثناياها على الدليل الذي يفتح بصدق ما جاء في قوله تعالى: {مَّثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِّائَةُ حَبَّةٍ} [البقرة: 261].

جاء في الكشاف: "(مثل الذين ينفقون) لابد من حذف مضاف أي مثل نفقتهم كمثل حبة أو مثلهم كمثل بادر حبة، والمنبت هو الله، لكن الحبة لما كانت سببا أسند إليها الإنبات كما يسند إلى الأرض وإلى الماء، ومعنى سبع سنابل، أن يخرج ساقا يتشعب منها سبع شعب لكل واحدة سنبلة، وهذا التمثيل تصوير للإضعاف كأنها مئة بين عيني الناظر"[1].

وفي ذلك تعبير موجز يوحي تأثيره بالإقناع دون أن تؤدى هذه المعاني بعبارات كثيرة وإسهاب.

كما يعبر بالتشبيه الضمني على بعض القضايا في الحياة، كما في قول الشاعر:

ترجو النجاة ولم تسلك سالكها إن السفينة لا تجري على اليبس

ومن الصور البيانية الكتابة، وهي صورة من صور التعبير البلاغي، حيث الرمز والإيحاء في أقصر وأخف صور الكلام، بما في ذلك ما يعبر به عما كان جميلا، أو جمل التصريح به لما فيه من خدش للحياء، أو إثارة الاشمئزاز والنفور، ولا يمكن أن نجد أدل على هذه الصورة وأخف واسمى ذوقا من قول أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها في علاقتها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، حيث سئلت فقالت: "ما رأيت منه ولا رأى مني"، تلك صورة تعبيرية في عبارة موجزة تنم عن لسان عفيف كرمه الله عز في علاه بالحياء نطقا، فلا يصرح بما يعنيه.

[1]– الزمخشري، الكشاف، ج1، مرجع سابق، ص494.

بيد أن الصورة البيانية (الكناية) المعروضة بهذا الشكل والمعنى جاءت في أسمى المعاني الموجزة وأعلى تصور في قمة من العفة والحياء، والذوق ورقة الإنسانية.

ومثل ذلك قوله تعالى: {وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِ} [يوسف: 23].

ورد في الكشاف: "المراودة، مفاعلة من راد يرود، إذ جاء وذهب كأن المعنى خادعته عن نفسه، أي فعلت ما يفعل المخادع لصاحبه عن الشيء الذي يريد أن يخرجه من يدّه، يحتال أن يغلبه عليه ويأخذه منه، وهي عبارة عن التحمل لمواقعته إياها"[1].

فعبارة المراودة تخفي ألفاظا عدة لم تستطع أن تصرح بها لحدوث المواقعة، فكانت الكناية لترفع عنها الحرج وتؤدي ما تصبو إليه وتريده بتلك العبارة الموجزة بقيمتها الأخلاقية وعفتها الإنسانية.

والتعبير البياني لون من ظاهرة التخفيف في اللغة العربية وجب التركيز فيه على الجانب الأساسي لتحقيق ما خفي في المنجز اللغوي في القرآن الكريم.

ثم أن الحذف الذي يحقق ظاهرة التخفيف في مجمله لا يكون إلا عند العلم وأمن الإلباس، والشيء إذا علم وشهر موقعه يسهل حذفه وإسقاطه، والزمخشري يقرر هذا الأساس في قوله تعالى: {لَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ أُجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ} [الواقعة: 70].

حيث قال في المعنى أجاجا، ملحاً زعاقا لا يقدر على شربه، فإن قلت: لم أدخلت الكلام على جواب "لو" في قوله: {لَجَعَلْنَاهُ حُطَامًا} [الواقعة: 65]، وفزعت منه هاهنا؟ قلت: إن "لو" لما كانت داخلة على جملتين معلقة ثانيتهما بالأولى تعلق الجزاء بالشرط، ولم تكن مخلصة للشرط "كإن"، ولا عاملة مثلها، وإنما سرى فيها معنى الشرط اتفاقا من حيث إفادتها في مضموني جملتيها أن الثاني امتنع لامتناع الأول، افترقت في جوابها إلى ما ينصب علماً على هذا التعلق، فزيدت هذه اللام لتكون علما على

[1]– الزمخشري، الكشاف، ج3، مرجع سابق، ص267.

ذلك، فإذا حذفت بعدما صارت علما مشهورا مكانه، فلأن الشيء إذا علم، وشهر موقعه، وصار مألوفا ومأنوسا به: لم يبال بإسقاطه عن اللفظ، استغناء بمعرفة السامع"[1]. ثم يتبين بعد ذلك سر الحذف وبلاغته في ذلك، "فإذا ذكر ضاع هذا السر"[2].

ولم يكن كلام الزمخشري في الحذف مقصورا على بيان المحذوف، كما هو الحال عند كثير من البلاغيين، "وإنما كان يبحث سره دائما ويكشف ما ينطوي عليه من معنى بلاغي، فالخبر قد يحذف ليفيد حذفه مزيدا من التقوية والتوكيد بقوله تعالى: {وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ} [الأنفال: 41]، فإن لله مبتدأ خبره محذوف تقديره فحق أو فواجب أن لله خمسه... كأنه قيل فلابد من ثبات الخمس فيه ولا سبيل إلى الإخلال به والتفريط فيه"[3].

وقد يحذف المفعول للدلالة على عظمة المحذوف حتى أنه لا يكتبه ولا يحيط به وصف، كما يقول في قوله: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ} [الحج: 05].

ورد في الكشاف: "المعنى الدلالي على تلك العظمة في قدرة الله تعالى بالمعنى إنما خلقناكم من حال إلى حال ومن خلقة إلى خلقة (لنبين لكم)، بلهذا التدرج قدرتنا، وحكمتنا... وورود الفعل غير معدي إلى المبين، إعلام بأن أفعاله هذه يتبين بها من قدرته وعلمه ما لا يكتنهه الذكر ولا يحيط به الوصف"[4].

---

[1]- الزمخشري، الكشاف، ج6، مرجع سابق، ص34.

[2]- نفسه، ص34.

[3]- محمد حسنين أبو موسى: البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري وأثرها في الدراسات القرآنية، دار الفكر العربي، القاهرة، دت، ص334.

[4]- الزمخشري، الكشاف، ج4، مرجع سابق، ص177.

وقد يحذف أو قد يكون حذفه للدلالة على التعميم، وإنه يتناول كل ما يصح أن يدخل تحت هذا الفعل، فليس ذكر البعض بأولى من الآخر كما في قوله تعالى: {إِيَّاكَ نَسْتَعِينُ} [الفاتحة: 05]. "يقول: فإن قلت لم أطلقت الاستعانة وبتوفيقه على أداء العبادة يكون قوله اهدنا بيانا للمطلوب من المعونة كأنه قيل كيف أعينكم، فقالوا اهدنا الصراط المستقيم، وإنما كان أحسن لتلاؤم الكلام وأخذ بعضه بحجزة بعض"[1].

يحذف المفعول به في كثير من المواضع لأغراض بلاغية كثيرة، "وأما ما هو شائع حذفه حتى لا يكاد يذكر فهو مفعول الفعل "شاء" و"أراد"، ومفعول شاء هاهنا محذوف لأن الجواب يدل عليه والمعنى لو شاء الله أن يذهب بسمعكم وأبصاركم لذهب بها، وقد كثر هذا الحذف في شاء وأراد، إلا ما كان قليلا أو لضرورة شعرية، كما في يقول: لو شئت أن أبكي دما لبكيت... مثل قوله تعالى: {لَّوْ أَرَادَ اللَّهُ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا لَّاصْطَفَىٰ مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ ۚ سُبْحَانَهُ هُوَ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ} [الزمر: 04]"[2].

تحذف الجملة المعطوفة على جملة أخرى، "ذلك لظهور معناها والسر بلاغي يتجدد بتجدد مقامات الكلام كما في قوله تعالى: {وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ إِذِ اسْتَسْقَاهُ قَوْمُهُ أَنِ اضْرِب بِّعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانبَجَسَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا} [الأعراف: 160]، فإن قلت نهلا قيل: فضرب فانبجست؟، قلت لعدم الإلباس وليجعل الانبجاس مسببا عن الإيحاء بضرب الحجر للدلالة على أن الموحي إليه لم يتوقف عن إتباع الأمر، وأنه من انتفاء الشك عنه، بحيث لا حاجة إلى الإفصاح به"[3].

يحذف جملة الشرط وتدل عليها، فاء الفصيحة التي لا تقع إلا في الكلام البليغ، كما هو الحال في فاء فانبجست التي تتعلق بالمحذوف أي فضرب فانبجست.

---

[1]– الزمخشري، الكشاف، ج1، مرجع سابق، ص120.

[2]– ينظر: محمد حسنين أبو موسى، البلاغة القرآنية، مرجع سابق، ص335.

[3]– الزمخشري، الكشاف، ج2، مرجع سابق، ص522.

وقد يحذف جواب الشرط، وجواب "لما" لاستطالة الكلام مع أمن الإلباس، وفي حذفه من الإيجاز وقوة الدلالة ما ليس في ذكره، بحيث يقول الزمخشري في هذا في قوله تعالى: {فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَّا يُبْصِرُونَ} [البقرة: 17].

"فإن قلت أين جواب لما؟ قلت فيه وجهان أحدهما أن جوابه ذهب الله بنورهم، والثاني: أنه محذوف كما حذف في قوله: {فَلَمَّا ذَهَبُواْ بِهِ} [يوسف: 15]، وإنما جاز حذفه لاستطالة الكلام مع أمن الإلباس للدال عليه، وكان الحذف أولى من الإثبات لما فيه من الوجازة، مع الإعراب عن الصفة التي حصل عليها المستوقد بما هو أبلغ من اللفظ في أداء المعنى، كأنه قيل: فلما أضاءت ما حوله خمدت تبقوا خابطين في ظلام متحيرين منحسرين على فوت الضوء"[1].

[1]– الزمخشري، الكشاف، ج1، مرجع سابق، ص192.

2. مظاهر التخفيف في البنية اللغوية:

البنية اللغوية تقوم على أساس بناء الجملة العربية وما تعتمد عليه في الإسناد في ركنيها الأساسيين، "وتركيب الجملة القرآنية هو بناء أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير، وهيكل نسقت لبناته ونظمت أدق تنظيم، فلها من وسائل الترتيب ووجوه التنظيم والتركيب لحروفه، وتأليف كلماته، وتنسيق كل جملة مع ما يجاورها مما يدهش العقول، ويجبر الألباب، إذ هو أمر فوق الطبيعة البشرية والقدرة الإنسانية، {وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ} [الحاقة: 41-43]. لا ترى كلمة تنبو عن مكانها أو تضيق بموضعها، بل ترى اتساقا وائتلافا... وذلك لأن التآخي في المعاني كالتآخي في المباني"[1].

وما ظاهرة التخفيف إلا ذلك التجلّي الذي يقوم على الحذف والإيجاز والاختصار الذي يتم اللجوء إليه لضبط النظام اللغوي، وقد ورد ذلك في كثير من المصنفات، محافظة على جوهر الخفة في مقابل الثقل الذي تمجه النفس، وتستثقله العقول، "كما أن المتكلم يرى أن ترك الذكر أفصح من الذكر، والصمت على الإفادة أزيد من الإفادة، فالمحذوف إذا دلت عليه القرينة كان ذكره ثقيلا في موضعه، لأنه تعريف لما عرّف، وبيان لما بيّن، وإذا حذف المعروف فقد رفعت الثقل على السامع، ورفعت الكلفة التي تكون عليه عندما يسمع حديثا معاداً، فالكلمة الخالية من الفائدة كالثقيل تؤذي العين بوجوده، فإذا حذفتها وجدت من الأنس ما يغمر القلب سرورا"[2].

وفيما يتعلق بالتركيب أو البنية اللغوية وما يقع فيها من حذف أو في أحد أجزائها، سواء أكان مبتدأ أم خبرا، أم فاعلا، أم مفعولا، وقد يحذف التركيب بكامله من

---

[1]- عبد الفتاح لاشين: ابن القيم وحسه البلاغي في تفسير القرآن، دار الرائد العربي، بيروت، ط1، 1982، ص158.

[2]- نفسه، ص85.

مسند ومسند إليه، "وأذكر هنا ما يتعلق بحذف جملة من الكلام حين يعيد المتكلم إلى طريقة الإيجاز، فيطوى في أثناء كلامه كثيرا من الجمل"[1].

"والحذف في بناء الجملة أحد المطالب الاستعمالية، فقد يعرض أن يحذف أحد العناصر المكونة لهذا البناء، وذلك لا يتم إلا إذا كان كالباقي في بناء الجملة بعد الحذف مغنيا في الدلالة كافيا في أداء المعنى، وقد يحذف أحد العناصر لأن هناك قرائن معنوية أو مقالية تومئ إليه، أو تدل عليه، ويكون في حذفه معنى لا يوجد في ذكره وهو ما سماه نحاة العربية الحذف الجائز، ففي قوله تعالى: {قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ قَالَ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ} [الشعراء: 23-24]. نجد الإجابة اكتفت بعنصر إسنادي واحد من عنصري الجملة الاسمية وهو الخبر، ولم تذكر المبتدأ لأن الموقف المقالي كاشف عنه"[2].

والحذف في أحد عناصر الجملة العربية، أي في أحد عناصرها -أركانها- أو في الفضلات، لا يكون إلا بشروط، وأساس هذه الشروط عدم التأثير به في المعنى، أي أن الكلام بعد الحذف لا يقع في اللبس، ولا ينحرف عن المعنى المراد ولا يتملكه الخلط وأن لا يؤدي المعنى إلى غموض أو إبهام، مثل حذف المنادي، لأن المحذوف المقدر بأدعو وأنادي ناب عنه حرف النداء، وهو العامل في المنادى الذي أصله مفعول به، فإذا حذفت المنادي والعامل محذوف أصلا، اختلط المعنى بغيره وحدث الغموض في المعنى، وقد أجاز بعضهم حذفه إذا وقع بعد حرف النداء ما يدل على الدعاء من جملة أو أمر مثل قوله تعالى: {أَلَّا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ} [النمل: 25].

---

[1]- محمد حسين الموسوي: البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري وأثرها في الدراسات البلاغية، دار الفكر العربي، الأردن، دت، ص380.

[2]- محمد حماسة عبد اللطيف: بناء الجملة العربية، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 2003، ص269.

كما سبق فإن العائد الذي يعود على الاسم الموصول من صلته غالبا ما يكون ضميرا متصلا مثل: الذي قرأت نصا، حذف الضمير في قرأت، والأصل قرأته، فلا يجوز أن يكون المحذوف مؤكدا كأن تقول: الذي ضربت زيدا نفسه أو الذي ضرب نفسه زيدا، فيتداخل المعنى بين ضرب زيد، أو ضرب النفس.

وعليه لابد من ذكر العائد، ومن المعلوم "أن المحذوف مع وجود الدليل عليه يميز له المذكور من الكلام، ذلك لا يجوز توكيد الشيء المحذوف"[1].

وأما المعنى الوارد في الكشاف للآية (ألا يسجدوا لله) فقد جاء: "فإن قلت من أين للهدد التهدي إلى معرفة الله ووجوب السجود له وإنكار سجودهم للشمس، وإضافته إلى الشيطان وتزيينه؟ قلت لا يبعد أن يلهمه الله ذلك كما ألهمه وغيره من الطير وسائر الحيوان المعارف اللطيفة التي لا يكاد العقلاء إرجاح العقول يهتدون لها... ومن قرأ بالتشديد أراد: فصدهم عن السبيل لئلا يسجدوا، فحذف الجار مع أن، ويجوز أن تكون "لا" مزيدة، ويكون المعنى فهم لا يهتدون إلى أن يسجدوا، ومن قرأ بالتخفيف فهو ألا يسجدوا ألا للتنبيه، وياء حرف نداء ومناداه محذوف، كما حذفه من قال: ألا يا اسلمي يا دار متى على البنى..." [2].

ومن ثم كان انتقاء الألفاظ ذات الإيحاء المكثف يضفي إلى الدلالة واعتماد الحذف والتخفيف به، هنا ليس القصد منه الحركات الإعرابية أو التنوين أو التقاء الساكنين، كإشارة إلى التأصيل في البحث في هذا الباب والاعتماد في ذلك على تبيان الظاهرة من خلال حذف الكلمة كجزء من الحركة أو الجملة بكاملها سواء كان ذلك اسما أو فعلا، نطقا أو خطا.

---

[1]– أحمد عفيفي: ظاهرة التخفيف في النحو العربي، مرجع سابق، ص26.

[2]– الزمخشري: الكشاف، ج4، مرجع سابق، ص448.

والحق أن اللغة العربية تنفرد بالكثير من المظاهر التي تدل على أنها لغة راعت مظاهر الخفة مع عدم الإخلال بالمعنى أو اللفظ"[1]. وسنكتفي بنماذج على ذلك.

يقول عز في علاه: {ثُمَّ لَنَنزِعَنَّ مِن كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَٰنِ عِتِيًّا} [مريم: 69].

والتقدير والله أعلم بموطن الحذف في قوله: "أيهم أشد"، أي أيهم هو أشد، فالضمائر من الأسماء والضمير هو مبتدأ مرفوع محذوف للتخفيف، وأشد خبر، والدلالة حذف المبتدأ لضعفه في هذا الموقف، "واختلف في إعراب أيهم أشد، فعن الخليل: أنه مرتفع على الحكاية والتقدير: لنفزعن الذين يقال فيهم أيهم أشد، وسيبويه: على أنه مبني على الضم لسقوط صدر الجملة التي هي صلته حتى لو جيء به لأعرب، وقيل: أيهم هو أشد، ويجوز النزع، واقعاً على من كل شيعة، فكأن قائلا يقول: من هم؟ فقيل: أيهم أشد عتيا، وأيهم أشد بالنصب... أي عتوهم أشد على الرحمان، وصليهم أولى بالنار كقولهم: هو أشد على خصمه وهو أولى بكذا"[2].

ومن ذلك قوله تعالى: {وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحُطَمَةُ نَارُ اللَّهِ الْمُوقَدَةُ} [الهمزة: 05-06]، أي هي نار الله الموقدة.

ويقع الحذف كذلك بعد فاء الجواب كقوله تعالى: {وَإِنْ تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ} [البقرة: 220]، أي فهم إخوانكم، والفاء واقعة في جواب الشرط، والضمير مبتدأ مرفوع وإخوانكم خبر.

"والدلالة على المحذوف يتكفل بها التركيب المنطوق، وانتماؤه إلى نموذج معين هو البنية الأساسية، والاعتماد على الموقف الكلامي أو المقام فهل يستطيع قارئ أن

[1]- أحمد عفيفي: ظاهرة التخفيف، مرجع سابق، ص337.

[2]- الزمخشري، الكشاف، ج4، مرجع سابق، ص43.

يقرأ الآيات الآتية دون أن يدرك أن ثمة محذوفا به يتم الكلام، وهو قوله: {نَارُ اللَّهِ الْمُوقَدَةُ}، {وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحُطَمَةُ} افأنبئكم بشر من ذلك النار"[1].

كما يحذف المبتدأ إذا كان الكلام متضمنا معنى القسم أو الخبر موحيا به مثل: في ذمتي لأفعلن كذا، والتقدير: في ذمتي قسم أو يمين لأفعلن كذا، شبه الجملة في ذمتي في محل رفع خبر مقدم وجوبا، والمبتدأ المحذوف مؤخر وجوبا تقديره قسم أو يمين، وإذا كان الخبر مخصوصا بالمدح أو الذم فيحذف وجوبا مثل قوله تعالى: {وَالْأَرْضَ فَرَشْنَاهَا فَنِعْمَ الْمَاهِدُونَ} [الذاريات: 48].

ورد في الكشافك "فنعم الماهدون، فنعم الماهدون نحن"[2].

ومعنى ذلك أن ليس هناك من يستطيع هذا الإبداع دون الله عز وجل الذي بسط قدرته على الكون بتعظيم ذاته عز وجل بنحن: وله العزة في ذلك.

كما يقال: نعم الرجل خالد، وبئست الفتاة الكاذبة، فكل من خالد والفتاة خبر للمبتدأ المحذوف وجوبا، والتقدير: نعم الرجل هو خالد، وبئست الفتاة هي الكاذبة.

فالحذف دون الذكر في هذه الأمثلة هو تخفيف، واختصار للجهد لأنه لن يكون هناك غموض لدى المتخاطبين في معرفة المخبر عنه، ذلك أن القرينة التي تدخل في المحذوف موجودة في معنى القسم، وكذلك موجودة في معنى المدح أو الذم فلا ضرر في الحذف.

والحذف في القرآن الكريم كثير على سبيل الإيجاز أو الاختصار تخفيفا للنطق وتسهيلا للقراءة.

مثل قوله تعالى: {وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا} [الفرقان: 05].

وقوله تعالى: {سُورَةٌ أَنزَلْنَاهَا وَفَرَضْنَاهَا} [النور: 01].

---

[1]– محمد حماسة عبد اللطيف، بناء الجملة العربية، مرجع سابق، ص263.

[2]– الزمخشري، الكشاف، ج5، مرجع سابق، ص618.

والتقدير في الآية الأولى: هي أساصير الأولين.

وفي الآية الثانية: هي سورة أنزلناها، والضمير المحذوف مبتدأ خبره أول كل آية.

ويحذف الخبر كذلك كأحد ركني الجملة الاسمية مثله مثل حذف المبتدأ، كما ذكر اختصارا وطلبا للخفة لفظا وخطا، وذلك للعلم بالمحذوف، ولا يكون معلوماً إلا إذا وجد الدليل على الحذف مع عدم تأثر المعنى به، ومنه:

قوله تعالى: {مَّثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُأُكُلُهَا دَائِمٌ وَظِلُّهَا} [الرعد: 35].

أي ظلها دائم، حيث حذف الخبر اختصارا لدلالة خبر المبتدأ الأول عليه، ودلالة الديمومة السرمدية أنه "لا ينسخ كما ينسخ في الدنيا بالشمس"[1].

وقد تحذف الجملة الاسمية بكاملها (مسند ومسند إليه معا) للعلم بهما من الدلالة السابقة لهما، على المحذوف ومن ذلك قوله تعالى: {وَاللَّائِي يَئِسْنَ مِنَ الْمَحِيضِ مِنْ نِسَائِكُمْ إِنِ ارْتَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ} [الطلاق: 04].

والتقدير: واللائي لم يحضن فعدتهن ثلاثة أشهر، فحذف المبتدأ أو الخبر لدلالة ما قبلهما عليهما.

ومنه كذلك قول: نعم في جواب من سأل: هل الطالب مجتهد، فيجاب: نعم، والتقدير: نعم الطالب مجتهد، "فحذف المبتدأ أو الخبر للعلم بهما"[2].

وكما هو الحال في قوله تعالى: {فَصَبْرٌ جَمِيلٌ} [يوسف: 18]. على أن صَبْرٌ مصدر مذكور من الفعل صبر والذي يحمل من الدلالات ما لا يقوى على تحمله إلا من ألهمه الله تعالى من قوة رباطة جأش، ونستعرض لهذا المثال مفصلا في المستوى

---

[1]– الزمخشري، الكشاف، ج3، مرجع سابق، ص355.

[2]– صبحي التميمي: هداية السالك في ألفية بن مالك، ج1، دار الشهاب للطباعة والنشر، باتنة، الجزائر، دت، ص32.

التركيبي في الفصل الأخير، فصبري صبر جميل دلالة القرينة اللفظية توحي بحذف المصدر "صبري" أو "أمري" الذي جمل من الدلالات والمعاني كانت كافية للتعبير عما كان يعانيه سيدنا يقعوب من آلام وأحزان، وكيف لا وهو فقده لفلذة كبده "يوسف".

كما يحذف المبتدأ بعد الاستثناء "بلاسيما": "إذا كان المستثنى مرفوعا مثل: أكرم الزعماء لاسيما سعد، أي هو سعود"[1].

وانتقالا من المصدر إلى أحد مشتقاته، وهو اسم الفاعل الذي دل على صيغة معتصم مقدر في قوله تعالى: {قَالَ سَآوِي إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ} [هود: 43]، وذلك أنه لما جعل الجبل عاصما من الماء، قال له: لا يعصمك اليوم معتصم قط من جبل ونحوه سوى معتصم واحد وهو مكان من رحمهم الله ونجاهم، ويعني السفينة، وقيل لا عاصم بمعنى لا ذا عصمة إلا من رحمه الله"[2].

والشاهد في اسم الفاعل "عاصم" الذي عوض معتصم، والذي أغنى عن جملة مطولة هي كلا لا أحد يعصمك اليوم من الماء، فورد اسم الفاعل متردد بين معنيين في صيغة عاصم، الأول هو على ما هو عليه بمعنى لا أحد يعصمك اليوم من أمر الله، والثاني: أن الصيغة تندرج ضمن صيغ ظاهرة تناوب الصيغ، فهي اسم مفعول جاء في صورة اسم فاعل عاصم، معصوم.

أي: فاعل ـ مفعول، والمعنى لا أحد معصوم من أمر الله مثلما ورد في صيغ: أنت الطاعم الكاسي والمعنى المطعوم والمكسوُّ.

---

[1]– أحمد الهاشمي: القواعد الأساسية للغة العربية، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 1998، ص108.

[2]– الزمخشري، الكشاف، ج3، مرجع سابق، ص202.

والملاحظ أن الصيغة قامت مقام صيغتين، فأدت معنيين، والله عز في علاه أراد نفي الأمر في الحالتين، فلا أمر عاصم ولا أحد معصوم، وهو اختصار للجهد في الكلام، وما ذاك إلا وجه للبلاغة والإيجاز بلفظ قليل على معنيين"[1].

ومثل ذلك قوله تعالى: {لا تَسْمَعُ فِيهَا لاغِيَةً} [الغاشية: 10].

"ولاغية فاعلة قد تكون بمعنى اللغو، واللّغا، والصفة تقوم مقام المصدر، وقد يكون المعنى: لا تسمع فيها جماعة لاغية أو لكلمة لاغية أو قائلة لغوا"[2].

والحذف كذلك على مستوى الكلمة أو الجملة، لابد أن يفهم ما يدل عليه من السياق، ويكون الفهم قائما في الذهن وبخاصة إذا كان في أحد عنصري الجملة الرئيسيين أو في أحدهما، وهكذا حذفا قصد التخفيف لا يكون اعتباطيا بأي حال من الأحوال، بل هو قائم على أساس شروط تقوم نظام المنجز اللغوي وتعدله.

ومن ذلك حذف الفعل والفاعل معاً لورود القرينة الإعرابية في لفظ "أخاهم" من الآية، وإلى عاد أخاهم.

الملاحظ أن هذا اللفظ ورد منصوبا في الآية {وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ} [الأعراف: 65].

جاء في الكشاف المعنى على الصيغة التالية: "أخاهم واحداً منهم من قولك، يا أخا العرب، للواحد منهم، وإنما جعل واحدا منهم لأنهم أفهم عن رجل منهم، وأعرف بحاله، في صدقه وأمانته، وهو هود بن شالخ بن أرفخشد بن سام بن نوح"[3].

وكما كان ذكر لفظ "أخاهم" منصوبا، يكون التقدير والله أعلم "وإلى عاد أرسلنا أخاهم هوداً" ليتضح المحذوف جملة فعلية أساسها فعل وفاعل، وكما هو الحال في حذف الياء من (قومي) وهو اختصار وأخذا بأسباب التأدب في مثل هكذا مواقف أثناء

---

[1]– ينظر: مهدي أسعد عرار: مباحثات لسانية في ظواهر قرآنية، دار الكتب العلمية، بيروت، 2008، ص16.

[2]– نفسه، ص16.

[3]– الزمخشري، الكشاف، ج2، مرجع سابق، ص457.

التخاطب، مثلما فعل سيدنا هود عليه السلام، لأنهم نعتوه بالسفاهة حينما أراد دعوتهم إلى عبادة الله تعالى.

ومن الأمثلة كذلك قوله تعالى: {وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ} [لقمان: 25].

وقوله تعالى: {وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ نَزَّلَ مِنَ السَّماءِ مَاءً فَأَحْيا بِهِ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِها لَيَقُولُنَّ اللَّهُ} [العنكبوت: 63].

"...والمقصود في الدلالية هو القدرة الإلهية هي التي أوجدت وخلقت هذا الكون وما فيه من سماوات وأرضين، وأحياء... والحذف واقع حقيقة لأن وقوع الكلام جوابا عن السؤال"[1].

والحمولة الدلالة "تكمن في مساءلة المشركين عمن خلق السموات والأرض، وعمن أنزل الماء... لوضوح المانع من إسناد الخلق إلى غيره"[2].

إن قولهم هو إجابة "ليقولن الله"، وهذا يدل على معرفتهم أن الله سبحانه وتعالى هو خالق السماوات والأرض، ومحيي الأرض بعد موتها، أي يحيي ما فيها من نبت وزرع، وهو جوابهم بذكر عما هم عارضون به، وذلك اعتراف وإلتزام لهم بالحجة.

والتقدير هو "خلقهن الله" أي ليقولن: خلقهن الله، فحذف الفعل والمفعول معا ليبقى الفاعل وهو الأهم، وكذلك السؤال عمن نزّل الماء الذي أحيا الأرض، فالمشركون يعرفون كذلك أن الله تعالى هو منزل الماء الذي به تحيا الأرض بعد موتها، ولكن يجحدون وتلك صفاتهم، والله أعلم بهم من أنفسهم، ولكن وجبت إقامة الحجة عليهم، وذلك لئلا يكون على الله منهم حجة بعد الرسل.

---

[1]- عبد المتعال الصعيدي: بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة، ج1، مكتبة دار الآداب، القاهرة، 1999، ص133.

[2]- الشيرازي: أنوار التنزيل وأسرار التأويل، المعروف بتفسير البيضاوي، ج5، مؤسسة شعبان للنشر والتوزيع، بيروت، دت، ص153.

فحذف هاهنا الفعل تخفيفا، واختصارا، وذكر لفظ الجلالة "الله" فاعل، وهو أهم من ذكر الفعل لأن الله تعالى غني عن ذكر فعله، والأمثلة كثيرة في القرآن الكريم.

ومن بين بنية الجملة العربية المفصلة التي قد تكون ضرورة عند ذكرها، وقد تحذف ومن ذلك:

- **المفعول به:**

يحذف المفعول به، ويثبت الفعل للدلالة على إثبات المعنى في نفسه للشيء على الإطلاق "كأن تقول: يحل ويعقد... وقولهم: يعطي ويجزل من غير أن يتعرض إلى حديث العقول حتى كأنك قلت: صار إليه الحل والعقد"[1].

كما في قوله تعالى: {لا نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءُ} [القصص: 24]، والقصد بالمعنى هو السقي، وليس المسقى، وذلك لترك المفعول لأن المراد هو تبليغ سيدنا موسى عليه السلام بعدم السقي وهو المراد.

ويقع الحذف كذلك لغرض التخفيف، ليعرف القصد من صاحبه إذا تكلم، ويكثر الاستعمال في مثل القسم وجوابه وهو جانب كبير من الاختصار، فقد أكثر منه العرب في لغتهم سواء أكان اختصارا أم اقتصارا فحذفوا الاسم والفعل والمفعول والجملة بكاملها.

وحذف الجملة يقع عادة في القسم جملته أو جوابه.

- **حذف جملة القسم:**

يقع حذف جملة القسم في اللغة حين إنجازها كثيرا، "والحذف لازم مع غير الباء من حروف القسم، فحيث قيل: لأفعلن أو لقد فعل أو لئن فعل فثم جملة قسم مقدرة نحو قوله تعالى: {لأُعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا} [النمل: 21].

---

[1]– عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز، أصّله محمد عبده، علي عيلة، حمد رشيد رضا، دار المعرفة للنشر والتوزيع، بيروت، ط3، 2001، ص70.

ومنه قوله تعالى: {لَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ} [آل عمران: 152].

وقوله تعالى: {لَئِنْ أُخْرِجُوا لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ} [الحشر: 12]"[1].

والمعاني في الآيات المذكورة:

"أولها: لأعذبنّه، تعذيبه أن يؤدب لما يحتمله حاله ليعتبر به أبناء جنسه"[2].

ثانيها: لقد صدقكم الله وعده، أي وعدهم النصر بشرط الصبر والتقوى في قوله تعالى: (وإن تطيعوا وتتقوا)، ويجوز أن يكون الوعد قوله تعالى: (سنلقي في قلوب الذين كفروا الرعب)"[3].

وثالثها: قول الزمخشري: وكما يعلم ما يكون فهو يعلم ما لا يكون، ولو كان كيف يكون... والمعنى في لئن نصر المنافقون اليهود لينهزمن المنافقون ثم لا ينصرون بعد ذلك، أي يهلكهم الله تعالى ولا ينفعهم نفاقهم لظهور كفرهم أو لينهزمن اليهود ثم لا ينفعهم نصرة المنافقين"[4].

- **حذف جواب القسم:**

يقع حذف جواب القسم كذلك في اللغة العربية "وجوبا إذا تقدم عليه أو اكتنفه ما يغني عن الجواب مثل قولك: زيد قائم والله، ومنه جاءني زيد والله أكرمته، الثاني: زيد والله قائم.

ويجوز الحذف في غير ذلك نحو قوله تعالى: {وَالنَّازِعَاتِ غَرْقًا} [النازعات: 01]، أي لتبعثن بدليل ما بعده.

ومثله قوله تعالى: {ق وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ} [ق: 02]، أي ليهلكن بدليل كم أهلكنا أو أنك لمنذر، بدليل قوله تعالى: {بَلْ عَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ} [ق: 03].

---

[1]- حمزة عبد الله النشرتي، من مظاهر التخفيف، مرجع سابق، ص187.

[2]- الزمخشري، الكشاف، ج4، مرجع سابق، ص445.

[3]- نفسه، ج1، ص640.

[4]- نفسه، ج6، ص82.

ومثلــه: {ص وَالْقُـرْآنِ ذِي الـذِّكْرِ} [ص: 01]، أي إنــه المعجـز أو أن لمـن المرسلين أو ما الأمر كما يزعمون"[1].

ونخلـص إلـى القـول أن ظـاهرة التخفيـف علـى مسـتوى البنيـة التركيبيـة بغـض النظر عن التغيرات التي تقع في الحركات الإعرابية، فإن الظاهرة تكمن في الوحدات التـي يتركـب منهـا المنجـز اللغـوي الـذي أساسـه الجملـة العربيـة، فكـان اعتمـاد ظـاهرة الحـذف كعمـدة منتشرة فـي اللغـة لكثـر الاستعمال فكـان ذلـك فـي الكلمـة، مـن مبتدأ أو خبر أو فاعل، أو اسم فاعل، أو مفعول وغيره.

وإنما أحطنا بهذه الصيغ كنماذج لإبراز الظاهرة وتبيان كنهها والدلالة المتعلقة بها.

[1]– حمزة عبد الله النشرتي، من مظاهر التخفيف، مرجع سابق، ص187.

3. البنية التركيبية لعربية القرآن:

وصلت اللغة العربية في شبه الجزيرة العربية مبلغا جعل أهلها يتباهون بأدق تفاصيلها حتى وصلت درجة من الكمال أهّلها، بل أعدها لنزول القرآن الكريم بها، وكان ذلك حدثا انتفضت له أرض العرب وتميزت به عربية القرآن في ألسنة قريش على غيرها من اللغات السامية.

"ولقد شاء الله أن يكون القرآن الكريم هو آيته الكبرى الباقية أبد الدهر بما جمع من كمال بيانه، وحجة الله به، وقصص القرآن، وبقائه على الزمن محفوظا بلسان عربي مبين"[1].

والإقبال على دراسة البنية التركيبية في القرآن الكريم يوقفنا لاشك عند الإعجاز فيما ورد من آياته الكريمة للدلالة على ما يتضمنه كتاب الله المعجز من تحدي لمن تسول له نفسه مجرد التفكير في الإتيان بشيء من سوره قل أو كثر، وذلك بقوله تعالى: {فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ} [البقرة: 23].

ثم إن القرآن الكريم بعربيته تعجز الثقلين كذلك ولو كان بعضهم لبعض ضهيرا على أن يأتوا بمثله، وتمت مشيئة الله أن يرتبط القرآن بالعربية ارتباطا وثيقا يتجلى به كماله اللغوي، وبناء على كل ما يحاط بلغة القرآن الكريم تُتصور دلالة ظاهرة التخفيف في تراكيبه ومفرداته.

لا ريب في أن القرآن الكريم يحتوي بين ثنايا آياته دلالات تركيبية وعباراته، وكان ذلك من معين دلالة كلماته ومفرداته، ومعاني تلك المفردات تفسيرها في تصانيف العلماء الأجلاء، ترد في ضوء الحقيقة والمجاز.

[1]– عبد الصبور شاهين، عربية القرآن، مكتبت الشباب، مصر، 2007، ص67.

ومن أمثلة الحقيقة ما ورد في الآيات من مسميات حقيقية لا مجال فيها للمجاز، كقوله تعالى: {مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ} [الفتح: 29].

وكذلك قوله تعالى: {وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ} [آل عمران: 144].

وقوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا} [الحج: 77].

والأمثلة على ذلك كثيرة في أي القرآن الكريم.

وأما المجاز "دلالة (الغائط) على الحدث الأصغر في قوله تعالى: {أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ} [النساء: 43]، ومعناه الحقيقي: الستر، ودلالة لفظة (خمرا) على الغيب في قوله تعالى: {إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْرًا} [يوسف: 36]، ومعناه الحقيقي المتخمر المسكر بما فيها من غول، ودلالة لفظة (لامستهم) على الجماع في قوله تعالى: {أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ} [النساء: 43]"[1].

ولما كانت حاجة كل جيل إلى فهم القرآن الكريم وتفسيره حسب ما يحدث من متغيرات علمية واجتماعية، لابد من وجود تفسيرات ودلالات تواكب كل آن وحين، وتدعو إلى فهم متجدد للقرآن الكريم، وأن الحاجة الملحة لفهمه "يمكن أن تتحقق بمعرفة المعنى الحقيقي والمعنى المجازي، وهما وجهان لعملة واحدة"[2].

إن القرآن الكريم في عربيته ومحاولة فهم ألفاظه يكاد يخالف ما ينطلي على غيره من ألفاظ النصوص الشعرية والنثرية، إذ الأخيرة تعرف معانيها من خلال المعاجم والشروحات، أما القرآن الكريم فألفاظه رحبة تتسع للمعاني المحدثة تماشيا مع كل عصر، وفي أي زمان وحالات ذلك كثيرة ومتعددة "ولاسيما الألفاظ (المفاتيح) التي

[1]– عبد الصبور شاهين، عربية القرآن، مرجع سابق، ص85.

[2]– نفسه، ص85.

تتصل بمعاني الصفات الآلهية، والغيب، والعلم الإلهي، والموجودات الكونية، التي أثبت القرآن وجودها بل وكثير من الألفاظ الأخرى"[1].

والأمثلة على ذلك والتي تختصر المعاني الممدودة غير المحددة والتي يعرف مبتداها وتغيب معرفة منتهاها كصفات الله الحي، والجن، والملك، والقيامة، والصراط وغيرها.

والحقيقة الماثلة أمام أعيننا هي أن اللغة العربية التي نزل بها القرآن الكريم نشأت في تلك الربوع من الصحراء التي كان أهلها يجيدونها ويفتخرون ويعرفون جد المعرفة دلالات كلماتها وإيماءات وإيحاءات عباراتها وتراكيبها حتى أنهم اعترفوا بلغته الراقية وحلاوة كلماته والطلاوة التي عليها، فلم يكن كما عهدوا الشعر والنثر والحكايا والقصص، وتميزه "ذلك أن تراكيب القرآن التي أبهرت أهل البيان من معاصري النبي صلى الله عليه وسلم مازالت هي هي... لم تتغير ولم يطرأ عليها أي تغيير على ما وصفت من الأحكام من حيث هي قمة في البلاغة والفصاحة"[2].

ومن الأمثلة التي تحقق ما ذهبنا إليه في مباني تراكيب عربية القرآن الكريم والتي تختصر الدلالات العديدة مخففة عناء ثقل الإطالة والإسهاب، لفظة "السماء" التي ترد في القرآن الكريم في مقابل الأرض معاش الإنسان، وقد جاءت بمعاني متعددة مرفوعة دون عمد، لقوله تعالى: {وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ} [الرحمن: 07].

والمعنى لغة من سما يسمو وكل ما علا أديم الأرض فهو سماء، ومع ذلك فهي تحمل دلالات عدة مضمرة دلت على السقف العالي الذي يتراءى لنا بلونه الأزرق، لقوله تعالى: {وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَّحْفُوظًا} [الأنبياء: 32]، ومرة أخرى دلت على ما

[1]– عبد الصبور شاهين، عربية القرآن، مرجع سابق، ص86.

[2]– نفسه، ص86.

تحتوي عليه من كواكب ومجرات، ثم يتسع المعنى لتدل على الكون إجمالا لقوله تعالى: {وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ} [الذاريات: 47].

جاء في الكشاف: "المعنى: تأييد بقوة، والأيد، والآد القوة، وآديئيد، وهو آيد، وأنا لموسعون: لقادرون عن الوسع وهو الطاقة، والموسع القوي على الإنفاق، وعن الحس لموسعون الرزق بالمطر، وقيل جعلنا بينها وبين الأرض سعة"[1].

"وهكذا يتغير مفهوم السماء ليشمل الكون كله بأبعاده القريبة على مسافة عشرين مليار من السنين الضوئية، وما وراء هذه الأبعاد مما لا يعلمه إلا الله، فكل ذلك امتداد لا نهائي في مدلول الكلمة أضافه القرآن الكريم إلى رصيد اللغة وبيانها، ومازال احتمال تغير المعنى قائما... بل هو الأمر المؤكد"[2]، تلك صورة من صور الألفاظ المختصرة لدلالات كثيرة في ألفاظ القرآن الكريم.

وقد تحجب العديد من المعاني حين يريد الإنسان أن يستخدم ألفاظها للتعبير عما يدركه من معالم سواء أكانت لغوية أم أدبية أم علمية أم غير ذلك، وتبقى ألفاظ القرآن الكريم تحمل دلالات لا يمكن أن تكون أنشئت إلا له فقط، ذلك لأن البعد الإلهي هو الذي يحكمها.

ومن ذلك الألفاظ التي تصور القوة، والكون، وعظمة الخالق سبحانه وتعالى، فعبارة القرآن الكريم تتجاوز كل تصور عقلي وكل حساب ذهني، بل تتعداه ليقف الإنسان مذهولا أمامها رغم ما وصل إليه في عصرنا من تطور تكنولوجي، وتقدم علمي، وفلكي، ورقمي، والأبعاد الفضائية التي أطرقها.

بيد أن كلمة "كن" كفعل أمر بسيط يتكون من حرفين ما أقواها على حمل دلالة تلك السرعة المذهلة التي لا يمكن أن يتصورها العقل البشري، بل تتعدى لتعبر عن

---

[1]- الزمخشري، الكشاف، ج5، مرجع سابق، ص618.

[2]- عبد الصبور شاهين، عربية القرآن، مرجع سابق، ص89.

قياس السرعة التي يريدها الخالق سبحانه وتعالى في تكوين أو إنشاء ما يأمر به أن يكون لأي جزء من هذا الكون أو فيه.

"فبين الكاف والنون تتم إبداعات القدرة الإلهية بمقياس كوني يلغي الزمن فلا يجعله شرطا لإبداع الخالق"[1].

الملاحظ أن بنية الكلمة في القرآن الكريم يمكن أن تختزل الدلالة المتعددة والزمن وحتى المكان لتدل على الفهم المدرك إجمالا، فهي رحبة تتسع لمجموع من الدلالات وقد تزداد إتساعاً.

فاللغة العربية المرتبطة بالقرآن الكريم كانت الوعاء الذي يحتضن الدلالات بصورة تبرز المختصر تخفيفا واقتصاداً لتؤدي قيمة دلالية غير محدودة.

وقد يحمل اللفظ في القرآن الكريم من الدلالة ما لا ينحصر، كأن يكون في لغة أهل الجزيرة العربية والحجاز وقريش وغيرهم، يعني الشيء المعين والضئيل، ويصير في لغة القرآن بعد ذلك يعني الكثير لا متناهي، فيبدأ في لسان أهل الجاهلية محدود الدلالة أو يكاد، "فإذا هو معنى متراحب لا يطيق العقل أن يدركه أو يحدد دلالته في لغة القرآن"[2]، فترد الكلمة معبرة عن معنى باختصار تمثل اقتصاداً لغويا يخفف الجهد ويختزل الزمن.

ولو أننا قمنا بقياس دلالة اللفظة كما هي خارج الاستخدام القرآني بما هي عليه فيه لوجدناها تتسع معنى وتزداد بعدا دلاليا، خاصة في ضوء انتشار البحث والتطور العلمي والدراسات القرآنية.

والقرآن الكريم حينماعبر عن السماء والأرض، وسرعة الخلق، والقدرة الإلهية، والغيب والشهادة، استخدم ألفاظا تكاد تكون محدودة الدلالة في نظر لغة العرب، غير

---

[1]- عبد الصبور شاهين، عربية القرآن، مرجع سابق، ص90.

[2]- نفسه، ص87.

أنها تحمل من الدلالات ما لا يقوى العقل البشري على تحمل أبعادها، حيث أن المعنى الأصلي والمعنى القرآني تفصل بينهما مسافة قد تنتهي إلى المجهول، ذلك هو البعد الرباني في الدلالة، "ويمكن النظر في ألفاظ القرآن... الدالة على صفات الله ذات دلالة لا نهائية إذا جاءت في سياق قرآني، وهي ذات دلالة محدودة إذا وصف بها الإنسان، فالله عالم غيب السموات والأرض بلا حدود لهذا العلم، وبلا تحديد لماهيته، وللفظ دلالته على ذلك المدى، والإنسان قد يكون عالما في حدود التخصص، والذكاء والموهبة، والإدعاء أيضا، ومن هذا الباب جاء في القرآن {إِنَّ اللَّهَ عَالِمُ غَيْبِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ} [فاطر: 38]"[1].

والقرآن الكريم "يستثمر دائما أقل ما يمكن من ألفاظ لأكثر ما يمكن من المعاني، يستوي في ذلك مواضع إجماله التي يسميها الناس الإيجاز، ومواضع تفضيله التي يسمونها الإطناب، ولذلك يجب أن يسمى المقامات إيجازاً، لأنه لا يجاوز في أيهما القصد ولا يميل إلى الإسراف، ولا يمكن تأدية مراميه في أي منهما بأقل من ألفاظه ولا بما يساويها"[2]. وهو الغرض الذي يسعى إليه البحث حتى تتجلى ظاهرة التخفيف في لغة القرآن الكريم.

"وما الإيجاز إلا السرعة والتخفيف في بلوغ الحاجة بالقدر الممكن، فالذي يسرع فوق الطاقة لا يبلغك حاجتك فيكون مجحفا مخلا، والذي يبطئ حيث تكمن السرعة ولا يكون إلا مسرفا مُملاً، فهي فضيلة واحدة تطلب بها المتكلم في كل مقام"[3].

واللغة العربية مقدسة كما كان القرآن ولا يزال مقدسا، وليس أصدق من قوله تعالى: {إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ} [يونس: 02].

---

[1]– عبد الصبور شاهين، عربية القرآن، مرجع سابق، ص87، 88.

[2]– أحمد مختار: لغة القرآن، دراسة توثيقية فنية، مؤسسة الكويت للتقدم العلمي، الكويت، ط2، 1997، ص245.

[3]– نفسه، ص245.

وحفظ القرآن ليس مهمة بشرية، ولا يتحقق بوسيلة من وسائل البشر، بل محفوظ من قبل الله تعالى، لقوله: {إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ} [الحجر: 09]، فإرادة الله تعالى شاءت أن تجعل العربية لغة رسالة محمد صلى الله عليه وسلم، كما كانت للعربي شغلا شاغلا في صحوه، وحلمه في منامه، وقد بلغ افتتانه بها وبيانها مبلغا عظيما لم تصله أي لهجة من اللهجات أو اللغات السامية، فاستحقت أن تكون وعاء لوحي الله وكلامه الحكيم، فكانت المعجزة القرآنية التي عكف العرب لتجويدها وامتلاك ناصية المعاني فيها.

4. الحظر اللغوي في القرآن الكريم:

يذكر في كل لغات العالم هناك عدد من الألفاظ أو المواضيع المحرمة في المجتمع سواءً التلفظ بها أو التطرق إليها، "وتدور عادة حول الجنس أو الإبراز أو الموت، وما له علاقة به، ويرى بعض الباحثين أن لذلك أسبابا واضحة بسيطة، فالجنس محمل بثقل التحريم الاجتماعي، ولابد أن يسند ذلك لما له صلة به من أعضاء وعمليات لا يجوز ذكرها، بل يسمح بالتنويه عنها فقط، واستعمال كلمات بديلة، وبحرج كبير"[1].

وأما ما له علاقة بمسائل تكره لذكرها، وتدعو إلى التقزز والاشمئزاز والنفور منها، فهي كذلك مدعاة للحظر ولا يجوز التطرق إليها لما تبعثه في نفوس السامعين من اشمئزاز ونفور.

كما أن الموت مع أنه حق محتوم فهو مخيف للسامع والمتكلم على السواء، ولذلك كانت أسباب الحظر اللغوي اجتماعية ونفسية.

وتتعدد المصطلحات في هذا الشأن الذي يخص الحظر اللغوي ومصطلح الحظر استعمله الدكتور رمضان عبد التواب، وكذلك كمال بشر، "وهو بمعنى اللامساس في كتابات رمضان عبد التواب، وظاهر سليمان حمودة، وأحمد مختار عمر، وهو مأخوذ من مصطلح (Taboo) وكثيرة هي معاني المصطلح"[2].

ولذلك يعتبر الحظر نوعاً من أنواع التخفيف، حيث يجنب التكلف في استعمال الكلمات ويسهل استعمال البديل للتغيير عن مواضيع تعرف بالبدائل عنها وباختصارات

---

[1]– موفق الحمدان: اللغة وعلم النفس، دراسة للجوانب النفسية للغة، كلية الآداب، جامعة بغداد، دت، ص328.

[2]– ينظر: عبد المنعم تليمة: التعبير عن المحظور اللغوي والحس اللفظي في القرآن الكريم، دراسة دلالية، رسالة دكتوراه، جامعة القاهرة، 2001، ص42.

مقصودة وجب أن نتجنب من خلالها ما بدل على معاني كثيرة كالموت، والمرض، والزواج، والعلاقات وغيرها.

كما عرفنا ومرّ بنا أن العرب تمج ما استثقل في لغاتهم وتستهجن ما جاء ثقيلا على ألسنتهم، وتحاول أن تجد لذلك بديلا، تميل إثره إلى ما استخف وحسن استعماله بسهولة في ألفاظهم، فهي كذلك تكره التلفظ ببعض الألفاظ أو تستهجنها فتلجأ إلى استخدام ألفاظ غيرها بديلة عنها، مثلما يحدث في الدعاء على المرء بالقتل أو الجوع أو الهلاك والويل، والمستحسن في هذه الألفاظ البديلة يكون عن طريق التعبير الصوتي لبعض أصوات الكلمات من مثل "قاتله الله تحولت القاف إلى كاف وتغيرت اللام إلى عين، فصارت العبارة كاتعه بدلا من قاتله، والعين في جوعا تبدلت إلى دال أو سين فصارت جوداً أو جوساً، كما تحولت اللام في ويلك إلى حاء فصارت ويحك"[1].

ويرد اللفظ مكان اللفظ سترا كي لا يقال في العامة، وذلك بالتعبير عن الاسم من باب الكناية، كما في قوله تعالى: {وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ} [المؤمنون: 05]، وقوله تعالى: {وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا} [التحريم: 12].

والمعنى أنهم لفروجهم حافظون في كافة الأحوال إلا في حالة تزوجهم أو تسريهم أو تعلق على محذوف يدل عليه"[2].

فكانت لفظة (لفروجهم) كناية عن العورة، "وقال بعض المفسرين أنه يحتاج إلى كناية، فقال في قوله تعالى: {وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا} [فصلت: 21]. أنها كناية عن الفروج، والفروج استخدمت بمعنى العورات، وانتشر هذا الاستخدام في كلام

[1]– ينظر: عصام الدين عبد السلام: التعبير عن المحظور اللغوي والحسن اللفظي في القرآن الكريم، رسالة دكتوراه، جامعة القاهرة، 2001، ص07.

[2]– الزمخشري، الكشاف، ج4، مرجع سابق، ص219.

الجماعة اللغوية، حتى صارت تستدعي هذا المعنى بسرعة، فاستخدمت كلمة الجلود للدلالة على العورات بدلا من الفروج"[1].

ذلك ما يجعل ناطق اللغة العربية وبخاصة لغة القرآن الكريم قراءة واستخداما يميل إلى ما هو أيسر وأخف على اللسان والمعنى، تستخدم الكناية بدلا عن بعض الألفاظ والتي قد تكون من الألفاظ الحاملة لمعنى الخسّة والفحش.

جاء في الكامل قول المبرد: "ويكون من الكناية، وذلك أحسنها، الرغبة عن اللفظ الخسيس المفحش إلى ما يدل على معناه من غيره، وله المثل الأعلى: {أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ} [البقرة: 187]، وقال: {أَوْ لامَسْتُمُ النِّسَاءَ} [النساء: 43]، والملامسة في قول أهل المدينة –مالك وأصحابه– غير كناية إنما هو اللمس بعينه، يقولون في الرجل تقع يده على امرأة أو على جاريته بشهوة إن وضوءه قد انتقض"[2].

ويعني ذلك أن بعض الألفاظ تؤدي دلالة مباشرة، فلا مناص من ذكرها، وأما ما يمكن تغييره إلى معنى غيره فذلك من أسباب الخفة وتسهيل الاستخدام لهذه الألفاظ، "وكذلك قولهم في قضاء الحاجة: جاء فلان من الغائط، وإنما الغائط الوادي... وقال الله جل وعزّ في المسيح بن مريم وأمه صلى الله عليهما: {كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ} [المائدة: 75]، وإنما هو كناية عن قضاء الحاجة، {وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا} [فصلت: 21]، وإنما هي كناية على الفروج ومثل هذا كثير"[3].

---

[1]– عصام الدين عبد السلام، المحظور اللغوي، مرجع سابق، ص07.

[2]– المبرد: الكامل، ج2، عارضه بأصوله وعلق عليه محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت، 2002، ص501.

[3]– نفسه، ص501.

وهو بذلك قسم الكناية إلى ثلاثة، هي التعمية أو التغطية، والرغبة عن اللفظ الخسيس المفحش إلى ما يدل على معناه من غيره، وذلك أحسن الكنايات، ومن ذاك قوله تعالى: {نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ} [البقرة: 223].

جاء في المعنى في الكشاف: "حرث لكم مواضع الحرث لكم، وهذا مجاز شهر بالحارث تشبيها لما يلقى في أرحامهن من النطف التي منها النسل والبذور... وقوله (فآتوا حرثكم أنى شئتم) تمثيل أي فأتوهن كما تأتون أراضيكم التي تريدون أن تحرثوها... والمعنى جامعوهن من أي شق أردتم بعد أن يكون المأتى واحد وهو موضع الحرث"[1].

والإتيان في هذا الموضع كناية عن اسم الجماع، وذلك ابتعاد عن الإفصاح باللفظ الذي يعد محظورا بين عامة المجتمع وفي لغتهم، فيؤتى بما يكنى عليه به، وقد يستعمل اللفظ استعارة أو تخفيفا أو استحياء، وسبب اللجوء إلى استعمال هذه المصطلحات أو المسميات للألفاظ واستبدال غيرها كأحسن منها والبعد عن المحظور اللغوي، هو الاستحياء طرحه من التصريح باللفظ المحظور، كأنهم يذكرون اللفظ بغير اسمه طلبا للخفة والسرعة وحسن التلفظ باللفظ المراد أو إكراما للمذكور، كما في قوله تعالى: {وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُم بِهِ مِنْ خِطْبَةِ النِّسَاءِ أَوْ أَكْنَنتُمْ فِي أَنفُسِكُمْ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ سَتَذْكُرُونَهُنَّ وَلَٰكِن لَّا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا} [البقرة: 235].

والشاهد في تواعدهن وهو النكاح، وهو المحسن اللفظي الوافر بدلا عن اللفظ الذي يمكن أن يخدش الحياء، ولا يجوز التصريح بأن يقال في الخطبة مدح للمرأة وذكر جمالها وشبابها في موضع الخطبة.

[1]– الزمخشري، الكشاف، ج1، مرجع سابق، ص434.

وقد تتنوع ألفاظ المحظور في المنجز اللغوي بين المفرد والمركب، فيرد بعضها في شكل الإفراد في مثل قوله تعالى: {أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ} [البقرة: 187]. فكلمة الرفث تدل على التقارب بين الزوجين في عملية الجماع.

وأورد الزمخشري تفسيرا لذلك فقال: "....وقرئ أحل لكم ليلة الصيام الرفث أي أحل الله، وقرأ عبد الله الرفوث وهو الإفصاح بما يجب أن يكنى عنه... وقال الله تعالى: {فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ} [البقرة: 197] فكنى به عن الجماع لأنه لا يكاد يخلو من شيء من ذلك، فإن قلت لم كنى عنه ههنا بلفظ الرفث الدال على معنى القبح بخلاف قوله: {وَقَدْ أَفْضَى بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ} [النساء: 21]، {فَلَمَّا تَغَشَّاهَا } [الأعراف: 189]، {نُشُوزَهُنَّ} [النساء: 34]، {أَوْ لامَسْتُمُ النِّسَاءَ} [النساء: 43]، {دَخَلْتُمْ بِهِنَّ} [النساء: 23]، {فَأْتُواْ حَرْثَكُمْ} [البقرة: 223]... قلت استهجانا لما وجد منهم قبل الإباحة، كما سماه اختيانا لأنفسهم، فإن قلت لم عدى الرفث بإلى؟ قلت: لتضمينه معنى الإفضاء لما كان الرجل والمرأة يعتنقان"[1].

وكذلك لفظ التهلكة في قوله تعالى: {وَلاَ تُلْقُواْ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ} [البقرة: 195]، وللدلالة على الموت، وقوله تعالى: {وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ} [الحجر: 99]، فاليقين للدلالة على الموت.

وترد كذلك ألفاظ المحظور في شكل تركيب، ومن ذلك قوله تعالى: {أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا} [النساء: 43]، فجملة لامستهم دلالة على الجماع أو العلاقة الحميمية.

والحظر اللغوي منهج من مناهج التخفيف في المنجز اللغوي، وفي القرآن الكريم.

[1]– الزمخشري، الكشاف، ج1، مرجع سابق، ص387، 388.

وقد تتغير دلالة الألفاظ المحظورة وذلك باستبدال كلمة مكان أخرى، استعمالا ومعنى، ومثل ذلك كلمة الهلاك، حيث كانت تعني الذهاب كما أوردها إبراهيم أنيس في كتابه (دلالة الألفاظ): "الهلاك حيث كان يعني الذهاب وصار يدل على الموت، وكلمة المبروكة التي تدل على مرض الحمى هي أصل اسم مفعول من البركة، وكلمة سر في الآية الكريمة: {وَلَكِنْ لَا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا} [البقرة: 235] التي تدل على النكاح هي أصلا عكس الجهر أو العلانية، وكذلك كلمة صاحبة التي تدل على الزوجة في قوله تعالى: {يُبَصَّرُونَهُمْ يَوَدُّ الْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ بِبَنِيهِ وَصَاحِبَتِهِ وَأَخِيهِ} [المعارج: 11-12]"[1].

وكذلك تتغير دلالة الألفاظ المحظورة بين الحقيقة والمجاز، "ويمكن التمثيل لهذه الخاصية بالألفاظ الدالة على المرأة والزوجة، فثمة ألفاظ حقيقية مثل: أنثى، وامرأة، ونسوة ونساء، زوج وزوجة، في حين توجد لها بدائل مجازية على سبيل التشبيه والكناية والاستعارة والمجاز المرسل، ومن التشبيه الحرث في قوله تعالى: {نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ} [البقرة: 223]، ولباس في قوله تعالى: {أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَائِكُمْ ۚ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ} [البقرة: 187]. ومن الكناية صاحبة في قوله تعالى: {بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُ صَاحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ} [الأنعام: 101] فصاحبة هنا كناية عن الزوجة..."[2].

ومن الاستعارة قوله صلى الله عليه وسلم عن المرأة قارورة، حين قال: رفقا بالقوارير.

---

[1]- إبراهيم أنيس، دلالة الألفاظ، مرجع سابق، ص143.

[2]- عبد المنعم تليمة، التعبير عن المحظور، مرجع سابق، ص62.

والحقيقة أن الحظر اللغوي أو المحظور في اللغة يعد من الظواهر التي ترتبط بالإنسان في كل المجتمعات، وكذلك اللغات في جميع مراحل تطوره منذ أن خلق إلى يوم الناس هذا.

ويمكن أن نذكر استجلاءً للعامل النفسي للمحظور اللغوي من خلال الجوانب النفسية مثل الخوف والتشاؤم والتفاؤل والحياء وغيره.

حيث أن الإنسان يفزع من شيء فينأى عن التصريح باللفظ المباشر الدال عليه، ويكون ذلك اللفظ محظورا لغويا، وهو ما يفسر كثرة الألفاظ الدالة على الموت، والقتل، والمرض، وتلك ميزة الإنسان إذ أنه ينفر من المثيرة لمشاعر الاشمئزازا والاضطراب وتعكير صفو الحياة.

ويعد التشاؤم كما التفاؤل من الغرائز الإنسانية التي تؤثر فيما تعود عليه الإنسان في كلامه، "وهي ذات أثر في التغير الدلالي إذا تشاءم المرء من ذكر اللفظ السيء المعنى يعدل عنه إلى لفظ آخر حسن المعنى، فيقولون: فلان بما فيه، وهم يريدون أنه مريض تجنبا لذكر المرض"[1].

كما أن فضيلة الحياء السامية تلازم الإنسان السوي فيتحاشى الألفاظ الدالة على الأمور الجنسية، والقذارة والدنس درءا للحرج، فاستعمال كلمة العسيلة تذكر كبديل للمحظور اللغوي الدال على الجماع في قول رسول الله صلى الله عليه وسلم في مسألة طلب الطلاق، دون التلاقي، بقوله: حتى تذوقي عسيلته ويذوق عسيلتك، وما أحسن من تلك الألفاظ القرآنية في هذا الشأن، مثل: باشروهن، وتغشاها، وهو العامل لظاهرة التخفيف في المنجز اللغوي.

[1]– طاهر سليمان حمودة، دراسة المعنى عند الأصوليين، دار الجميل للنشر والتوزيع والإعلام، مصر، 2001، ص205.

الفصل الرابع

القيمة اللسانية لظاهرة

التخفيف في مستويات اللغة

1. المستوى الصوتي.
2. المستوى الصرفي.
3. المستوى التركيبي.
4. المستوى الدلالي.

تمهيد:

التخفيف ظاهرة لغوية لم يغفل عنها أسلافنا بالدراسة والمعالجة العلمية الدقيقة، وقد شملت مستويات اللغة خاصة والدرس اللغوي عموما، فهي حاضرة في المستوى الصوتي، والمستوى الصرفي، والمستوى التركيبي، وكذا المستوى الدلالي، قد يكون مقدار الحضور متفاوتا يكثر أو يقل في كل مستوى.

بيد أن الحضور في المستوى الصوتي، وكذا الصرفي كبير، وقد تناولت في هذا الفصل ما أسميته بالقيمة اللسانية للظاهرة في مستويات اللغة، من حيث إظهار القيمة الصوتية للحروف العربية وأثرها في تطور الكلمة من خلال وصف الصوت، وموضع نطقه، والتأثيرات التركيبية والقيم الدلالية والوظيفية، لتكون بذلك ذات اهتمام بالغ للمحافظة على لغة القرآن الكريم، وقراءاته، فكان المراد تسليط الضوء على هذا التفكير الصوتي، وتجلياته في المنجز اللغوي وعلاقته بالدلالة، كما هو الحال بالنسبة للمستويات الأخرى، ثم انتقلت إلى المستوى الصوتي للنظر في ظاهرة التخفيف في أبنية الكلمة على اختلاف تغيراتها والاشتقاقات المتعلقة بها في سياقاتها الدلالية.

وكذلك المستوى التركيبي (النحوي)، حيث روعيت فيه مواقع الكلمة ومواضعها في الجملة وفق ما يقتضيه علم النحو وأثر ظاهرة التخفيف حسب كل موضع، مع مراعاة البعد الدلالي لكل كلمة، لينتهي الفصل بدراسة الظاهرة في المستوى الدلالي الذي تناولت فيه جل جوانب الكلمة وبنيتها الداخلية، وقدرتها على حمل المعنى كالإشارات والرموز وما تقتضيه السياقات وغيرها.

1. المستوى الصوتي:

تقف ظاهرة التخفيف في المستوى الصوتي على التغيرات الصوتية المقيدة بسياقات ألفاظها في إطار الدراسة العلمية الدقيقة لأصوات اللغة، والتي انتبه العرب القدامى كغيرهم من الأمم الأخرى إلى تلك الدراسة العلمية للصوت اللغوي في جوانبه المختلفة، فكانوا بسبقهم قد أتوا على الأصوات بالدراسة والوصف الدقيق من حيث النطق، والصفات، والتأثيرات التركيبية، والقيم الدلالية، وكذا الوظيفية، ثم أن الدرس الصوتي يتناول بفرعيه (الحركات، الصوائت "قصيرة وطويلة"، والحروف الصوامت)، مما في هذا المستوى والتي تختلف من لفظ لآخر، وهو الدور الفعال الذي ينتج الاختلاف في المعاني والتنوع في المباني، ولهذه الأهمية سيكون بدأ الدراسة البحثية في هذا المستوى بالحركات القصيرة والطويلة (الصوائت) من خلال كتاب الله بقراءاته الكثيرة المتنوعة، مع تلك الشروط المنوطة بها، وهي المماثلة والمخالفة المغايرة والقلب المكاني وغيره، وفي ذلك يقول مكي القبسي: "فإن الكلام إنما جيء به لتفهم المعاني التي في نفس المتكلم، بالحركات واختلافها، تفهم المعاني فهي منوطة بالكلام مرتبطة به، إذ بها يفرق بين المعاني التي من أجلها جيء بالكلام وهذا القول أولى من غيره"[1].

فتدرج في تلك الدراسات ضمن اهتمامات اللغويين العرب والقراء، للمحافظة على لغة القرآن وقراءاته، ومنهم الخليل الذي استخدم التخفيف والاستثقال كمصطلحين متقابلين للدلالة على الاستخدام في لغة القرآن والعربية في أمرين هما: استخدام التثقيل للدلالة على تحريك الساكن، واستخدام التخفيف لتسكينه، وفي ذلك يقول: "العَصْرُ، الدَهْرُ، فإذا احتاجوا إلى تثقيله قالو عَصُرَ، وأيضا العنْق ـ العنُقُ معروف يخفف ويثقل"[2].

---

[1]– أبو محمد مكي بن أبي طالب القيسي، الرعاية في تجويد القرآن، مرجع سابق، ص48.

[2]– ينظر: محمد عبد الله، ظاهرة التخفيف في اللغة العربية، تريم للدراسات والنشر، اليمن، ط1، 2004، ص18.

1.1. التغيرات الصوتية:

وللوقوف على تغيرات الصوت بوصفه حدثا نطقيا أو كوحدة مجردة ذات وظيفة معينة، والذي يعنينا هو تجلي ظاهرة الخفة في أبسط صورها، وكذا الجانب الدلالي للصوت اللغوي، ويمكن إدراك ذلك من خلال التبديل أو الحذف أو الزيادة أو ما يحدث من حدوث تغيرات سواء في القراءات القرآنية أم في القرآن الكريم، وسنقف أولا على الشق المحرك للصوت هو الصائت، أو الحركة بما أورده السلف من العلماء في القراءات مع اختلافها أي رواياتها، وقد أجمع علماؤنا على أن مجملها جاء في رواية الحديث عن عمر بن الخطاب بقوله: "سمعت هشام بن حكيم بن حزن يقرأ سورة الفرقان على غير ما أقرأها، وفي رواية على حروف كثيرة لم يقرئنيها رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقلت يا رسول الله إني سمعت هذا يقرأ سورة الفرقان على غير ما أقرأتنيها، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: اقرأ، فقرأ القراءة التي سمعته يقرأ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم، هكذا نزلت، ثم قال لي: اقرأ، فقرأت، فقال: هكذا نزلت، إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف، فاقرأوا ما تيسر منه"[1].

ثم إن القراءات في صدر الإسلام كانت رخصة أباح الله للعرب أن يقرأوا القرآن بلغاتهم التي جرت العادة باستعمالها، ثم نسخ ذلك بحمل الناس على لغة قريش لأنها التي بها نزل القرآن وزال العذر لكثرة الحفظ وتيسير الكتابة، "وقال ابن الجرزي: قد تتبعت صحيح القراءة وشأنها وضعيفها ومنكرها، فإذا هي يرجح اختلافها إلى سبعة أوجه لا يخرج عنها، وذلك إما في الحركات بلا تغير في المعنى والصورة نحو: بالبخل بأربعة، ويحسب بوجهين، أو متغير في المعنى فقط نحو (وتلقى آدم من ربه كلمات)، وإما في الحروف بتغير في المعنى لا الصورة نحو: تبلو، تتلو، أو عكس ذلك، نحو:

[1]– بدر الدين الزركشي: البرهان في علوم القرآن، مرجع سابق، ص148.

الصراط والسراط، وتغييرهما نحو: امضوا واسعوا، أما التقديم والتأخير، فنحو: فيقتلون، ويقتلون، أو الزيادة والنقصان، نحو: وصى، وأوصى، فهذه سبعة لا يخرج الاختلاف عنها"[1].

وقيل أقرب الأقوال إلى الصحة، أن المراد به سبع لغات، "والسر في إنزاله على سبع لغات، تسهيله على الناس لقوله تعالى: {وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ} [القمر: 17]، فلو كان تعالى أنزله على حرف واحد لانعكس المقصود"[2].

وتجنبا لمناقشة كثرة الأقوال في القراءات وما قد غمرها من اختلافات وآراء مرة أو ردها إلى القبائل العربية مرة أخرى، سنعمد إلى الأشهر منها بأركانها الصحيحة "الثلاثة: 1-صحة السند، 2-موافقة خط المصحف العثماني، 3-موافقة العربية"[3].

والقراءة المشهورة هي "قراءة موثقة بالسند، مؤيدة بالرواية ومدعمة بالنقل ورحم الله ابن الجزري حينما وضع مقاييس القراءة القرآنية في عبارته المشهورة، وبهذه المقاييس وضع الأمور في نصابها وقطع الطريق أمام الذين يريدون أن يشكّوا في هذه القراءات، وهذه المقاييس هي: كل قراءة وافقت العربية ولو بوجه، ووافقت أحد المصاحف العثمانية ولو احتمالا، وصح سندها في القراءة الصحيحة التي لا يجوز ردّها، ولا يحل إنكارها، بل هي من الأحرف السبعة التي نزل بها القرآن، ووجب على الناس قبولها سواء كانت عن الأئمة السبعة أم العشرة أم عن غيرهم من الأئمة المقبولين"[4].

---

[1]- جلال الدين السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، مرجع سابق، ص314، 315.

[2]- بدر الدين الزركشي، البرهان في علوم القرآن، مرجع سابق، ص158.

[3]- فاضل صالح السامرائي، بلاغة الكلمة في التعبير القرآني، شركة العائك لصناعة الكتاب، القاهرة، دت، ص06، 07.

[4]- نقلا عن: عبد العالي سالم مكرم: قضايا قرآنية في الدراسات اللغوية، الشركة المتحدة للتوزيع، بيروت، ط1، 1988، ص39.

ولذلك كان الزمخشري قد اعتمد القراءات في تفسير آي القرآن الكريم، ليثبت حكما صوتيا أو ينفيه، أو يأتي بقاعدة صوتية أو ظاهرة لغوية، قد يعتمد عليها البعض في توضيح أو تبيان صورة من صور ظاهرة التخفيف، فكانت اختلافات القراءات في تعبير الحركات، طلبا لتسهيل وتيسير القراءة، وفهم معاني القرآن الكريم، كما في قوله تعالى: {وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَابًا مِنَ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ} [الحجر: 14] قرئ بالضم والكسر"[1].

2.1. تغيير الحركة للخفة وتسهيل النطق:

قد يقع تغيير الحركة في التعبير القرآني بإبدالها أو بحذفها في الكلمة، فيكون المعنى المراد حسب تلك الحركة، ولغرض معين "وأن القرآن يحذف من الكلمة لغرض ولا يفعل ذلك إلاّ لغرض، وأنه يحذف من الفعل للدلالة على أقل مما لم يحدث منه، وأن زمنه أقصر ونحو ذلك فهو يقتطع من الفعل للدلالة على الاقتطاع من الحدث، أو يحذف منه في مقام الإيجاز والاختصار بخلاف مقام الإطالة"[2].

ومن ذلك قوله تعالى: {وَكَذَّبُوا وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ وَكُلُّ أَمْرٍ مُّسْتَقِرٌّ} [القمر: 03]، ورد في كتاب الكشاف: "أن الشيطان زيّن لهم من دفع الحق بعد ظهوره، وكل أمر لابد أن يصير إلى غاية يستقر عليها... وقرئ بفتح القاف، يعني كل أمر ذو مستقر أي ذو استقرار، أو ذو موضع استقرار، أو زمان استقرار، وعن أبي جعفر مستقِر بكسر القاف والجر عطف على الساعة، أي اقترتب الساعة واقترب كل أمر مستقر/يستقر ويتبين حاله"[3].

---

[1]– الزمخشري، الكشاف، ج5، مرجع سابق، ص401.

[2]– فاضل صالح السامرائي، بلاغة الكلمة في التعبير القرآني، مرجع سابق، ص09.

[3]– الزمخشري، الكشاف، ج5، مرجع سابق، ص654.

ولفظ مستقر مع تغير حركة القاف بالكسر ثم الفتح، فأما بالكسر فهو اسم فاعل وموقعه خبر "لكل" مع رفع الراء.

وأما بالفتح أي بفتح ما قبل الآخر فهو اسم مفعول، وموقعه يكون مضافا إليه، حُذف مضافه والتقدير، وكل أمر ذو استقرار أو ذو مكان استقرار، كما ورد في الكشاف.

وأما إذا قرئ بكسر القاف وجر الراء، فيكون مستقر صفة لأمر أو خبر لكل حذف مضافه، وما ذلك إلا تحقيق لاختلاف القراءات التي تؤدي المعنى الذي سيقف عليه اللفظ مستقر: "ويستقر على حالة خذلان أو نصرة في الدنيا، وشقاوة أو سعادة في الآخرة"[1]. فتغير الدلالة بتغير الحركة.

وورد في الكشاف كذلك تفسير قوله تعالى: {اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِن بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِن بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ} [الروم: 54]. الشاهد في لفظ ضعف، "قرئ بفتح الضاد وضمها وهما لغتان والضم أقوى في القراءة لما رَوَى ابن عمر رضي الله عنهما، قال: قرأتها على رسول الله صلى الله عليه وسلم، من ضَعف، فأقراني من ضُعف، وقوله: {خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ} [الروم: 54]، كقوله: {خُلِقَ الإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ} [الأنبياء: 37].

يعني أن أساس أمركم وما عليه جبلتكم وبنيتكم الضعف، {وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا} [النساء: 28] أي ابتدأناكم في أول الأمر ضعافاً، وذلك حال الطفولة والنشئ حتى بلغتم وقت الاحتلام والشيبة، وتلك حال القوة إلى الاكتهال وبلوغ الأثر، ثم رددتم إلى أصل حالكم وهو الضعف والشيخوخة بالهرم"[2].

---

[1]– الزمخشري، الكشاف، ج5، مرجع سابق، ص654.

[2]– نفسه، ج4، ص587.

يتبين تغير الحركة في اللفظ بين الفتح والضم هو دلالة على عدم ثبوت الحال على حاله، ذلك أن حرف العطف ثم الذي يفيد العطف والتراخي وهو التغير من الحال الأول ويليه الثاني ثم ما بعده.

"وهذا التردد في الأحوال المختلفة والتغيير من هيئة إلى هيئة، ومن صفة إلى صفة أظهر دليل وأعدل شاهد على الصانع الحليم القادر"[1].

ثم أن كلمة ضعف المتعلقة بالخلق (الإنسان عامة) وردت مجرورة دلالة على أن الإنسان أضعف وأهون شيء عند الله تعالى إذا عنت وطغى.

وكذلك اختلاف الحركات الذي يختلف معه المعنى، وتحقق الخفة في القراءة كقوله تعالى: {وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ} [الزخرف: 57].

"والمعنى ولما ضرب الله بن الزبعري عيسى بن مريم مثلا وجادل رسول الله صلى الله عليه وسلم بعباده النصارى إياه (إذا قومك) قريش، من هذا المثل (يصدون)، (وهو الشاهد) ترتفع لهم جلبه وضجيج فرحا وجزلا وضحكا عما سمعوا منه من إسكات رسول الله صلى الله عليه وسلم بجد له، كما يرتفع لغط اقوم ولجبهم إذا تعيّوا بحجة ثم فتحت عليهم، وأما من قرأ يصُدّون بالضم فمن الصدود أي من أجل هذا المثل يصدون عن الحق"[2]. وجاء الفعل ضرب مبني للمجهول دلالة على حقارة وتفاهة صاحب المثل، وصغر عقول الصّادين عن الحق.

وجاء في أمر تجاور الحروف مثل الياء في قوله تعالى: {تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَتَرْزُقُ مَن تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ} [آل عمران: 27].

---

[1]– الزمخشري، الكشاف، ج4، مرجع سابق، ص587.

[2]– نفسه، ج5، ص451.

وورد في المحرر الوجيز "أنه قرأ عاصم في رواية أبي بكر وابن كثير وأبو عمرو وابن عامر –الميْت– بسكون الياء في جميع القرآن، وروى حفص عن عاصم "من الميت" بالتشديد، وقرأ نافع وحمزة والكسائي الميّت بتشديد الياء في هذه الآية، وفي قوله: لبلد ميّت، وإلى بلد ميْت، وخفف حَمْزُة وغيره هذه الحروف"[1].

وجاء في الكشاف: "أن قدرة الله الباهرة بذكر حال الليل والنهار في المعاقبة بينهما، وحال الحي والميت في إخراج أحدهما من الآخر، وعطف عليه رزقه بغير حساب دلالة على من قدر على تلك الأفعال العظيمة المحيرة للأفهام، ثم قدر أن يرزق بغير حساب، دلالة من يشاء من عباده، فهو قادر على أن ينزع الملك من العجم ويذلهم، ويؤتيه العرب ويعزهم"[2].

"كما في قوله تعالى: {وَآيَةٌ لَهُمُ الأَرْضُ الْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَاهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ} [يس: 33]. القراءة بالميْتة على الخفة أشبع لسلسها على اللسان"[3].

---

[1]– عبد القادر رسيلا: الظواهر الصوتية في كتاب المحرر الوجيز في الكتاب العزيز، رسالة ماجستير، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، السعودية، 2001، ص514.

[2]– الزمخشري، الكشاف، ج1، مرجع سابق، ص533.

[3]– نفسه، ج5، ص176.

2. المستوى الصرفي:

ينظر في المستوى الصرفي تجلي ظاهرة التخفيف في أبنية الكلمة على اختلاف تغيراتها، وما يشتق منها من صيغ، كالمصدر الذي هو أصل الاشتقاق، ومنه الفاعل والفعل واسم الفاعل والصفة المشبهة وغيرها من المشتقات، مع مراعاة السياقات الدلالية والوظائف اللغوية، وما قد يعتريها من اختصار وإضمار وإيجاز أو حذف وغيره من وسائل الخفة في المنجز اللغوي، ولما كان المصدر هو الأصل فسيكون من بواعث الخفة تقديرا أو تناوبا أو تعويضا لبعض الألفاظ، وهذه الظواهر موجودة في اللغة العربية وفي القرآن الكريم، كقيام المصدر مقام الفعل، أو قيام الفاعل مقام الفعل، وفعيل مقام فاعل وغيره، والبدء بالمصدر ذلك لأنه الأصل في الاشتقاق.

كما ذكر لدى البصريين، ويذكر المبرد في المقتضب: "واعلم أن المصدر كسائر الأسماء إلا أنها تدل على أفعالها، وأما في الإضمار والإظهار والإخبار عنها والاستفهام فهي بمنزلة غيرها...، فإن لم يكن ذكر ولا حال دالة، لم يكن من الإظهار بُدٌ، إلا أن يكون موضع أمر، فتضمر، وتصيّر المصدر بدلا من اللفظ بالفعل، وإنما يكون ذلك في الأمر والنهي خاصة لأنهما لا يكونان إلا بفعل، فتأمر بالمصدر نكرة أو معرفة بالألف واللام أو الإضافة"[1].

ومن ذلك قوله عز في علاه: {وَأُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُمْ بِهِ إِيمَانُكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ} [البقرة: 93]. الشاهد في معنى الشرب للعجل وهو أمر مستحيل أن يقع العجل في القلب كمعنى ظاهر، إنما التقدير المحذوف، "يكون

[1]– المبرد، المقتصب، ج3، مرجع سابق، ص203.

بكلمة واحدة هي (حب) العجل أولى من تقدير حب عبادة العجل لقلة التقدير في اللفظ الأول"[1].

وجاء في تفسير الكشاف: "واشربوا في قلوبهم العجل، أي تداخلهم حبه، والحرص على عبادته كما يتداخل بتداخل الثوب الصبغ، وقولهم: في قلوبهم، بيان لمكان الإشراب، كقوله: {إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا} [النساء: 10].

ودلالة إسقاط المصدر (حب) من الآية تكون على وضعهم العبادة في غير موضعها التي هي لله عز وجل، ذلك أنه خلق الجن والإنس لعبادته، وأن بني إسرائيل قد أحالوا العبادة لغير الله، في حبهم العجل، فدل على كفرهم هذا التقدير.

ويرد المصدر بصيغته المفردة اختصارا لكثرة معاني الألفاظ استحسانا للخفة، كما في قوله تعالى: {فَإِذا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقابِ حَتّى إِذا أَثْخَنْتُمُوهم فَشُدُّوا الوَثاقَ فَإِمّا مَنًّا بَعْدَ وإِمّا فِداءً حَتّى تَضَعَ الحَرْبُ أَوْزارَها} [محمد: 04]. الشاهد في المصدر "ضَرْب"، يقول الزمخشري في الكشاف: لقيتم: من اللقاء وهو الحرب، فضرب الرقاب أصله، فأضربوا الرقاب ضرباً، فحذف الفعل وقدم المصدر، فأنيب منابه مضافا إلى المفعول، وفيه اختصاراً مع إعطاء معنى التوكيد لأنك تذكر المصدر، وتدل على الفعل بالنصبة التي فيه، وضرب الرقاب عبارة عن القتل، لأن الواجب أن تضرب الرقاب خاصة دون غيرها من الأعضاء، وذلك لأنهم كانوا يقولون: ضرب الأمير رقبة فلان، وضرب عنقه وعلاوته، وضرب ما فيه عيناه، إذا قتله، وذلك أن الإنسان أكثر ما يكون بضرب رقبته"[2].

---

[1]– طاهر سليمان حمودة، ظاهرة الحذف في الدرس اللغوي، الدار الجامعية للنشر والتوزيع، الإسكندرية، مصر، 1998، ص158.

[2]– الزمخشري، الكشاف، ج5، ص515، 516.

فضرب الرقاب: مفعول مطلق والعامل فيه محذوف تقديره: فاضربوا الرقاب، والرقاب مضاف إليه على أن في هذه العبارة من الغلظة والشدة ما ليس في لفظ القتل"[1].

ذلك أن لفظة "ضرب" تحمل زيادة على معناها، لوناً آخر من التصوير المرعب لبشاعة القتل واقتلاع وفصل الرقبة عن الجسد، وبخاصة بضربة سيف بتار حادٍ.

"وأما اللفظتان مناً وفداءً: فمنصوبتان بفعليهما مضمرين أي فإما تمنّون منا وإما تفدون فداء، والمعنى التخيير بعد الأمر أن يمنوا عليهم فيطلقوهم وبين أن يفادوهم"[2].

ففي "ضرب الرقاب" المصدر "ضرب" ورد في الآية الشريفة عوضا عن جملة بكاملها، وهي كما ذكرها الزمخشري: "اضربوا الرقاب" فكان اختصارا وجيزاً لكلفة الكلام في النطق من الجهد والنفس وتحريك الأعضاء النطقية، ذلك من سُبل الخفة والاقتصاد اللغوي.

ودلالة "ضرب الرقاب" من الفعل ضرب وهو متنوع المعاني، وورد في القرآن الكريم بعديد الصيغ والمعاني، وتنوع الدلالة بين الحسية والدلالة المعجمية، ويختلف المعنى بين ضرب المثل، وهو الإتيان بصورته، والسعي في الأرض، والضرب الأثر في الجسم وغيره، إلا أنه في الآية الكريمة دلّ على قوة وغلظ في مجريات القتل من بشاعة وشناعة في جزِّ وقطع الأعناق، كما في قوله تعالى: {فَاضْرِبُوا فَوْقَ الأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ} [الأنفال: 12]، ذلك أن المصدر يغني عن فعله أو عن جملة، وكذلك قوله تعالى: {وَعْدَ اللَّهِ حَقًّا} [النساء: 122]، وقوله تعالى: {صُنْعَ اللَّهِ} [النمل: 88]"[3].

---

[1]- الزمخشري، الكشاف، ج5، ص516.

[2]- نفسه، ص516.

[3]- المبرد، المقتضب، ج3، مرجع سابق، ص203.

كما يذكر المبرد في المقتضب: "واعلم أن المصادر مصادر تقع في موضع الحال وتغني غناءه، فلا يجوز أن تكون معرفة لأن الحال لا تكون إلا معرفة"[1].

والتحولات الصرفية التي تؤدي دورها اللازم في وضع اللفظ مناسبا للسياق حتى يضفي معنى دالاً وبقوة لما هو مقصود به.

"إما إذا أريد التخفيف من عنصر الحدثية فيؤتى باسم المصدر نائبا عن المصدر، قال تعالى: {وَاللَّهُ أَنبَتَكُم مِّنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا} [نوح: 17]، باستخدام اسم المصدر إعراضا عن طغيان الحدثية وللدلالة على لطف الخالق في خلقه"[2]، ذلك من مظاهر الخفة نيابة اسم المصدر عن المصدر، شرط حمله لمعنى مختصر لينأى عن الاستثقال، كما أنه لا يدل عن الحديث في مقابل المصدر الذي يدل على الحدث.

"واسم المصدر لا يدل على الحدث أصلا وذلك إذا كان علما للجنس أو اسم ذات، وقد يدل على الحدث بشرط عدم الانتساب إلى المصدرية، وهو الذي يجري مجرى فعله في القياس، وعدم دلالة اسم المصدر على الحدث إنما يستعمل السياقات التي يريد فيها المتكلم أو المنشئ التخفف من الحدثية أو التخفف من الكثرة"[3].

واسم المصدر في قوله تعالى: {وَاللَّهُ أَنبَتَكُم مِّنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا} [نوح: 17] يعني أنبتكم فنبتّم نباتا.

قال الشاعر: أرى الفتى ينبت انبات الشجر... أي ينبت، فينبتهُ الله نبات الشجر"[4].

---

[1]– المبرد، المقتضب، ج3، مرجع سابق، ص203.

[2]– هادي نهر، النحو القرآني الدلالي، مرجع ساق، ص96، 97.

[3]– نفسه، ص343.

[4]– الخليل بن أحمد الفراهيدي، كتاب الجمل في النحو، تحقيق: محي الدين قباوة، مكتبة الرسالة، بيروت، ط1، 1985، ص116.

يقول الزمخشري: "استعير الإنبات للإنشاء كما يقال: زرعك الله للخير، وكانت هذه الاستعارة أدلّ على الحدوث، لأنهم إذا كانوا نباتا كانوا محدثين... لا محالة حدوث النبات ومنه قيل (للحشوية) النابتة والنوابت لحدوث مذهبهم في الإسلام من غير أوليه لهم فيه... والمعنى أنبتكم فنبتهم نباتا أو نصب بأنبتكم لتضمنه معنى نبتّم"[1]. والشاهد في لفظ "نباتا" اسم مصدر الذي اختصر جملة ليوحي دالا عن عناية الخالق ولطفه بعباده، إذ شبه الخلق بالنبات المحدث منه سبحانه لا غير.

"وقد أفاد اسم المصدر "نباتا" الدلالة البديعة لتجرده من طغيان الحدثية التي عليها الفعل والمصدر"[2]، وهي الإنشاء من جديد ذلك لتفرد الخالق بهذا الصنع دون سواه.

وقد ينوب المصدر المؤول عن المصدر الصريح كذلك طلبا للخفة في موضع التقدير لمحذوف، مثل قوله تعالى: {أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ} [غافر: 28]

في تفسير الكشاف: "هذا إنكار منه عظيم وتبكيت شديد كأنه قال: أترتكبون الفعلة الشنعاء التي هي قتل نفس محرمة، مالكم علة قط في ارتكابها إلا كلمة الحق التي نطق بها وهي: قوله ربي... ولك أن تقدر مضافا محذوفا أي وقت أن يقول، والمعنى أتقتلونه ساعة سمعكم منه هذا القول من غير رؤية ولا فكر في أمره"[3].

والمصدر المؤول في محل نصب مفعول لأجله، أي لأجل هذا القول من غير تقدير، وكما أورده الزمخشري وقت أو ساعة أن يقول ذلك يعني أن التناوب في الصيغ مكان بعضها لا يكون إلا في مواضع التخفيف وسهولة القراءة والنطق والفهم دون عناء.

---

[1]– الزمخشري، الكشاف، ج6، مرجع سابق، ص217.

[2]– هادي نهر، النحو القرآني الدلالي، مرجع سابق، ص343.

[3]– الزمخشري، الكشاف، ج5، مرجع سابق، ص342، 344.

"التناوب بين المصدر والمشتقات الوصفية قد يعبر باسم الفاعل عن المصدر الصريح، كما في قوله تعالى: {لَّا تَسْمَعُ فِيهَا لَاغِيَةً} [الغاشية: 10]، أي لا تسمع لغواً، وقد يعبر بالمصدر عن اسم الفاعل كما في قوله تعالى: {أَوْ يُصْبِحَ مَاؤُهَا غَوْرًا فَلَن تَسْتَطِيعَ لَهُ طَلَبًا} [الكهف: 41]، أي غائرا ذاهبا في الأرض لا سبيل إليه، والتعبير بالمصدر أبلغ دلالة"[1].

ومن المصدر نعرج على أحد مشتقاته وهو اسم الفاعل.

اسم الفاعل جاء في قوله عز في علاه: {سَآوِي إِلى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الماءِ قالَ لا عاصِمَ اليَوْمَ مِن أَمْرِ اللَّهِ إِلّا مَن رَحِمَ وحالَ بَيْنَهُما المَوْجُ فَكانَ مِنَ المُغْرَقِينَ} [هود: 43]. الشاهد في لفظ "عاصم" جاء في الكشاف: "المعنى المراد للفظ عاصم وهو المعنى بقوله: لا عاصم اليوم من الطوفان إلا من رحم الله، أي إلا مكان من رحم الله من المؤمنين، وكان لهم غفورا رحيماً في قوله: {إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَحِيمٌ} [هود: 41]. ذلك أنه لما جعل الجبل عاصماً من الماء، قال له: لا يعصمك اليوم معتصم قط، من جبل ونحوه سوى معتصم واحد، وهو مكان من رحمهم الله ونجاهم، يعني السفينة، قيل لا عاصم بمعنى لا ذا عصمة إلا من رحمة الله"[2].

ولما كان طلب الخفة تسهيلا واقتصاداً في الجهد والوقت جاء التعبير كذلك باسم الفاعل الذي أغنى عن جملة مطولة مثل لا أحد يعصمك اليوم، فورد اسم الفاعل بين معنيين في صيغة عاصم الأول، وهو على ما هو عليه بمعنى لا أحد يعصمك اليوم من أمر الله، والثاني أن صيغة اسم الفاعل حسب هذا السياق قد تدرج ضمن ظاهرة "تناوب الصيغ"، فهي اسم مفعول في صورة اسم فاعل (عاصم–معصوم) أي

[1]– هادي نهر، النحو القرآني الدلالي، مرجع سابق، ص344.

[2]– الزمخشري، الكشاف، ج3، مرجع سابق، ص202.

اسم فاعل ـ يؤول إلى اسم مفعول في المعنى الذهني، وكذلك لا أحد معصوم من أمر الله، كما في المثل من صيغ (أنت الطاعم الكاسي) والمعنى المطعوم والمكسو"[1].

ولعل السياق في الآية الكريمة يحمل دلالة اسم الفاعل "عاصم" الذي قام مقام صيغتين (عاصم ومعصوم)، وهو اختصار للجهد في الكلام وطلبا للخفة وتسهيل القراءة وما ذلك إلا وجه للبلاغة.

والبلاغة الإيجاز: والمعنى هو نفي من الله عز وجل بأن لا أحد عاصم ولا أحد معصوم من أمر الله، إلا من رحم، وهي قدرته تعالى لا يمكن لمخلوق تجاوزها.

ومثل ذلك قوله تعالى: {لَّا تَسْمَعُ فِيهَا لَاغِيَةً} [الغاشية: 10]. ولاغية فاعلة، قد تكون بمعنى اللغو، واللغا والصفة تقوم مقام المصدر، وقد يكون المعنى لا تسمع فيها جماعة لاغية أو كلمة لاغية أو قائلة لغوا.

وذكر القرطبي أن فيها ستة أوجه:

- "لاغية: كذب وبهتان وكفر وهذا مذهب ابن عباس.
- باطل وإثم وهذا مذهب قتادة.
- الشتم وهذا قاله مجاهد.
- المعصية وهو للحسن.
- لا يسمع فيها حالف يحلف كذبا قاله الفراء.
- لا يسمع في كلامهم كلمة بلغو وهو للفراء أيضا.

ووجه الإعجاز هو انفتاح دلالة لاغية وكل المعاني التي تلتقي عليها تجتمع لتؤذن بنفي اللغو بكلّيته"[2].

---

[1]– ينظر: مهدي أسعد عرار، مباحاث لسانية في ظواهر قرآنية، دار الكتب العلمية، بيروت، 1972، ص16.

[2]– نفسه، ص16، 17.

ولعل أكثر ما ترد الإضافة حين يكون المعمول ضميرا لما في ذلك من التسهيل والخفة كقوله تعالى: {يَا عِيسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا} [آل عمران: 55].

الشاهد في رافعك – مطهرك، جاء في تفسير الكشاف: "رافعك إليّ: إلى سمائي ومقر ملائكتي، (مطهرك من الذين كفروا) من سوء جوارهم وخبث صحبتهم، وقيل متوفيك قابضك من الأرض، من توفيت مالي إلا فلان، إذا استوفيته، وقيل مميتك في وقتك بعد النزول من السماء، ورافعك الآن، وقيل متوفي نفسك بالنوم من قوله (والتي لم تمت في منامها)، ورافعك وأنت نائم حتى لا يلحقك خوف وتستيقظ وأنت في السماء آمن مقرب"[1].

والدلالة ارتبطت بإضافة الاسم إلى عامله في اسم الفاعل اختصاراً لكل هذه المعاني بأقصر الصور البلاغية اسم الفاعل.

وهو رفعه إليه سبحانه وتعالى بكل لطف منه وحنان سواء قابضه أو في منامه حتى لا يلحقه الخوف مع أمن قربه من الله تعالى.

وتتجلى قدرة الله في أبسط خلقه ما بالك أفعاله، فهو فعال لمايريد، ومن ذلك قوله تعالى: {وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ} [القصص: 07]. والشاهد في رادوه وجاعلوه فهو بعث اطمئنان وسكينة لتكفله به عز وجل "فنهيت عنهما جميعا وأومنت بالوحي إليها وودعت بما يسليها ويطمئن قلبها ويملؤها غبطة وسرورا، وهو رده إليها وجعله من المرسلين"[2].

وكذلك قوله تعالى: {قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ} [الزمر: 11].

---

[1]– الزمخشري، الكشاف، ج1، مرجع سابق، ص562.

[2]– نفسه، ج4، ص483.

"قل إني أمرت بإخلاص الدين وأمرت بذلك لأجل أن أكون أول المسلمين وسابقهم في الدنيا والآخرة، والمعنى أن الإخلاص له السبقة في الدين، فمن خلص كان سابقا"[1].

وليس المقام لبحث ما هو عامل من عدمه في اسم الفاعل، إذ العمل في مواضع الخفة والاقتصاد اللغوي ومظاهر التخفيف، فالملاحظ أن اسم الفاعل يحمل معاني كثيرة ودلالات متباينة في صيغة واحدة، ومن ذلك قوله تعالى: {إِنَّمَا أَنتَ مُنذِرُ مَن يَخْشَاهَا} [النازعات: 45].

يورد الزمخشري تفسيرها ويعطي معناها على الشكل الذي يفي بغرض الخفة والسهولة فيقول: "لم تبعث لتعلمهم بوقت الساعة الذي لا فائدة لهم في علمه، إنما بعثت لتنذر من أهوالها من يكون من إنذارك لطفا له في الخشية منها، وقرئ منذر بالتنوين وهو الأصل والإضافة تخفيف، وكلاها يصلح للحال والاستقبال"[2].

ودلالة اسم الفاعل لما فيه من الحدث وقد يستدعي أحيانا الزمن الذهني على الأقل، لذلك كان الإخلاص مستمرا وكذلك الإنذار، فهو مخلص الدين لله، ومنذر دال على أهوال يوم القيامة وقيام الساعة.

وفي مواضع اسم الفاعل المغني به عن معان عدة والمختصر به ألفاظ كثيرة، ومراد ذلك الخفة وتسهيل القراءة والاستعمال، قوله تعالى: {وَإِذْ قالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي جاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً} [البقرة: 30].

جاء في تفسير الكشاف: "إذ: نصب بإضمار أذكر ويجوز أن ينصب بقالوا، والملائكة جمع ملأك على الأصل كالشمائل في جمع شمأل وإلحاق تاء لتأنيث الجمع، وجاعل من جعل الذي له مفعولان دخل على المبتدأ والخبر وهما قوله: في الأرض

[1]– الزمخشري، الكشاف، ج5، مرجع سابق، ص205.

[2]– نفسه، ج6، ص311.

خليفة، فكانا مفعوليه، ومعناه مصير في الأرض خليفة، والخليفة من يخلف غيره، والمعنى خليفة منكم لأنهم كانوا سكان الأرض فخلفهم فيها آدم وذريته"[1].

والشاهد في جاعل الذي ينضوي على معان من مختصر اللفظ الذي هو خليفة آدم الأرض وتعميرها بأمر الله عز وعلا.

والدلالة هي علمه الخفي الذي ينفرد به دون سواه في تدبير الأمور وقدرته على جعل أي شيء بدون شيء، {إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ} [يس: 82].

كما أن الدلالة في اسم الفاعل قد تتباين من صيغة لأخرى، أي قد "تشتمل صيغة صرفية واحدة على معان صرفية متباينة ومن ذلك قوله تعالى: {فَاجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَّا نُخْلِفُهُ نَحْنُ وَلَا أَنتَ مَكَانًا سُوًى قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ ٱلزِّينَةِ وَأَن يُحْشَرَ ٱلنَّاسُ ضُحى} [طه: 58-59].

قال الزمخشري: "لا يخلو الموعد في قوله (فاجعل بيننا وبينك موعدا) من أن يجعل زمانا أو مكانا أو مصدرا، فإن جعلته زمانا نظرا في أن قوله تعالى: (موعدكم يوم الزينة) مطابق له لزمك شيئان، أن يجعل الزمان مخلفا، وأن يعضل عليك ناصب مكانا، وإن جعلته مكانا لقوله تعالى: (مكانا سوى) لزمك أيضا أن توقع الإخلاف على المكان... بقي أن يجعل مصدرا بمعنى الوعد ويقدر مضافا محذوفا، أي مكان موعد، ويجعل الضمير في نَخْلُفُه للموعد ومكانا بدل من المكان المحذوف..."[2].

وهنا تتجلى قيمة الاختصار الذي تحمله الصيغة الصرفية لكل تلك المعاني بلفظ واحد، هو موعد، وهو يحمل الصيغة اسم الزمان، أو اسم المكان كليهما، وهي صيغة مَفْعِلْ، وتحمل كذلك المصدر الميمي.

---

[1]- الزمخشري، الكشاف، ج1، مرجع سابق، ص251.

[2]- نفسه، ج4، ص89، 90.

فالدلالة تكمن في الصيغة موعد على الزمان، كما في قوله تعالى: {إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ} [هود: 81].

وتدل على المكان كما في قوله تعالى: {إِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ} [الحجر: 43].

وتدل على المصدر كذلك الوعد، تنصهر كل تلك الدلالات في دلالة موعد لاحتمالها المعاني المتباينة صرفيا، كما أن المولى عز وجل: "لم يخص معنى دون معنى، وعلة ذلك التشديد على عقد الموعد وتأكيده في زمانه ومكانه وحدوثه (المصدر)، فهو لا يخلف وعده رسله"[1].

[1]– ينظر: مهدي أسعد عرار، مباحثات لسانية في ظواهر قرآنية، مرجع سابق، ص17، 18.

3. المستوى التركيبي:

البحث في المستوى التركيبي عموما يقع في الكلمة ومواضعها في الجملة، بمعنى عندما تكون داخل التركيب اللغوي وفق ما يقتضيه علم النحو في ضبط أواخرها بحركات الإعراب، أو لزومها حالة واحدة "تسمى البناء"، ويسمى ذلك علم الإعراب وهو ما يعرف اليوم بالنحو، "علم بأصول تعرف بها أواخر الكلمات العربية من حيث الإعراب والبناء، أي من حيث ما يعرض لها في حال تركيبها، فيه تعرف ما يجب عليه أن يكون آخر الكلمة من رفع أو نصب أو جر أو جزم أو لزوم حالة واحدة بعد انتظامها في الجملة"[1].

والإعراب "الحركات المبنية على معاني اللغة، وليس كل حركة إعرابا، كما أنه ليس كل الكلام معربا"[2]. وعلى هذا الأساس نعمد لدراسة ظاهرة التخفيف في هذا المستوى على الجملة وما يعتريها من نقص لأحد عناصرها ودلالة المخفف من حيث الحذف أو الإضمار أو الاختصار، والحديث عن التخفيف كظاهرة لغوية عامة هو الحديث عن ظاهرة تتصف بكونها تجليا في خفاء، حضوراً عن تصور محدد لطبيعة اللغة في هذا المستوى طبعاً عربية كانت أم لغة القرآن الكريم خاصة.

ثم أن التخفيف في الجملة إنما يقع بالحذف أو بالإضمار، فالحذف يتعلق دائما بالصورة اللفظية حسب تموقعها داخل التركيب، أما الإضمار فهو إسقاط العنصر مع الاحتفاظ به ذهنيا مثل الضمير أو متعلق الخبر وغيره، يقول ابن جني: "حذفت العرب الجملة والمفرد والحرف وليس شيء من ذلك إلا عن دليل عليه"[3]، ذلك يعني أن إسقاط

---

[1]- مصطفى العلايني: جامع الدروس العربية، ج1، تح: محمد علي جيلاني، المكتبة التوفيقية، القاهرة، ط3، 2013، ص07.

[2]- أبو القاسم الزجاجي: الإيضاح في علل النحو، تح: مازن المبارك، دار النفائس، بيروت، ط3، 1979، ص91.

[3]- ابن جني، الخصائص، ج2، مرجع سابق، ص360.

اللفظ أو حذفه لا يكون إلا بدليل أو لقرينة إعرابية، صناعية أو حالية مقامية، وهذا يختص به النحاة الذين أخرجوه على الوجوه الموافقة لسمت كلام العرب.

ومثال الإضمار قوله تعالى: {وَقِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْاْ مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قَالُواْ خَيْراً} [النحل: 30]. أورد الزمخشري: "خير أنزل خيراً، فإن قلت لم نصب هذا ورفع الأول، قلت: فصلا بين جواب المقرّ وجواب الجامد، يعني أن هؤلاء لما سئلوا لم يتلعثموا، وأطبقوا الجواب على السؤال بيناً مكشوفا معقولا للإنزال، فقالوا خيراً أي أنزل خيراً، وأولئك عدلوا بالجواب عن السؤال"[1].

بمعنى أن الجزء الذي وقع فيه التخفيف بالإضمار هو الإنزال، أي إضمار أنزل خيراً.

وفي قوله تعالى: {مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ اللَّهِ} [الأحزاب: 40]، "يقدر النحويون كان محذوفة مع اسمها، فالتقدير ولكن كان رسول الله لأن ما بعد لكن ليس معطوفا بها لدخول الواو عليها، وليس بالواو لأنه مثبت وما قبلها منفي، ولا يعطف مفرد بالواو إلا وهو شريكه في النفي والإثبات"[2].

كما جاء في مغني اللبيب: "قالوا سلاما أي سلمنا سلاماً... قال سلام قوم منكرون، أي سلام عليكم أنتم قوم منكرون، فحذف خبر الأول ومبتدأ الثانية"[3].

ولم يكن القصد بالحذف في الجملة الحركات الإعرابية أو التنوين أو الإبدال والإعلال أو كالتقاء الساكنين، وإنما الاعتماد في ذلك على تبيان الظاهرة (التخفيف) في حذف الكلمة أو الجملة بكاملها سواء كان اسمها أو فعلا عاملا، أو معمولا نطقا أو كتابة، مثل قوله تعالى: {ثُمَّ لَنَنزِعَنَّ مِن كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَٰنِ عِتِيًّا} [مريم: 69]. التقدير والله أعلم في قوله أيهم أشد، هو ايهم هو أشد، والضمير هو مبتدأ مرفوع

---

[1]– الزمخشري، الكشاف، ج3، مرجع سابق، ص433.

[2]– طاهر سليمان حمودة، ظاهرة الحذف في الدرس اللغوي، مرجع سابق، ص123.

[3]– ابن هشام: مغني اللبيب، ج2، تحقيق: حنا الفاخوري، دار الجبل، بيروت، ط2، 1997، ص324.

محذوف تخفيفا، وأشد خبر للمبتدأ المحذوف كما هو الحال في مثل من سأل: أين الطالب فيجاب في القسم، ليكون الأصل الطالب في القسم على تقدير موجود.

كما أن التخفيف بالحذف الذي هو متفش في النص القرآني بصورة ملحوظة وموقعه يكون من أجل إسقاط اللفظ من الجملة معبرا عن دلالات شتى بإشارات إلى الاستخدام السياقي للوصول إلى المعنى وتحديده، ونأخذ لذلك مثلا ما يعبر عن ما يسمى بطي الأحداث الذي يعبر عن الاختصار للحكاية في أبدع صورها، كما يذكرها القرآن الكريم، ومن ذلك قوله تعالى: {ارْكُضْ بِرِجْلِكَ هَٰذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ} [ص: 42].

فقد ذكر المفسرون فيها طي الأحداث ومنهم الشيرازي مفسراً: "لما أجيب به أي أُضرب برجلك الأرض (هذا مغتسل بارد وشراب)، أي فضربا فبعثت عين، فقيل له هذا مغتسل أي ماء تغتسل به، وتشرب منه، فيبرأ باطنك وظاهرك، وقيل نبعت عينان حارة وباردة فاغتسل من الحارة وشرب من الأخرى"[1].

والملاحظ من التفسير المطول أن الآية اختصرت أحداثا كبيرة من ضرب الأرض، ونبع الماء، وقول بالأمر وغيره، إنما هو صورة للاقتصاد اللغوي المعبر عنه بالتخفيف وسهولة القراءة والتعبير.

وجاء في الكشاف: "حكاية ما أجيب به أيوب عليه السلام أي أضرب برجلك الأرض، وعن قتادة هي أرض الجابية، فضربها فنبعت عين فقيل (هذا مغتسل بارد وشراب)، أي هذا ماء تغتسل منه وتشرب منه، فيبرأ باطنك وظاهرك، وتنقلب ما بك قلبهُ وقيل نبعت له عينان فاغتسل من إحداهما وشرب من الأخرى، فذهب الداء من

[1]– محمد الشيرازي: تفسير البيضاوي، ج5، ويهامشه الكارزوتي، مؤسسة شعبان للنشر والتوزيع، بيروت، دت، ص20.

ظاهره وباطنه بإذن الله، وقيل ضرب برجله اليمنى فنبعت عين حارة فاغتسل منها، ثم باليسرى فنبعت باردة فشرب منها"[1].

يتبين أن الآية الكريمة (اركض برجلك هذا مغتسل بارد وشراب) فيه محذوفان، الأول يتعلق بالجملة الأولى اركض برجلك، والثاني يتعلق بالجملة هذا مغتسل بارد وشراب، كمقولة أولى ومقولة ثانية، يفصل بينهما وقت أي بين الأمر بركض الأرض، ولقيان الماء المشار إليه ذلك الفاصل في طي الأحداث التي جرت في ذلك الوقت بينهما، وهذا يؤكده قول ابن عاشور: "جملة هذا مغتسل مقولة لقول محذوف دلّ عليه المقول الأول، وفي الكلام حذف دلت عليه الإشارة، فالتقدير فركض الأرض برجله فنبع الماء فقلنا له هذا مغتسل بارد وشراب"[2].

ولما كان الاختصار هو عماد الأغراض التي ينبني عليها الحذف كله، وهو في الأصل إسقاط ما كان فضله من اللفظ كان الغرض كذلك هو طي الأحداث المحكية واختصارها في قلة من القول تدل بإشارة إلى ما غُيّب مع تكفل القرائن المقامية أو العقلية بها للتعبير بما هو مختصر مفيد وبسهولة يصل المعنى المراد.

والدلالة التي يمكن أن يحددها سياق الآية والقول المحذوف إنما هي إشارة من عدم ذكره صراحة (القول) إلى الانتباه إلى قدرة الله تعالى في تنفيذ الأمر بين كن فيكون، فكان تغيب القول وحذفه ولاختصار دلالة كذلك اختصار العمل الموكل لسيدنا أيوب على بساطته وهو ركض الأرض لتظهر عناية الخالق العزيز بعباده عامة وبشفاء نبيه أيوب.

---

[1]– الزمخشري، الكشاف، ج5، مرجع سابق، ص272.

[2]– ابن عاشور: التحرير والتنوير، ج23، الدار التونسية للنشر، تونس، دت، ص270.

وقوله تعالى: {وَقَالَ ٱلَّذِي نَجَا مِنۡهُمَا وَٱدَّكَرَ بَعۡدَ أُمَّةٍ أَنَا۠ أُنَبِّئُكُم بِتَأۡوِيلِهِۦ فَأَرۡسِلُونِ يُوسُفُ أَيُّهَا ٱلصِّدِّيقُ أَفۡتِنَا فِي سَبۡعِ بَقَرَٰتٖ سِمَانٖ يَأۡكُلُهُنَّ سَبۡعٌ عِجَافٞ وَسَبۡعِ سُنۢبُلَٰتٍ خُضۡرٖ وَأُخَرَ يَابِسَٰتٖ لَّعَلِّيٓ أَرۡجِعُ إِلَى ٱلنَّاسِ لَعَلَّهُمۡ يَعۡلَمُونَ} [يوسف: 45-46].

الشاهد في قوله تعالى: (يوسف أيها الصديق) ذلك أنه ليس محكي من دون تعلق أساسا بفعل القول قبله في سياق هذا في السورة ذاتها (يوسف)، حيث أنه سياق مركب يفهم منه أن الخطاب قد جرى في حضرة العزيز، وأن سيدنا يوسف عليه السلام كان وقتئذ في السجن غائبا عن ذلك المقام، فلا يصح إتخاذه منادى مخاطبا مقصودا، ولذلك أُعتبر أن هذا الموضع من السورة هو طي لعدد من الأحداث دون ذكرها، وهي الفاصلة بين إلتماس المتكلم أن يرسل في طلب تعبير الرؤيا وقدومه على يوسف في سجنه، وبذلك يكون الكلام به حذف واختصار لأحداث، "وفي الكلام حذف وتقير فأرسله إلى يوسف فأتاهُ فقال"[1].

وجاء في الكشاف: "المعنى فأرسلوه إلى يوسف فأتاه فقال: (يوسف أيها الصديق)، أيها البليغ في الصدق، وإنما قال له ذلك لأنه ذاق أحواله، وتعرف صدقه في تأويل رؤياه، ورؤيا صاحبه، حيث جاء كما أوّل، ولذلك كلمة كلام محترز فقال: (لعلي أرجع إلى الناس لعلهم يعلمون)، لأنه ليس على يقين من الرجوع، فربما احترم دوره، ولا من علمهم فربما لم يعلموا أو معنى (لعلهم يعلمون) لعلهم يعلمون فضلك ومكانك من العلم فيطلبونك ويخلصوك من محنتك"[2].

[1]- أبو حيان الأندلسي: البحر المحيط، مرجع سابق، ص314.

[2]- الزمخشري، الكشاف، ج3، مرجع سابق، ص292.

والدلالة يمكن أن تساق من خلال اختلاف الحدث في القول الأول المحذوف، "فأرسلوه، والهاء ضمير يعود على المرسل إلى سيدنا يوسف عليه السلام من قبل العزيز لتفسير رؤياه، والضمير في أتاه فقال له: العائد على سيدنا يوسف، فكان هناك تقابل مناسب للسياق الكلي إذ أنه يفصل بينهما وقت لقيام الأحداث، لذلك كان الاختصار في غاية الدقة اللغوية والبيان في لغة القرآن محدثا ظاهرة التخفيف والتسهيل للقراءة والفهم.

وكذلك قوله تعالى: {وَجَاءُوا عَلَىٰ قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ} [يوسف: 18]. والشاهد في قوله تعالى: (فصبر جميل، والله المستعان على ما تصفون).

جاء في الكشاف: "خبر أو مبتدأ لكونه موصوفاً أي أي فأمري صبر جميل أو فصبر جميل أمثل، وفي قراءة أيْ: فصبراً جميلا، والصبر الجميل جاء في الحديث المرفوع، أنه لا شكوى فيه إلى الخلق، ألا ترى إلى قوله: إنما أشكو بثي وحزني إلى الله، وقيل: لا أعايشكم على كآبة الوجه بل أكون لكم كما كنت، وقيل: سقط حاجبا يقعوب على عينيه فكان يرفعهما بعصابة، فقيل له: ما هذا؟، فقال: طول الزمان وكثرة الأحزان، فأوحى الله تعالى إليه: يا يعقوب أتشكوني؟ قال: يارب خطيئة فاغفرها لي، والله المستعان، أي أستعينه على احتمال ما تصفون من هلاك يوسف والصبر على الرزء فيه"[1].

والملاحظ أن كلمة صَبْرٌ هي مصدر للفعل صَبَرَ، فالحذف يكون وجوباً إذا كان كذلك والتقدير صبر للدلالة على القرينة اللفظية، وأما حالي أو أمري فالدلالة الحالية أو المعنوية، وكذلك يحمل السياق المبتدأ الموصوف وخبره المحذوف، كما

[1]– الزمخشري، الكشاف، ج3، مرجع سابق، ص263، 264.

أورده الزمخشري: "فصبر جميل أمثل: كما يحذف الخبر بعد لاسيما إذا كان المستثنى مرفوعا نحو أكرم الدعاء لاسيما سعد أي هو سعد"[1].

والحذف مظهر من مظاهر التخفيف الذي يورده النص القرآني حفاظا على التناسب القائم بين الوحدات اللغوية للمنجز اللغوي، ذلك ما يجعل الخبر يحذف للعلم به أي المحذوف نحو قوله تعالى: {مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ أُكُلُهَا دَائِمٌ وَ ظِلُّهَا تِلْكَ عُقْبَى الَّذِينَ اتَّقَوا وَ عُقْبَى الْكَافِرِينَ النَّارُ} [الرعد: 35].

جاء في الكشاف: "صفتها التي هي في غرابة المثل، وارتفاعه بالابتداء، والخبر محذوف، على مذهب سيبويه، أي فيما قصصناه عليكم مثل الجنة، وقال غيره: الخبر (تجري من تحتها الأنهار)، كما تقول: صفة زيد أسمر، وقال الزجاج معناه مثل الجنة، جنة تجري من تحتها الأنهار، على حذف الموصوف تمثيلا لما غاب عنها بما تشاهد، وقرأ علي رضي الله عنه: أمثال الجنة أي صفتها، أكلها دائم كقوله: {لَّا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ} [الواقعة: 33]. (وظلها) دائما لا ينسخ كما ينسخ في الدنيا بالسمش"[2].

"فالحذف وقع في أول الآية لدلالة خبر المبتدأ عليه"[3]، كما في ظلها (دائم)، كذلك اختصارا ليدل على تركه ليوم القيامة، مناسبة لغرابة المثل في الصفة، مقابلا لما لا عين رأيت ولا أذن سمعت.

ويقع التخفيف أيضا في مثل إسقاط جملة بكاملها من المنجز اللغوي في قوله تعالى: {بَلَىٰ قَادِرِينَ عَلَىٰ أَن نُّسَوِّيَ بَنَانَهُ} [القيامة: 04].

---

[1]– السيد أحمد الهاشمي: القواعد الأساسية للغة العربية، قدم له وضبطه محمد التونجي، مؤسسة المعارف، بيروت، ط3، 2006، ص108.

[2]– الزمخشري، الكشاف، ج3، مرجع سابق، ص355.

[3]– صبحي التميمي: هداية السالك في ألفية بن مالك، ج2، دار البعث، الجزائر، ط2، 1990، ص57.

قال الزمخشري: "بلى أوجبت ما بعدها النفي وهو الجمع فكأنه قيل: بلى نجمعها (قادرين) حال من الضمير في نجمع أي نجمع العظام قادرين على تأليف جميعها وإعادتها إلى التركيب الأول إلى أن نسوي بنانه أي أصابعه التي هي أطرافه وآخر ما يتم به خلقه"[1].

تتجلى الدلالة من خلال حرف الجواب "بلى" الذي يؤكد قدرة المولى عز وجل على جمع رميم عظام الإنسان وتسوية بنان أصابعه التي بها يتحرك ويحرك، ففرقه به عن أطرف غيره من المخلوقات وهو إسكات ذلك المتحدي بقوله: (ولو كان جامعا للعظام)، بالإجابة الشافية والكاملة بكمال قدرة الله في جمعها وبعثها ولو كانت رميما مختلطة بالتراب.

والتخفيف يعتمد على ما هو مختصر، وعلى فهم السامع وقدرته على التأويل الصحيح، ومن ذلك فعل الكينونة كان "فقد اختصت وحدها دون أخواتها بأن تعمل مذكورة أحيانا أو محذوفة مرة أخرى، والأصل تذكر مع معموليها، ليقوم كل واحد من الثلاثة بدوره في تكوين الجملة، غير أنه قد يطرأ على هذا الأصل ما يقتضي العدول عنه لأسباب نحوية أو بلاغية تدعو إلى حذف واحد أو أكثر"[2].

جاء في قوله تعالى: {إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعاً إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعاً وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعاً} [المعارج: 19-21]، حيث يذكر الزمخشري في الكشاف: "عن أحمد بن يحي، قال لي محمد بن عبد الله بن ظاهر: ما الهلع؟ فقلت: قد فسره الله ولا يكون تفسير أبين من تفسيره، وهو الذي إذا ناله شر أظهر شدة الجزع، وإذا ناله خير بخل به ومنعه الناس والخير: المال والغنى، والشر والفقر أو الصحة والمرض، إذا صح الغني منع المعروف، وفسح بماله، وإذا مرض جزع وأخذ يوصي، والمعنى أن الإنسان

[1]- الزمخشري، الكشاف، ج6، مرجع سابق، ص267.

[2]- حسن عباس: النحو الوافي مع ربطه بالأساليب الرفيعة والحياة اللغوية المتجددة، ج1، دار المعارف، القاهرة، ط12، دت، ص661.

لإيثاره الجزع والمنع وتمكنهما منه، ورسوخهما فيه، كأنه مجبول عليهما مطبوع، وكأنه خلقي وضروري غير اختياري"[1].

وبذلك يكون الإنسان المعني بهذه الصفة (الجزع والمنع) كونا محذوفا وجزوعا ومنوعا، خبر لكان واسمها المحذوفين دلالة على جبلة الجزع والمنع المتمكنة منه كنقيصة سلوكية مناسبة لحذف ذكره صراحة في السياق.

كما في قوله تعالى: {فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَاسْمَعُوا وَأَطِيعُوا وَأَنفِقُوا خَيْرًا لِّأَنفُسِكُمْ ۗ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ} [التغابن: 16].

الشاهد في اسمعوا وأطيعوا وانفقوا أفعال أمر معطوفة على بعضها، أفادت الترتيب سمعاً وطاعة وانفاقا، جاء في الكشاف: "اسمعوا ما توعظون، وأطيعوا فيما تأمرون به وتنهون عنه، وأنفقوا في الوجوه التي وجبت عليكم النفقة فيها، خيرا لأنفسكم، نصب بمحذوف تقديره أئتوا خيراً لأنفسكم وافعلوا ما خير لها وأنفع، وهذا تأكيد للحث على امتثال هذه الأوامر وبيان لأن هذه الأمور خير لأنفسكم من الأولاد والأموال، وما أنتم عاكفون عليه من حب الشهوات وزخارف الدنيا"[2].

وكذلك يكون التأويل أيضا في الحذف، "لكان" واسمها، والتقدير وانفقوا يكن خيرا لأنفسكم، تحقيقا للتخفيف والسهولة للقراءة والفهم، وكذلك قوله تعالى: {وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ انْتَهُوا خَيْرًا لَكُمْ} [النساء: 171] حذف فيها كان واسمها فانتهوا يكن خير لكم.

وأما دلالة الحذف الواقع في الآيات هو دائما حرص القرآن على هذا التواتر ليكون السياق مناسبا للأحداث المعنية بالمحذوف، وهو كذلك جمالية من جماليات صوغ القرآن الكريم ليجعل القارئ في حل من أمره وحرا في التأويل حسب القدرة العلمية والتلقي السهل.

---

[1]– الزمخشري، الكشاف، ج6، مرجع سابق، ص209.

[2]– الزمخشري، الكشاف، ج6، مرجع سابق، ص136.

ومما لابد من تأكيده هو أن التخفيف بالحذف مظهر من مظاهر الاقتصاد اللغوي، "وهو مفهوم أسلوبي جمالي في المقام الأول، وما أكثر ما يحذف فيه العامل ويبقى معموله في حالة من الإعراب، فيقدر النحاة تقديرا، وفي ذلك إيجاز واختصار في التراكيب اللغوية"[1].

ومن ذلك قوله تعالى: {وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا} [الفجر: 22].

ورد في تفسير الكشاف: "ما معنى إسناد المجيء إلى الله، والحركة والانتقال إنما يجوزان على من كان في جهة. قلت هو تمثيل لظهور آيات اقتداره وتبيين آثار قهره وسلطانه، مثلت حالة في ذلك بحال الملك إذا حضر بنفسه من آثار الهيبة والسياسة ما لا يظهر بحضور عساكره ووزرائه، وخاصة على بكرة أبيهم"[2].

وفي البرهان، "أي أمره بمعنى عذابه لأن الحق دلّ على استحالة مجيئ البارئ لأنه من سمات الحادث، وعلى أن الجائئ أمره"[3].

"ففي الآية اختصار على ذكر "ربك" مرفوعا لأن من الاستحالة مجيء البارئ لكون المجيء من سياق الحدث، لذلك يفهم المحذوف ذهنيا بأمر، أو عذاب أو ملائكة"[4].

وجاء في أسرار البلاغة "واعلم أن الكلمة كما توصف بالمجاز لنقلك لها عن معناها لما مضى، فقد توصف به لنقلها عن حكم كان لها إلى حكم ليس هو حقيقة فيها، ومثال ذلك أن يكتسي إعراب المضاف في قوله تعالى: {وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا} [يوسف: 82]. والأصل واسأل أهل القرية فالحكم الذي يجب للقرية في الأصل

---

[1]– هادي نهر، النحو القرآني الدلالي، مرجع سابق، ص359.

[2]– الزمخشري، الكشاف، ج6، مرجع سابق، ص373.

[3]– جلال الدين السيوطي، البرهان في علوم القرآن، ج3، مرجع سابق، ص143.

[4]– هادي نهر، النحو القرآني الدلالي، مرجع سابق، ص359.

وعلى الحقيقة هو الجر والنصب فيها مجاز"[1]. فحذف المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه هو دافع لإقامة علاقات جديدة بين الكلمات بتحقيق سؤال القرية الذي هو في الأصل لأهل القرية، وهذا نوع من أنواع التصرف في الأداء اللغوي النحوي في المستوى التركيبي.

وحذف العامل في نصب الكلمة مثل قوله تعالى: {نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَاهَا} [الشمس: 13]. فناقة منصوبة بعامل محذوف تقديره "احذروا" وهذا الحذف دل على حدث عظيم ولهفة كبيرة من قبل سيدنا صالح عليه السلام وشدة حرصه على نجاة قومه وهو يدعوهم إلى أن يحذروها أو يذروها ويلزموا سقياها.

ومن المظاهر في هذا المستوى للخفة والتبسيط الحدث الذي يقع في البنية السطحية للمنجز اللغوي بإسقاط جواب الشرط كاملا وفقا للمقام الذي يقتضي ذلك، وبه استغنت العرب عن تكرير الأسماء الظاهرة، والاكتفاء بما يمكن تقديره مناسبا له.

ومن ذلك قوله تعالى: {وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ} [الزمر: 73].

جاء في الكشاف "حتى هي التي تُحكى بعدها الجمل، والجملة المحكية بعدها هي الشرطية، إلا أن جزاءها محذوف، وإنما حذف لأنه من صفة ثواب أهل الجنة، فدل بحذفه على أنه شيء لا يحيط به الوصف وحتى موقعه ما بعد خالدين"[2].

فحذف جملة جواب الشرط "إذا" على الخفة والتسهيل والتبسيط ودلالته تتردد بين المتلقين في تأويل هذا المحذوف كلٌ حسب قدرة استعابه لمضمون الآية والتقدير والله أعلم: لرأوا مالا حصر له من صنوف النعيم، وأما جانب البلاغة الجمالي الذي

[1]– عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة، تح: محمد الفاضلي، المكتبة العصرية، بيروت، ط3، 2001، ص306.

[2]– الزمخشري، الكشاف، ج5، مرجع سابق، ص325.

يحمله سياق الحذف فهو تحرير القارئ حال تلقيه النص القرآني وجعله جزءاً منه في إنشاء الدلالة المناسبة لهذا المضمر.

وجاء في البرهان: "حذف الجواب إذا كان وصف ما يجدونه ويلقونه عند ذلك لا يتناهى، فجعل الحذف دليلا على ضيق الكلام عن وصف ما يشاهدونه، وتركت النفوس تقدر ما شاءته ولا تبلغ مع ذلك كنه ما هنالك"[1].

ومن ذلك أيضا قوله تعالى: {وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ} [البقرة: 165].

أورد الزمخشري في الكشاف: "الذين ظلموا إشارة إلى متخذي الأنداد، أي لو يعلم هؤلاء الذين ارتكبوا الظلم العظيم بشركهم أن القدرة كلها لله على كل شيء من العقاب والثواب، دون أندادهم، ويعلمون شدة عقابه للظالمين، إذا عاينوا العذاب يوم القيامة، لكان منهم ما لا يدخل تحت الوصف من الندم والحسرة، ووقوع العلم بظلمهم وضلالهم، فحذف الجواب كما في قوله: {وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وُقِفُوا} [الأنعام: 27]"[2].

فتقدير جواب الشرط، أي الجملة المحذوفة والله أعلم هي لكان منهم ما لا يُعد، ولا يحصى من الأحاسيس بالحسرة والندم على ما فرطوا فيه من جنب الله، وكذا في حق أنفسهم. ولو ذكر هذا الجواب المحذوف أي جواب "لو" لكان محدودا، بحيث يستغنى عن تعدد وتردد الدلالة الممكن إتيانها من قبل المتلقي أو القارئ، وقدرته في تخيل أنواع العذاب يوم القيامة، وتلك مزية جمالية من الحذف والتخفيف به أضفت على المنجز اللغوي في النص القرآني هالة من التصوير المذهل من "التعجب والتهويل على النفوس"[3].

---

[1]- جلال الدين السيوطي: الإتقان في علوم القرآن، ج3، تحقيق عبد الرحمان فهمي الزواوي، دار العدد الجديد، القاهرة، 2006، ص140.

[2]- الزمخشري، الكشاف، ج1، مرجع سابق، ص354.

[3]- جلال الدين السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، ج3، مرجع سابق، ص140.

كما هو الحال في حكاية سيدنا موسى عليه السلام مع ابنتي شعيب في قوله تعالى: {فَسَقَى لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا} [القصص: 23-25].

جاء في الكشاف المعنى: "أنه وصل إلى ذلك الماء وقد ازدحمت عليه أمة من أناس مختلفة متكاثفة العدد، ورأى الضعيفتين من ورائهم مع غنيمتهما مترقبتين لفراغهم، فما أخطأت همته في دين الله تلك الفرصة، مع ما كان به من النصب وسقوط خف القدم والجوع، ولكنه رحمهما فأغاثهما وكفاهما أمر السقي في مثل تلك الزحمة بقوة قلبه وقوة ساعده، وما أتاه الله من فضل في متانة الفطرة ورصانة الجبلة... فإن قلت لم ترك المعقول غير مذكور في قوله: يسقون، وتذودان، ولا نسقي، قلت لأن العرض الفعل لا المفعول، ألا ترى أنه إضمار جمعهما لأنهما كانتا على الذياد"[1].

فالمخفف من الآيات حذفا هو عدة جمل، ونظم الكلام من غيره أن يقال: "فذهبتا إلى أبيهما وقصتا عليه ما كان من أمر موسى فأرسل إليه فجاءته إحداهما تمشي على استحياء"[2].

وجملة الكلام أن التخفيف بالحذف هو كذلك اقتصاد لغوي، "وهو اختصار لجملة منه شرط أن يكون في المذكور ما يدل ذلك المحذوف، ليُعرف من قبل السامع فيقدر استحضاره بفهم وتبصر. وبذلك كان عمل سيدنا موسى عليه السلام رغبة في المعروف وإغاثة الملهوف، ولو أنه أورد القصة بتفاصيلها لكان الأمر عاديا، وإنما

[1]- الزمخشري، الكشاف، ج4، مرجع سابق، ص491.

[2]- علي الجارم، مصطفى أيمن: البلاغة الواضحة، دار المعارف للنشر والتوزيع، ماكميلان، لندن، 1999، ص241.

يكمن جمال الأسلوب القرآني في الاختصار كعامل للاقتصاد اللغوي، وفي قوله: على استحياء، في موضع الحال أي مستحية متخفرة (شدة الحياء)"[1].

وبذلك يكون التخفيف بجميع أساليبه حذفا أو اختصارا ظاهرة لغوية محققة للاختصار، وضرورة ملحة في بعض أشكال المنجز اللغوي طلبا للخفة وغرضا للبلاغة، ومن ذلك أيضا حذف معمول "لات" التي تعد حرفا مرة وفعلا أخرى.

"فلات في الأصل تدل ماضٍ بمعنى نقص نحو قوله تعالى: {لا يَلِتْكُمْ مِنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئًا} [الحجرات: 14]... وقيل هي (لا) زيدت عليها تاء التأنيث للمبالغة نحو: {وَلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ} [ص: 03]. وشرط عملها عمل ليس"[2].

جاء في الكشاف: "لا يلتكم، لا ينقصكم، ولا يظلمكم، يقال: ألتهُ السلطان حقه أشد الإلت، وأما الشاهد في قوله: {وَلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ} [ص:03]. لات هي لا المشبهة بليس، زيدت عليها تاء التأنيث كما زيدت على رب، وثم للتوكيد، وتغير بذلك حكمها، حيث لم تدخل إلا على الأحيان، ولم يبرز إلا أحد مقتضيّها إما الاسم وإما الخبر، وامتنع بروزهما جميعا وهذا مذهب الخليل وسيبويه، وحين مناص منصوب بها كأنك قلت ولا حين مناص لهم"[3].

كما يذكر فاضل السامرائي ذلك بقوله: "والذي نراه أنها لا زيدت عليها التاء لتخصيصها بأحكام، فهي أكثر ما تستعمل في نفي الزمن، وقيل ندم البغات ولات ساعة مندم، وقال آخر: طلبوا صلحنا ولات أوان، وقد تستعمل في غيره نحو: قوله: ينبغي جوارك حين لات مجيب"[4].

---

[1]– الزمخشري، الكشاف، ج4، مرجع سابق، ص491.

[2]– علي توفيق، يوسف جميل الزغبي: المعجم الوافي في النحو العربي، دار الجيل، بيروت، دت، ص274.

[3]– الزمخشري، الكشاف، ج5، مرجع سابق، ص241.

[4]– فاضل صالح السامرائي: معاني النحو، شركة العاتك لصناعة الكتاب، القاهرة، دت، ص236.

"حين مناص منتصب بها، وعن الأخفش: "أن ما ينتصب بعده بفعل مضمر، أي ولا أرى حين مناص، ويرتفع بالابتداء أي ولا حين مناص كائن لهم"[1]، ذلك أن الحذف الواقع في الآية في العامل أو المعمول إنما هو أسلوب يحقق الخفة ويميز لغة القرآن بالتيسير، ودلالة ذلك أن الحين يوم القيامة لا مفر فيه للمجرمين وهو وقت صارم وحاسم.

ومواضع التخفيف في التركيب اللغوي حذفا أو اختصارا كثيرا خاصة في القرآن الكريم لحكمة الله في ذلك، ولميزة في النص ولغة القرآن، "ومن ذلك قوله تعالى: {إِذَا السَّمَاءُ انْشَقَّتْ} [الانشقاق: 01]... على تفسير الفعل المذكور لفعل محذوف، والتقدير إذا انشقت السماء انشقت، وإعراب السماء فاعل مرفوع يفسره الفعل بعده، وكذلك الحذف في قوله تعالى: {يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ إِنِ امْرُؤٌ هَلَكَ} [النساء: 176]. على تقدير إن هلك امرؤ هلك، ويعرب امرؤ كذلك فاعل لفعل محذوف يفسره ما بعده.

وقوله تعالى: {وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ} [التوبة: 06]. بتقدير إن استجارك أحد استجارك وذلك أن يكون الفاعل مفوصلا عنه مرفوعا به"[2].

قال الشاعر:

إذا ما الغائبات برزن يوماً وزجّجن الحواجب والعيون

والشاهد في العيون، فإن هذه الكلمة لا تصلح أن تكون معطوفة على ما قبلها، عطف مفرد على مفرد لانتفاء اشتراك المعطوف وهو العيون مع المعطوف عليه وهو الحواجب في العامل وهو زججن، لأن الترجيح الذي هو التدقيق والترقيق بالمعية هاهنا لا يفيد شيئا، ولذلك أوجب فيه المؤلف تبعا لجماعة من النحاة واحد من أمرين، فأما

[1]– الزمخشري، الكشاف، ج5، مرجع سابق، ص241.

[2]– ابن جني، الخصائص، ج2، مرجع سابق، ص380.

إن تضمن العامل زججن معنى فعل آخر يصلح تسليطه عليها مثل جملن، وحسّن ونحوهما... وإما تجمل العيون مفعولا به لفعل محذوف"[1].

ويتضح أن الحذف الواقع فيما سبق إما لطول في الكلام أو لتضارب في المعنى، وفي جميع الحالات يقع التخفيف كوسيلة لضبط النظام اللغوي وشبك المنجز اللغوي على مستوى قواعد النحو أو المستوى اللساني التركيبي.

[1]– ابن هشام الأنصاري: شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، دار الطلائع، بيروت، 2004، ص242.

4. المستوى الدلالي:

لقد اتسع مجال البحث في علم الدلالة للغة في مجال الألسنية بوجه عام، فكان البحث بمنهج وصفي آني هو منهج يأخذ دراسة اللغة من جانب بنيتها الداخلية، باعتبار اللغة نظام من العلامات والرموز اللسانية، أو مجموعة من الأصوات الدالة، يعرفه بعضهم بأنه "علم المعنى أو العلم الذي يدرس علم المعنى، أو ذلك الفرع من علم اللغة الذي يتناول نظرية المعنى أو ذلك الفرع الذي يدرس الشروط الواجب توافرها في الرمز حتى يكون قادرا على حمل المعنى"[1].

كما يظهر مفهوم الدلالة عند الأصوليين منهم أبو حامد الغزالي الذي استنبط أحكامها من القرآن الكريم خاصة واستند فيها إلى أسس نظرية توجيه واضحة في كتابه المستضفي في علم الأصول، "وتعود هذه النظرية بأسسها إلى فهم عمق الدلالة بوضعها لتطبق في فهم النصوص الشرعية"[2].

كما يذكر الغزالي أصنافا لمعانٍ ودلالات يسميها بمصطلحاته الأصولية الخاصة كما يلي: دلالة الإشارة ودلالة الاقتضاء، وفحوى الخطاب، والتي يسميها علماء الدلالة باصطلاحات تقابلها كالمعنى الإشاري، وكذا الاتساعي، والمعنى السياقي.

وكل دلالة عند الغزالي قد تنقسم إلى دلالات فرعية، فيقول في تعريف دلالة الاقتضاء: "وهو الذي لا يدل عليه اللفظ، ولا يكون منطوقا به، ولكن يكون من ضرورة

---

[1]– أحمد عمر مختار، علم الدلالة، مرجع سابق، ص11.

[2]– منقور عبد الجليل: علم الدلالة، أصوله ومباحثه في التراث العربي، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2001، ص31.

اللفظ، إما من حيث لا يمكن كون المتكلم صادقا إلا به، أو من حيث يمتنع وجود الملفوظ شرعا إلا به، أو من حيث يمتنع ثبوته عقلا إلا به"[1].

فإذا كان علماء الأصول ومن بينهم الغزالي والفارابي غيرهم يركزون في علم الدلالة على ما أسموه بدلالات الإشارة، وفحوى الخطاب، وكذلك دلالة الاقتضاء، وهي الدلالة التي ترادف الحذف ودلالته، كما أنها الظاهرة المناسبة التي تدرس ما يقدر مما خفي بالإضمار أو الإيجاز أو ما حذف وفهمه من خلال السياق، والذي يؤكده الغزالي بقوله: "بأن فهم غير المنطوق به من المنطوق بدلالة سياق الكلام ومقصوده"[2].

كما أنه تم التأكيد في أكثر من موضع على أن "السياق هو الأساس في بيان طبيعة المحذوف والاستدلال عليه والكشف عن الأسباب التي دعت إلى حذفه، وهي كذلك الأسباب التي يدعو إليها السياق ذاته بل يلزم بها، "وليس شيء من ذلك إلا عن دليل"[3].

أما الغربيون فقد "تركز البحث عندهم فيما أسموه بعلم الدلالة الذي يتميز بوضوح من علمين آخرين يندرجان مع علم الدلالة تحت علم العلامات، وهما علم التركيب وعلم التخاطب، وقد تمخض عن بحوثهم في علم الدلالة بعض النظريات منها نظرية الإشارة والنظرية السلوكية، ونظرية السياق، ونظرية التحليل التكويني للمعنى، ونظرية الحقول الدلالية"[4].

ومثار الاهتمام في المستوى الدلالي المراد البحث فيه حول ظلال المعاني أو معاني خافية لتلك الظواهر الخافية المتجلية في الأذهان وفق سياقاتها، وجب إعمال

---

[1]- أبو حامد الغزالي: المستضفي من علم الأصول، قدم له وحقق نصه وضبطه، وترجمه إلى الإنجليزية: أحمد زكي حماد، دار الميمان للنشر والتوزيع، السعودية، دت، ص495.

[2]- نفسه، ص497.

[3]- ابن جني، الخصائص، ج2، مرجع سابق، ص360.

[4]- محمد يونس علي محمد: المعنى وظلال المعنى، أنظمة الدلالة العربية، دار المدار الإسلامي، ليبيا، ط2، 2007، ص416.

العقل فيها تدبرا وتفكيراً، يقول إبراهيم أنيس: "فكلما ارتقى التفكير العقلي جنح إلى استخراج الدلالات المجردة وتوليدها والاعتماد عليها في الاستعمال"[1].

"ومن ذلك قول الناس: فلان يحُلُّ ويعقد، ويأمر وينهى، ويضر وينفع، وقولهم: هو يعطي ويجزل، ويقوى ويضيف، والمعنى في جميع ذلك على إثبات المعنى نفسه للشيء على الإطلاق، وعلى الجملة من غير أن يتعرض لحديث المفعول حتى كأنك قلت: صار إليه الحل والعقد، وصار بحيث يكون منه حل وعقد وأمر ونهي، وضر ونفع، وعلى هذا القياس"[2].

جاء في قوله تعالى: {أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الأَلْبَابِ} [الزمر: 09].

جاء في الكشاف: "أنه قرئ أمن هو قانت بالتخفيف على إدخال همزة الاستفهام على من، وبالتشديد على إدخال أَمْ عليه، ومن مبتدأ خبره محذوف تقديره أمن هو قانت كغيره، وإنما حذف لدلالة الكلام عليه وهو جرى ذكر الكافر قبله، وقوله بعده هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون، وهو الشاهد، وقيل معناه أمن هو قانت أفضل أمن هو كافر"[3].

والأمر يتجلى في معنى: هل يستوي من له علم ومن لا علم له؟ من غير أن يقصد النص على معلوم، وكذلك قوله تعالى: {هُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ} [غافر: 68]، وقوله تعالى: {وَأَنَّهُ هُوَ أَغْنَى وَأَقْنَى} [النجم: 48]. والمعنى هو الذي منه الإحياء والإماتة والإغناء والإقناء، وهكذا كان كل موضع كان القصد فيه أن تثبت المعنى في

---

[1]– إبراهيم أنيس، دلالة الألفاظ، مرجع سابق، ص161.

[2]– عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، مرجع سابق، ص154.

[3]– الزمخشري، الكشاف، ج5، مرجع سابق، ص292، 293.

نفسه للشيء، وأن تخبر بأن من شأنه أن يكون منه أو لا يكون إلا منه، أو لا يكون منه، وأن العقل لا يتعدى هناك لأن تعديته تنقص الغرض، وتغير المعنى"[1].

والدلالة تكون بهذه الشاكلة منفتحة غير محصورة في معنى واحد مقصود حتى لا تخصص دون غيرها من الأشياء المعبر عنها.

فإذا كان مثلا المقصود بالعطاء هو شيء بعينه دون غيرها كان ذلك تقصيرا للمعنى، وكان الغرض ما احتواه الإعطاء لا الإعطاء نفسه، ذلك أن الله تعالى هو المعطي لكل شيء يخطر على البال يخصُ الإنسان وغيره من المخلوقات وأن عطاءه غير محدود.

ومن الدلالات كذلك ما يقتضيه السياق في حذف حرف النداء مثلا: في قوله تعالى: {يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا وَاسْتَغْفِرِي لِذَنْبِكِ إِنَّكِ كُنْتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ} [يوسف: 29].

ورد في الكشاف: "يوسف حذف منه النداء لأنه منادى قريب مقاطن للحديث، وفيه تقريب له وتلطيف لمحله (أعرض عن هذا)، الأمر واكتمه ولا تحدث به (واستغفري) أنت (لذنبك) أنك كنت من الخاطئين من جملة القوم المعتمدين للذنب"[2].

حذف الأداة خُضوعا لأحداث السياق الذي ينم عن الفضيحة والحدث المعيب لرجل يجد امرأته في موقف رديء، ويجد نفسه هو في موقف الحرج والعار يحتاج منه إلى اتخاذ موقف يستلطف يوسف عليه في موقفه الكريم ودفعه مراودة زوليخة إياه عن نفسها بأباء وإيماء بحذف حرف النداء، "فكأنه يهمس في مسمع يوسف حذرا من أن يسمعه أحد زيادة على ما في الحذف وملاطفة للمنادى وإيماء خفي له بإضمار إلى

[1]– عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، مرجع سابق، ص154.

[2]– الزمخشري، الكشاف، ج3، مرجع سابق، ص284، 285.

كله وكتمانه والحرص على أن لا يذاع، فضلا عن إلغاء الحذف بقرب يوسف وتفطنه للحديث"[1].

فالدلالة على الحذف المحقق للتخفيف تكمن بالقرينة العقلية أن اللوم لا يقع على يوسف عليه السلام، إنما يقع على صاحب المراودة أيا كان جنسه.

وأنه هنا واقع على امرأة العزيز بدليل أنها شغفت حباً، وهي من موقعها كانت على مقدرة من دفع نقيصة المراودة عن نفسها والتخلص منها، فكان التناسب بالحذف لحرف النداء.

كما أن السياق ذاته يورد حذف المنادى مع حرف النداء مثل قوله تعالى: {وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ} [إبراهيم: 06]. حذف النداء وحرف المنادى (يا قوم) دلالة على النقيصة الملازمة لقوم سيدنا موسى لجحودهم نعم الله تعالى عليهم في مقابل ذكرها في قوله تعالى: {وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ} [المائدة: 20].

"ولما كان ما في سورة المائدة نعما جساماً وما عليها من مزيد، وهو قوله تعالى: {جَعَلَ فِيكُمْ أَنبِيَاءَ وَجَعَلَكُم مُّلُوكًا وَآتَاكُم مَّا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّنَ الْعَالَمِينَ} [المائدة: 20]. صرح فقال يا قوم، ولموافقة ما قبله ما بعده من النداء... ولم يكن في سورة إبراهيم بهذه المنزلة فاقتصر على حرف الخطاب"[2].

والتخفيف في مثل هذه المواقف يكثر لكثرة دورانه على الألسنة في الكلام، وعلى سبيل "قصد البيان بعد الإبهام كما في فعل المشيئة نحو قوله تعالى: {وَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ} [النحل: 09]. أي لو شاء هدايتكم فإنه سمع السامع (ولو شاء)، تعلقت نفسه

[1]– هادي نهر، علم الدلالة التطبيقي في التراث العربي، تقديم: علي الحمد، دار الأمل للنشر والتوزيع، الأردن، ط1، 2007، ص

[2]– نفسه، ص438.

بمشيئتهم عليه، لا يدري ما هو، فلما ذكر الجواب استبان بعد ذلك"[1]. ذلك أن المفعول المحذوف لفعل المشيئة يدل على قدرة الخالق وتفرده بالفعل المقصود وهو الهداية، فهو يهدي من يشاء ويظل من يشاء ذلك حكمه الماضي في عباده.

وبالعودة إلى قصة سيدنا موسى عليه السلام والدلالة الواردة في مستوى أحداثها نرى في قوله تعالى: {وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ ٱلنَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ ٱمْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِى حَتَّىٰ يُصْدِرَ ٱلرِّعَآءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰٓ إِلَى الظِّلِّ} [القصص: 23-24].

وقد أورد الزمخشري في الكشاف حصرا بقوله: "فإن قلت لم ترك المفعول غير مذكور في قوله يسقون، تذودان ولا نسقى، قلت لأن الغرض الفعل لا المفعول، ألا ترى أنه إنما رحمهما لأنهما كانتا على الذياد"[2].

والدلالة الواضحة في ذلك إنما هي كامنة في تلك المفاعيل به المحذوفة للأفعال المذكورة، "فيها حذف مفعول في أربعة مواضع إذ المعنى:

- وجد عليه أمه يسقون (أغنامم ومواشيهم).
- وامرأتين تذودان (غنمهما).
- وقالتا: لا نسقي (غنمنا).
- فسقى لهما (غنمهما).

ولو تأملنا سياق النص الكريم لوقفنا على الآتي:

أن الناس كانوا في حالة سقي، وأن هناك امرأتين تذودان لم تستطيعا السقي، وأن هاتين الامرأتين بانتظار وانتهاء الرعاة من السقي، وأنه كان من موسى عليه السلام بعد ذلك السقي، فأما ما كان السقي أغناما أم إبلا أم غير ذلك فخارج عن

[1]- جلال الدين السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، ج3، مرجع سابق، ص141.

[2]- الزمخشري، الكشاف، ج4، مرجع سابق، ص491.

العرض، وموهم بخلافه، وذلك أنه لو قيل: وجد من دونهم امرأتين تذودان غنمهما جاز أن يكون، لم ينكر الذود من حيث هو الذود، بل من حيث هو ذود غنم، لو كان مكان الغنم إبل لم ينكر الذود"[1].

وأما سبب هذا التخفيف أو دليل التغير من حال إلى آخر في القراءات يبرزه استثقال اجتماع اليائين المشددتين مع الكسرة في كلمة واحدة كما سبق في الميّت، وكذلك الضّيق والميّت ـ الميت المشددة أصلها الميُوت على وزن فَيْعَل، فاجتمعت الياء والواو وسيقت إحداهما بالسكون، قلبت الواو ياء وأدغمت فيها الياء التي قبلها فصارت الميّت بالتشديد طبعا، فلما كان اجتماع الياءين المضعفتين مستثقلا عندهم مع الكسرة السابقة عليهما، مالوا إلى التخفيف بحذف الياء الثانية المنقبلة عن الواو، لأن الثقل رفع بها فأعلت بالحذف كما أعلت بالقلب"[2].

وكذلك كان الاستثقال في كثير من الألفاظ مثل: إيَّا من إياك نعبد وإياك نستعين، ففي إيّا استثقال اجتماع يائين مضعفتين مع كسر سابق لها، وكذلك الأمر في الحواريّين... وإنما يفك هذا الحرج في الثقل عند القراءة بحذف إحدى الياءين طلبا للخفة والتيسير بالكلمة إلى اليسر والسهولة.

ولذلك كانت القراءة تختلف بين الضم والفتح في نفس الكلمة التي تحمل موضع النطق الأولى الضم، ثم القراءة بالحركة الثانية مع تغير كذلك بإبدال الحرف بحرف آخر قريب له في المخرج أو بعيدة كاللام والهاء، ومن الأمثلة على ذلك لفظ ليزلقونك، قرئ بضم الياء وفتحها وتغير اللام هاء، وهذا المثال قراءة يحقق الاختلاف في القراءة مع الاختلاف في المعنى، لا يمكن الخروج عليه.

---

[1]– هادي نهر، علم الدلالة التطبيقي، مرجع سابق، ص433، 434.

[2]– ينظر: عبد القادر رسيلا، الظواهر الصوتية، مرجع سابق، ص519.

حيث أورده الزمخشري تفسيرا لقوله تعالى: {وَإِن يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَارِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ (51) وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ} [القلم: 51]. "إن مخففة من الثقيلة واللام عملها، وقرئ ليُزْلَقونك بضم الياء وفتحها، زلقه وأزلقه بمعنى يقال زلق الرأس وأزلقه حلقه"[1].

وما كان زلق وإزلق بمعنى واحد هو حلق الرأس أي أنهما أي اللفظان ليُزلقونك، وليَزلقونك ضما وفتحا تعودان إلى معنى الحلق، وذلك لتحقيق مخالفة الحركة وثبوت المعنى، وأما قوله: "وقرئ ليزهقونك من زهقت نفسه وأزهقها يعني أنهم من شدة تحديقهم، ونظرهم إليك شزراً بعيون العداوة والبغضاء يكادون يزلقون قدمك أو يهلكونك، من قولهم نظر التي نظرة يكاد يصرعني ويكاد يأكلني أي لو أمكنه بنظره الصرع أو الأكل لفعل"[2].

ومما سبق يتضح إنه في الحالة الأولى أي القراءة بالضم والفتح فهو تغير الحركات ولا تغيّر في المعنى والصورة أي اللفظ، ذلك تحقيق للخفة وسهولة القراءة والمعنى واحد، أما الحالة الثانية فهو اختلاف في صورتي الكلمتين بإحلال حرف مكان آخر، وهو إبدال الهاء مكان اللام والأول باللام ويعني الحلق للرأس وإزالة الشعر في زلق وأزلق، والثاني في زهق وأزهق ويعني الهلاك وذلك أن الزلق بالبصر قد يؤدي إلى الهلاك والضرر.

[1]- الزمخشري، الكشاف، ج6، ص193.

[2]- نفسه، ص193.

5. التخفيف بإسقاط الحرف من الكلمة:

1.5. تخفيف الهمزة:

الهمزة صوت له أهمية بالغة لما به من خصوصية في الصفة والمخرج، لذلك أفردت له أبواب في كتب اللغة العربية، وانشغل بها تفكير اللغويين القدامى وعلى رأسهم الخليل وتلميذه سيبويه، وكذلك ابن جني في كتابه سر صناعة الإعراب، حيث أعطى الفراهيدي لها وصفا بالمهتوتَه المضغوطة، وأطلق عليها سيبويه قوله: "بأنها نبرة في الصدر تخرج هذه النبرة باجتهاد وعناء، والنبر يعني الضغط"[1].

وأما ابن جني فقال: "اعلم أن الهمزة حرف مجهور وهو في الكلام ثلاثة أضرب: أصل، وبدل، وزايد، ومعنى قولنا: أصل أن يكون الحرف فاءَ الفعل أو عينه أو لامه، ومعنى قولنها زائد أن يكون الحرف لا فاء الفعل ولا عينه، ولا لامه، والبدل أن يقام حرف مقام حرف إما ضرورة أو استحسانا وصنعة"[2].

وبنأينا قليلا عن إشكال خلط القدامى الهمزة بالألف، وفهمهم وكذا وعيهم النطق بالألف من جهة والهمزة من جهة أخرى، واعتمادهم على التردد والتكرار في وضعهم لموضع الهمزة ومخرجها وطبيعة نطقها بمقابل اعتماد المحدثين علم التشريح الدقيق وفصلهم بين الهمزة والألف، فإن البحث سيقف على الهمزة كصوت ضعيف من الوجهة الوصفية النظرية، لا من الوجهة النطقية التحليلية، فالوصت حاصل فيها من عدم استقرارها وثبوتها على حال واحد، فمرة تحذف ومرة تقلب وأخرى تسهّل"[3].

---

[1]– ينظر: محمد عبد الله، ظاهرة التخفيف في اللغة العربية، مرجع سابق، ص26.

[2]– ابن جني، سر صناعة الإعراب، مرجع سابق، ص69.

[3]– محمد عبد الله، ظاهرة التخفيف في اللغة العربية، مرجع سابق، ص29.

"وإن العرب لم تسلب الهمزة حركتها إلاّ للتخفيف"[1]، ذلك موافقة لقانون السهولة والتيسير، فتكون الهمزة مخففة حذفا، وتسهيلا وبين بين، أو قلبا، ولا يقع في أول الكلمة لأن الابتداء مخفف.

ففي قوله تعالى: {واللهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لا تعلمونَ شيئًا وجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَالأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ} [النحل: 78].

جاء في الكشاف: "قرئ (أمهاتكم) بضم الهمزة وكسرها والهاء مزيدة في أمات، كما زيدت في أراق فقيل أهراق وشذت زيادة في الواحدة، قال من الرجز أمَّهَتِي خِندِفُ واليَاسُ أبي"[2].

وقال بن عطية: "وأمهات أصله أمات وزيدت الهاء مبالغة وتأكيدا، وقرأ الأعمش (في بطون امهاتكم) بحذف الهمزة وكسر الميم مشدد، وقرأ ابن أبي علي بحذف الهمزة وفتح الميم مشددة.

وقال ابن عطية: وقرأ عمر بن عبد الواحد (أنِ ارْضِعيه) وذلك حذف الهمزة اعتباطا لا تخفيفا في قوله تعالى: {وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ} [القصص: 07]"[3].

والعلة في الحذف المذكور غير قياسي، فهو اعتباطي كما أسماه بعض العلماء، إذ لو أتبع القياسي لكان بتحويل حركة الهمزة إلى الحذف قبلها شرط سكونه فتكون مفتوحة كما في قراءة (أنَ ارضعيه)، بإلقاء حركة الهمزة على الساكن قبلها ثم حذف الهمزة.

وكذلك حذف الهمزة من الفعل المضارع يرى من قوله تعالى: {أَلَمْ يَعْلَمْ بِأَنَّ اللَّهَ يَرَى} [العلق: 14].

---

[1]– ابن جني، سر صناعة الإعراب، مرجع سابق، ص82.

[2]– الزمخشري، الكشاف، ج3، مرجع سابق، ص458.

[3]– عبد القادر رسيلا، الظواهر الصوتية في اللغة العربية، مرجع سابق، ص780، 781.

جاء في الكشاف: "فإن قلت ما متعلق أرايت؟ قلت الذي ينهى مع الجملة الشرطية وهما من موضع المفعولين، فإن قلت أين جواب الشرط قلت هو محذوف تقديره، إذ كان على الهدى أو أمر بالتقوى ألم يعلم بأن الله يرى؟ وإنما حذف لدلالة ذكره في جواب الشرط الثاني"[1].

فيرى أصلها يرْأى جاوزت الهمزة الحرف الساكن قبلها بحذف الساكن قبلها وقبل حركتها فصارت يرَأى وتقلب الهمزة ألفا لانفتاح قبلها وهو من شروط حذفها أن يكون ما قبلها ساكن، فالتقى بذلك ساكنان الراء ساكنة والألف ساكنة، فتحذف الألف تخلصا من ثقل الساكنين، فتصير يرى، وهكذا تكون في كل تصريفاتها.

وفي قوله تعالى: {مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَافِرِينَ} [البقرة: 98].

ورد في الكشاف: "قرئ جبرئيل بوزن قفشليل، وجبرئل، وجبرالّ بلام شديدة، وجبرائيل بوزن جبراعيل، وجبرائل بوزن جبراعل، ومنع الصرف فيه للتعريف، والعجمة وقيل معناه عبد الله"[2].

وفي قوله تعالى: {سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ} [المعارج: 01].

جاء في الكشاف في المعنى: "ضمن سأل معنى دعا معدي تعديته كأنه قيل: دعا داعٍ (بعذاب واقع)، وقرئ سال سائل وهو على وجهين، إما أن يكون السؤال وهي لغة قريش يقولو: سلت تسال وهما يتسايلان، وأن يكون من السيلان، ويؤيده قراءة بن عباس سال سيل والسيل مصدر في السائل كالغور من الغائر والمعنى اندفع عليهم وادي عذاب فذهب بهم وأهلكهم"[3].

---

[1]- الزمخشري، الكشاف، ج6، ص405.

[2]- نفسه، ج1، ص301، 302.

[3]- نفسه، ج6، ص205.

والملاحظ أن القراءات اختلفت في تخفيف الهمزة وتحقيقها "فقال بعضهم من سأل الهمزة إلا أن الهمزة سهلت"[1].

كماء جاء في قوله تعالى: {سَلْ بَنِي إِسْرَائِيلَ} [البقرة: 211].

"إنما كانت سأل فلما خففت الهمزة طرحت حركتها على السين وأسقطتها، فتحركت السين، فسقطت ألف الوصل"[2].

ومرد إسقاط الهمزة هاهنا هو الحرف الذي قبلها ساكن في (سَلْ بني اسرائيل)، وأصلها اسأل، فتقلب حركة الهمزة إلى الحرف قبلها، والتقاء الساكن بالساكن قبلها فيسقط الوصل، وبذلك تسقط الهمزة لتخفيف النطق وتحقيق الخفة.

وفي قوله تعالى: {فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الموت مَا دَلَّهُمْ على مَوْتِهِ إِلاَّ دَابَّةُ الأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ ٱلْجِنُّ أَن لَّوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ ٱلْغَيْبَ مَا لَبِثُواْ فِي ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ} [سبأ: 14].

مركز دائرة الحديث عن موت سيدنا سليمان عليه السلام، لفظة منسأته التي كشفت للجن موته، وعلاقة أكلها بنهاية حياته مؤشر لعدم علم الجن بالغيب، وفي ذلك يقول الزمخشري مفسيرا: "المنسأة العصا، لأنه ينسأ بها أي يطرد بها ويؤخر، وقرئ بفتح الميم، وبتخفيف الهمزة قلبا وحذفا وكلاهما ليس بقياس، وإنما إخراج الهمزة بين، بين هو التخفيف القياسي، ومنساءته على مفعالة، كما يقال في الميضأة، ميضاءة، ومن سأته على طرف عصاه سميت بسأة القوس على الاستعارة"[3].

وأما إسقاط همزة من اللفظة هو إنقاص منها لجزء نطقي دلالة على نقص العلم (لدى المخلوقات) بالشيء، إذ الغيب من اختصاص المولى عز وجل.

---

[1]– عبد القادر رسيلا، الظواهر الصوتية في اللغة العربية، مرجع سابق، ص761.

[2]– المبرد، المقتضب، ج1، مرجع سابق، ص186.

[3]– الزمخشري، الكشاف، ج5، مرجع سابق، ص113.

وتقلب الهمزة إلى أحد حروف العلة، وهي أقرب إليها لعدم استقرارها، كما الهمزة في عدم ثبوتها على حال واحدة، ومنها قلبها إلى الياء في مثل: بئر- بير، وشئتم - شيتم، ومثل قوله تعالى: {إِنِّي لَيَحْزُنُنِي أَن تَذْهَبُوا بِهِ وَأَخَافُ أَن يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ} [يوسف: 13]. وقرئ ياكله الذيب[1].

بمعنى أن تنقل الهمزة ياء ذلك بسبب سكونها وكسر ما قبلها، والدلالة إن الخوف نقيصة في الإنسان جعل سيدنا يعقوب يسقط الهمزة من المخيف بذكره دونها مناسبة لما شق عليه مفارقة ابنه، "وأن الهمز يدل على الجوفية وعلى ما هو وعاء للمعنى، ويدل على الصفة تصير طبعاً"[2].

وإن كانت ساكنة وقبلها فتحة قلبت ألفا نحو: راس في رأس، وباس في بأس، وذكر الزمهشري في الكشاف: "في قوله تعالى: {فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ} [الحديد: 25]. أن البأس هو القتال به وما من صناعة إلاّ والحديد آلة فيه"[3].

وصوت الهمزة ينتج عن انطباق الوترين الصوتين انطباقا تاما، فيكون صوتا صامتا، حنجريا انفجاريا لا هو مهموس ولا هو مهجور كما سبق ذكر ذلك.

ويدل حرف الهمزة على الجوفية، وعلى ما هو وعاء للمعنى، ويدل على الصفة تصير طبعاً، ويقال أن الهمزة ليس لها معنى لغوي مستقل، بل يظهر معناها في غيرها، ومن أجل ذلك خففها الحجازيون بتسهيل نطقها أو حذفها تماما، ويؤكد حرف الهمزة معنى ما يصحبه من تركيب"[4].

---

[1]- عبد القادر رسيلا، الظواهر الصوتية في اللغة العربية، ص763.

[2]- زكي بغدادي وآخرون: منظومة الحروف العربية، مباحث لغوية، مركز الملك عبد الله بن عبد العزيز لخدمة اللغة العربية، الرياض، دت، ص57.

[3]- الزمخشري، الكشاف، ج6، مرجع سابق، ص52.

[4]- زكي بغدادي، منظومة الحروف العربية، مرجع سابق، ص57.

وذلك لتحقيق ظاهرة التخفيف وتتغير الهمزة حرفا غير حروف العلة كذلك، ولأن الهمزة يصعب إخراجها لبعد مخرجها مع ما فيها من شدة وقوة وجهر وانفجار كعلة صوتية، فهي قابلة أن تبدل بحرف الهاء الخفيف الذي يتسم بالخفة، والضعف والهمس والرخاوة مع أنها تشارك الهمزة في المخرج، ويعني ذلك الانتقال من الشدة للضعف والخفة، ومن الصعوبة إلى السهولة والتيسير، جاء في قوله تعالى: {هَا أَنتُمْ هَؤُلَاءِ حَاجَجْتُمْ فِيمَا لَكُم بِهِ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَاجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُم بِهِ عِلْمٌ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ} [آل عمران: 66].

جاء في الكشاف: "الهاء للتنبيه وأنتم مبتدأ، وهؤلاء خبره، وحاججتهم جملة مستأنفة مبنية للجملة الأولى، ويعني هؤلاء الأشخاص الحمقى، وبيان حماقتكم، وقلة عقولكم أنكم جادلتم... وعن الأخفش ها أنتم هو أأنتم على الاستفهام فقلبت الهمزة هاء ومعنى الاستفهام التعجب من حماقتهم"[1].

ويقول بن يعيش: "فأما إبدالها من الهمزة يعني لمّا استثقلوا الهمزة أبدلوها هاء، فقد أبدلوها منها إبدالا صالحا على سبيل التخفيف، إذ الهمزة حرف شديد مستقل، والهاء حرف مهموس خفيف، وذلك وفقا للسماع ولم يذكر أنه أبدل على سبيل القياس"[2]. وبذلك تكون همزة بين بين شبيعة بالهاء.

تلك أمثلة التخفيف في الحركات والهمزة كنماذج لذلك، وسنعمد إلى تحقيق الظاهرة (ظاهرة التخفيف) بإسقاط أو حذف الحرف من الكلمة، ونستهل ذلك بحذف التاء من الكلمة أو كصوت من الكلمة.

---

[1]– الزمخشري، الكشاف، ج1، مرجع سابق، ص567، 568.

[2]– ينظر: عبد القادر رسيلا، الظواهر الصوتية في اللغة العربية، مرجع سابق، ص770.

2.5. إسقاط التاء من الكلمة:

قال تعالى: {عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ أَن جَآءَهُ ٱلۡأَعۡمَىٰ وَمَا يُدۡرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ أَوۡ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ ٱلذِّكۡرَىٰٓ أَمَّا مَنِ ٱسۡتَغۡنَىٰ فَأَنتَ لَهُۥ تَصَدَّىٰ وَمَا عَلَيۡكَ أَلَّا يَزَّكَّىٰ وَأَمَّا مَن جَآءَكَ يَسۡعَىٰ وَهُوَ يَخۡشَىٰ فَأَنتَ عَنۡهُ تَلَهَّىٰ} [عبس: 01-10].

جاء في الكشاف: "المعنى أن ابن أبي مكتوم أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم، وعنده الصناديد عتبة وشيبة وأبو جهل، والعباس بن عبد المطلب وغيرهم من كبراء قريش يدعوهم إلى إلى الإسلام، فقال يا رسول الله اقرئني مما علمك الله، وكرّر ذلك وهو لا يعلم تشاغله بالقوم فكره رسول الله صلى الله عليه وسلم، قطعه لكلامه وعبس وأعرض عنه فنزلت السورة، فكان رسول الله صلى الله عليه يقول إذا رآه مرحبا بمن عاتبني فيه ربي، ويقول له هل لك حاجة؟ واستخلفه على المدينة مرتين، وروي أنه صلى الله عليه وسلم ما عبس بعدها في وجه فقير قط ولا تصدى لغني"[1].

الأفعال وردت في الآيات بهذا الترتيب: يزّكى، يذّكر، تصدى، تلهى، على غير أصل لها ومخالفة له.

فالأصل فيها: يتزكى، يتذكر، تتصدى، وتتلهى، ومعانيها وردت في تفسير الكشاف كما يلي:

- يزكى، لعله يزّكى، أي يتطهر بما يتلقن من الشرائع أو من بعض أوضاع الإثم..
- أو يذكر، يتعظ، فتنفعه ذكراك، أي موعظتك، وتكون له لطفا في بعض الطاعات، والمعنى أنك لا تدري ما هو مرتقب منه من تزكٍ أو تذكر، ولو دريت لما فرط ذلك منك، وقيل الضمير في لعله للكافر يعني: أنك طمعت في أن يزكى بالإسلام ويتذكر فتقربه الذكرى إلى قبول الحق، وما يدريك ما طمعت فيه كائن...

[1]- الزمخشري، الكشاف، ج6، مرجع سابق، ص313، 314.

- تصـدّى، تتعـرض بالإقبـال عليـه، والمصـاداة المعارضـة، وقـرئ تصَـدّى بالتشـديد بإدغام التاء في الصاد، وقرأ أبو جعفر بضم التاء أي تَعرّض، ومعناه يدعوك داع إلى التصدي له...
- تلهّى، تتشاغل من لهى عنه، والتهى وتلهى، وقرأ طلحة ابن مصرف: تتلهى، وقرأ أبو جعفر تلهى أي يلهيك شأن الصناديد... فإن قلت قوله فأنت له تصدى، (فأنت عنه تلهى) كأن فيه اختصاصا قلت نعم، ومعناه إنكار التصدي والتلهي عليه أي مثلك لا ينبغي له أن يتصدى للغني ويتلهى عن الفقير"[1].

اكتفت الأفعال المذكورة بتاء واحدة أو ياء واحدة مع فهم أصل الأفعال في سياقاتها، وعلى اعتبار قاعدة العرب التي تمج التقاء المثلين تقاربا أو تجاورا، فإن حذف هذه التاء جائز وتعرف كأن لم تكن على أصلها أو على الحال التي هي عليها.

أما من ناحية المعنى الصوتي أي التفسير الصوتي، فإن التاء أو الياء المضارعة زيدت على فاء تَفعّل، وتفاعل فأصبحت تتفاعل تتفعل كما في يتزكى، وتتلهى، وتتصدى، "فإن اجتماع ياءين أو تاءين مع حروف مقاربة لها ثقل على اللسان"[2].

مثل قرب التاء من الزاي، يزكّى ـ يتزكى أو مع الدال في يتذكر، وكذلك التاء والصاد والتاء واللام في يتصدى، ويتلهى (كما في غيرها من الأفعال)، في المخرج بمعنى أنها تخرج من طرف اللسان مع اختلاف الموضع، ويعزو إسقاط التاء إلى اجتماع المثلين، وهو أمر تمجه العرب التي تجنح دائما إلى ما خف وسهل وتنزع به إلى الإدغام أو الحذف، وقد حدث الإدغام في هذه الأفعال كوسيلة من وسائل الخفة، وذلك بإدغام التاء الثانية في الحرف الموالي لها، في الزاي قالوا: يزكى، وفي الذال

---

[1]– الزمخشري، الكشاف، ج6، مرجع سابق، ص214.

[2]– ينظر: عبد القادر رسيلا، الظواهر الصوتية في اللغة العربية، مرجع سابق، ص533.

قالوا: يذكر، وفي الصاد: تصدى، وفي اللام: تلهى، وإذا كان ذلك، كذلك مع أصالة التاء وزيادة حرف المضارعة، لم يكن ما يمنع الحذف طلبا للتخفيف، إذ الهدف من الإدغام هو الهدف من الخفة"[1].

"ثم أن التاء الثانية أولى بالحذف ولو لم تكن أصلية، إلا أن الثقل والتكرار حاصل بهما، والميل إلى الحذف أجدى وأنفع من الإدغام لأنه لا ينقص عن عدد الأمثال"[2].

وحذف التاء من الفعل استطاع في قوله تعالى: {فَمَا اسْطَاعُوا أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا} [الكهف: 97].

يذكر الزمخشري: "فما اسطاعوا بحذف التاء للخفة لأن التاء قريبة المخرج من الطاء، وقرئ فما اصطاعوا بقلب السين صاداً، وأما من قرأ بإدغام التاء في الطاء فملاق بين ساكنين على غير الحد، أن يظهروه أن يعلوه أي لا صلة لهم فيه من صعود لارتفاعه والملامسة، ولا نقب لصلابته وثخأنته"[3].

ويعزا هذا الحذف كذلك للقراءات، "فقرأت فقرة فما اسْطاعوا بسكون وتخفيف الطاء، وقرئ بالتشديد فلم يحدث فيها حذف وإنما تدغم في الطاء"[4].

وفي كلا الحالتين يقع التخفيف تيسيرا للنطق، ودلالة إسقاط التاء في مقابل ضعفهم وخور قواهم من أن يظهروه، وكذا سرعة الإنسان وقلة صبره وقلة حيلته وتدبره، أما بقاؤها إدغاماً تدل على قوتهم وشدة شوكتهم، ومع ذلك لم يقووا على نقبه.

---

[1]- ينظر: عبد القادر رسيلا، الظواهر الصوتية في اللغة العربية، مرجع سابق، ص544.

[2]- نفسه، ص526.

[3]- الزمخشري، الكشاف، ج3، مرجع سابق، ص616.

[4]- عبد القادر رسيلا، الظواهر الصوتية في اللغة العربية، مرجع سابق، ص544.

3.5. إسقاط النون من الكلمة:

ورد في الكشاف تفسير قوله تعالى: {أَبَشَّرْتُمُونِي عَلَىٰ أَن مَّسَّنِيَ الْكِبَرُ فَبِمَ تُبَشِّرُونَ} [الحجر: 54].

والشاهد في "فبم تبشرون هي استفهامية دخلها معنى التعجب، كأنه قال: فبأي أعجوبة تبشروني، أو أراد أنكم تبشرونني بما هو غير متصور في العادة، فبأي شيء تبشرون، يعني لا تبشرونني في الحقيقة بشيء لأن البشارة بمثل هذا، بشار بغير شيء"[1].

والجواب ضمن الآية التي بعدها "أي بشرناك باليقين الذي لا لبس فيه، أو بشرناك بطريقة هي الحق وهي قول الله، ووعده، وأنه قادر على أن يوجد ولداً من غير أبوين، فكيف بشيخ، فانٍ وعجوز، وقرئ تبشرون، بفتح النون وبكسرها على حذف نون الجمع والأصل تبشرونن، وتبشرونَّ بإدغام نون الجمع في نون العماد"[2].

ومثل ذلك يقع في جمع مرفوع الأفعال حين تؤكد كقوله تعالى: (لَتَرَوُنَّ ـ لَتُسْأَلُنَّ) في سورة التكاثر، والتي اجتمعت فيها ثلاث نونات، ويسمى نحويا "توالي الأمثال"، فتحذف استثقالا وحذفها كثير بالجزم والنصب، كما تحذف ضرورة في الشعر مثل قول النجاشي:

فلست بآتيه ولا استطيعه ولاك اسقني إن كان ماؤك ذا فضل

يريد لكن، والأصل لكن اسقني، فالتقى ساكنان نون لكن وسين اسقني... فلما اضطر الشاعر لإقامة الوزن حذف النون من لكن"[3].

---

[1]– الزمخشري، الكشاف، ج3، مرج سابق، ص409.

[2]– نفسه، ص409.

[3]– النجاشي: هو بن عمر من بني الحارث، قيس بن عمر بن مالك بن معاوية بن مديح بن حماس بن الحارس بن كعب بن كهلان، شاعر مخضرم، اشتهر بالهجاء.

وتعرب في هذه الحالة "أداة استدراك مبني على حركة النون المحذوفة، وتحذف نون الوقاية من الأحرف المشبهة بالفعل الستة فيما عدا ليت إلا للضرورة، كما يقع حذفها على الخيار في جميع الحروف سوى لعل التي يحدث فيها مثل قوله تعالى: {لَعَلِّي أَبْلُغُ الأسْبَابَ} [غافر: 36]"[1].

ولا يراد بإسقاط النون في أحوالهم هذه سوى التخفيف على الغالب، والترجي فيكون في الأمر الممكن المستقرب حصوله لا الحال ولا المسبتعد، فإن قلت، فقد قال الله تعالى على لسان فرعون... فالجواب إن الله تعالى قاله على لسان فرعون، على قدر عقل هذا الجاحد، فهو يقول ذلك جاهلا أن لا يكون، ولعله لعتوه وطغيانه كان يظنه قريب الحصول[2].

والشاهد في حذف نون الوقاية من الأفعال والأدوات التي هي مشبهة بالأفعال، إنما هو حاصل للاستثقال وجمع النونات ذلك أوجب التخفيف فيها بحذف النون منها، أما ليت فلا يجوز إلا اضطراراً.

كما تحذف نون الفعل الناقص "كان" وهذا وارد في القرآن الكريم، وحذف نون مضارعها المجزوم بشروط أن تكون بلفظ المضارع، وأن تكون مجزومة، وأن لا يكون موقوفا عليها ولا متصلة بضمير ولا ساكن مثل قوله تعالى: {قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا} [مريم: 20]. فحذفت النون تناسبا مع دلالة الموقف الذي تكون المرأة العفيفة لوحدها، فكانت في اضطراب بوجود الغريب عنها وسرعة رغبتها في العودة إلى أهلها جعلها تسقط الحرف من الكلمة.

---

[1]– أبو القاسم بن علي محمد الحريري: شرح ملحة الإعراب، تح: يوسف بركات العبود، المكتبة المصرية، بيروت، 2005، ص290.

[2]– ابن هشام الأنصاري: قطر الندى وبل الصدى، تأليف: محي الدين عبد الحميد، دار الفكر، بيروت، دت، ص207.

وفي قوله تعالى: {لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ} [المدثر: 43-45]. وهو جواب المجرمين سلكهم سقر، "إلا أن الكلام جيء به على الحذف والاختصار كما نهج التنزيل في غرابة نظمه... فإن قلت لم يسألونهم وهم عالمون بذلك، قلت توبيخا لهم وتحسيراً"[1].

فالبلاغة في ذلك جاء بغرض التحسر والتوبيخ، ولتكون تذكرة للعباد، وأما الدلالة لحذف النون مع أنها "حرف النون" يدل على الرقة والأناقة والجمال والاستقرار، وفي حذفها وإسقاطها كانت الدلالة متقلبة إلى الاضطراب والخوف وغيره.

وحرف النون لكثرة وروده في الكلم وأهمية وقوعه في آخر اللفظ يسهل بحذفه النطق وتنوع به الدلالة كذلك.

ومن الحذف والاختصار حذف حرف النداء كقولك: زيد تعال وعمرو اذهب، أي يا زيد، ويا عمرو، وفي قوله تعالى: {يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَا} [يوسف: 29].

جاء في الكشاف: "حذف منه النداء لأنه منادى قريب مقاطن للحديث، وفيه تقريب له وتلطيف"[2].

ودلالة إسقاط حرف النداء هو ما حزّ في نفس سيدنا يوسف من إتهام، فكان مقابله باللطافة والقول الحسن، وثم توجيه الزجر لامرأة العزيز، واستغفري ربك" بالتفات في أرقى صور البلاغة.

وكذلك يقع الحذف بظاهرة الترخيم، وهو حذف حرف أو أكثر من آخر المنادى، فتقول: في مالك يا مال، وعائشة يا عائش، ويراد بذلك التخفيف والتسهيل، "والترخيم بهذا المعنى اسم قديم فقد، روي أنه قيل لابن عباس رضي الله عنه أن ابن

[1]- الزمخشري، الكشاف، ج6، مرجع سابق، ص262.

[2]- نفسه، ج3، مرجع سابق، ص274.

مسعود رضي الله عنه قرأ: قوله تعالى: (ونادوا يا مال ليقض علينا ربك)، يا مال تحذف الكاف وكسر اللام، فقال بن عباس: ما أشغل أهل النار عن الترخيم"[1].

وفي قوله تعالى: {يا مالِكُ لِيَقضِ عَلَينا رَبُّكَ قالَ إِنَّكُم ماكِثونَ} [الزخرف: 77].

جاء في الكشاف: ".. قرأ علي وابن مسعود رضي الله عنها: يا مال بحذف الكاف للترخيم لقول القائل: من المنسرح... والحق يا مال غير ما تصف... وعن بعضهم حسن الترخيم أنهم يقتطعون بعض الاسم لضعهم وعظم ماهم فيه"[2].

والدلالة هي شدة ما هم فيه من عذاب وهول وفزع وعذاب جعلهم يسقطون الحرف من الكلمة تعبيرا عن ضعفهم وعدم قدرتهم على تحمل أهوال جهنم وعِبْرَةً للسامع، فجاء الجواب في الآية الموالية "أنكم ماكثون". استهزاء بندائهم مستحيل المنال، والله أعلى وأعلم.

[1]– أحمد ناصر أحمد ناصر: النحو الميسر، ألفا للنشر والتوزيع، مصر، ط1، 2010، ص332.

[2]– الزمخشري، الكشاف، ج5، ص456.

خاتمة

التخفيف ظاهرة لغوية لها وجود فعلي مجسد في الاستعمال والنطق في السلوك اللغوي عامة، وفي لغة القرآن الكريم خاصة، وجب الكشف عن أسرار وعبقرية نظامها مع مراعاة الخفة في سلوكها، رفضا للثقل وتوضيحا لطبيعة اللغة العربية وحقيقة بنائها، ودلالة ألفاظها.

وبعد هذا الطواف في رياض القرآن الكريم وتفسيره أمكننا تسجيل نتائج نوجزها فيما يلي:

- ✓ الأصوات وأسباب حدوثها له أثره البليغ في تجسيد ظاهرة التخفيف من ذلك اللين والخشونة والرخاوة والسعة والمميزات والصفات.
- ✓ ما وقع من لحن وانحراف لغوي كان سببا في نشأة الأصوات، ذلك ما دفع علماء اللغة العربية إلى صناعة وتصنيف المعاجم وترتيبها على أساس صوتي، مما أتاح معرفة مواطن الخفة.
- ✓ التغيرات الصوتية تحكمها عدة عوامل كاختلاف أعضاء النطق بين الأجيال المتباعدة، وأخطاء السمع، وتعامل الأصوات المستحدثة بالاشتقاق وغيرها، وتجاور الأصوات تماثلا وتقاربا، وتجانسا وإدغاما، عملت على التغيير وإحداث الظاهرة.
- ✓ جهاز النطجق له الدور الواضح في إنتاج الأصوات، وهو بطبعه يميل إلى التخفيف، وذلك بقلة عدد المقاطع، كما يتم الانسجام في تشكيلها، وكذا التخفيف من تتابع المقاطع المتماثلة بأبسط السبل وتيسيرها، ومعانيها ودلالتها.
- ✓ أسهمت القراءات القرآنية إسهامات كبيرة في توضيح كثير من المعاني والإبانة عنها، كما وسعت في مدلول كثير من الألفاظ وزادتها دقة، ومن ذلك (نشزها ونشرها)، وعملت على تيسير النقل بما يناسب الإفهام والبيئات كاعتماد الإمالة والتفخيم، ومن ثمة تيسير الأحكام وتوضيحها وتخفيفها.

- ✓ ظاهرة الإدغام أو الإعلال أو الإبدال، تشكل جزءا كبيرا في حدوث التخفيف لأنها من خصائص الأنظمة المقطعية للأصوات، مما يجعل دراسة النقل المقطعي سهلة خفيفة في معالجة الكلمات، ولأن خصوصية الكلمة القرآنية بخلاف غيرها من الكلمات العادية فإن دلالاتها تتجدد مهما طال الزمن، ذلك صنع الله الذي أتقن كل شيء.
- ✓ القوانين الصوتية سبيل لحدوث تغييرات الصوت وقيمته في إيجاد الأحكام اللغوية كالإعلال مثلا.
- ✓ القرآن الكريم حافظ للغة العربية ولا يمكن تحقيق أي تقدم علمي إلا به، ذلك أن عظمة الكلمة فيه أو خطورتها تلزم مستعملها إعمال العقل والحلم الراجح لقوله تعالى: {أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ... وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ} [إبراهيم: 26].
- ✓ القرآن الكريم مقدس تقدست به اللغة العربية وارتقت إلى مستوى الحياء لفظا واستعمالا، فكان الحظر اللغوي في كتاب الله من مناقب لغته، جاء في شكل التعبير بلفظ يحمل معاني كثيرة مسكوت عنها تحقق التخفيف في إوجز عباراتها.
- ✓ احتفاء الله سبحانه وتعالى بعربية القرآن الكريم في العديد من المواضع يذكرها صراحة بقوله تعالى: {لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ} [النحل: 103].
- ✓ تتمثل قيمة كتاب الكشاف فيما ورد فيه من مادة لغوية تتضمن آراء وتفاسير لآي القرآن الكريم، إذ أمكن عدُّه مصدراً لغويا فضلا على أنه تفسير، والتكامل بين مستويات اللغة في دراسته يؤدي إلى حصول القيمة اللسانية في علوم الصوت، والصرف، والنحو، والدلالة، وتلك حقيقة تؤيدها عديد التحيلات، وتحليلات

القدامى، وإن لم يعبروا عنها صراحة، فتأخذ شكلا تعبيريا على مستوى التمثيل المنهجي والمفهومي.

- ✓ علم التفسير له علاقة وطيدة بعلم اللغة، والدارس في مجاله لابد أن يكون ملما بذوائب اللغة وأهم مستوياتها حتى يستطيع استنباط الأحكام والدلالات المناسبة من آيات القرآن الكريم.
- ✓ التحكم بإتقان في استعمال اللغة وإنجاز الكلام أثره جودة وارتقاء في إنتاج العبارات.

وفي الأخير كان لابد من الإشارة إلى أن الدلالة أمر يتفاوت إدراكه من موضع لآخر، فمنها الجلي البيّن واضح المعالم، ومنها الخفي الذي يحتاج إلى تأمل وإعمال للعقل، كما أنه يقوم السياق بدور فعال في تحديد المعاني المقصودة في المنجز اللغوي.

فلا أدعي أني وقفت على جميع مناحي اللغة وشواردها في بحثي هذا، فإن أصبت فذاك فضل من الله وعونه، وإن أخفقت فمرده للنقص والضعف البشري.

وأسوق متقدما بأسمى معاني التقدير وأرقى عبارات الشكر للأستاذ الدكتور "الطيب جبايلي" المشرف على إنجاز هذه الأطروحة، والذي كان مرافقا وموجها طيلة مشوار هذا البحث.

كما هو الشكر موصول إلى كل من ساعدنا من قريب أو من بعيد. والحمد لله رب العالمين.

قائمة المصادروالمراجع

أولا: المصادر:

1. **القرآن الكريم:** وفق رواية حفص عن عاصم.

ثانيا: المراجع:

أ. المدونة:

1. الزمخشري: الكشاف، ج4، دار إحياء التراث، ط2، لبنان، 2001.
2. الزمخشري، الكشاف، ج1، ج2، ج3، ج5، ج6، تحقيق وتعليق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض، مكتبة العيطان، الرياض، ط1، 1998.

ب. المعاجم والقواميس:

1. إبراهيم أنيس وآخرون: المعجم الوسيط، ج1، دار إحياء التراث العربي، ط2، مادة خفف، بيروت، لبنان، دت.
2. ابن فارس: معجم مقاييس اللغة، ج3، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 1979، ص318، 319.
3. ابن منظور: لسان العرب، دار صادر، مادة خفف، مجلد 09، بيروت، دت.
4. أبو حيان الأندلسي: تفسير البحر المحيط، تح: عادل محمد عبد الموجود، علي محمد عوض، ج1، دار الكتب، لبنان، 2001.
5. راجحي الأسمر، المعجم المفصل في علم الصرف، مر: إميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت، 1997.
6. علي توفيق، يوسف جميل الزغبي: المعجم الوافي في النحو العربي، دار الجيل، بيروت، دت.

7. مجمع اللغة العربية بالقاهرة، المعجم الوسيط، ج2، (مادة قرأ)، مكتبة الشروق الدولية، مصر، ط4، 2008.
8. مجمع اللغة العربية: معجم الوجيز، دار التحرير، مصر، ط1، 1989.
9. مجمع اللغة العربية: معجم الوسيط، إخراج: إبراهيم مصطفى وآخرون، ج2، المكتبة الإسلامية للطباعة والنشر، مصر، 1972.
10. محمد مرتضى الزيدي: تاج العروس، تح: عبد المجيد قطامش، ج16، دار التراب العربي، ط1، الكويت، 2001.

ج. المؤلفات العربية:

1. إبراهيم أنيس: الأصوات اللغوية، مكتبة الأنجلو المصرية، ط5، القاهرة، 1975.
2. إبراهيم أنيس: دلالة الألفاظ، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط5، 1984.
3. ابن الجزري: طيبة النشر في القراءات العشر، ج1، تح: محمد علي الضباع، دار الكتب العلمية، بيروت، دت.
4. ابن الجزري: منجد المقرئين ومرشد الطالبين، مكتبة القدسي، القاهرة، 1999.
5. ابن القيم الجوزية: زاد المعاد في هدي خير العباد، ج5، تح: شعيب الأرناؤوط، عبد القادر الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1998.
6. ابن جني: التصريف الملوكي، تصحيح: محمد سعيد بن مصطفى النعمان الحموي، مطبعة شركة التمدن الصناعية، مصر، دت.
7. ابن جني: الخصائص، ج1، تح: محمد علي النجار، دار الكتب المصرية، القاهرة، دت.
8. ابن جني: اللمع في العربية، تح: سميح أومغلي، دار مجدلاوي للنشر، عمان، 1988.

9. ابن جني: سر صناعة الإعراب، تح: حسن هنداوي، دار العلم، بيروت، 1993.

10. ابن سينا: رسالة أسباب حدوث الحروف، تح: محمد حامد الطيان، يحي منير علم، تقديم ومراجعة: شاكر الفحام، أحمد راتب النفاخ، مجمع اللغة العربية، دمشق، 1983.

11. ابن سينا: كتاب النفس، مراجعة: إبراهيم مذكور، تح: جورج قنوايت وسعيد زايد، الهيئة المصرية العامة، القاهرة، 1975.

12. ابن عاشور: التحرير والتنوير، ج23، الدار التونسية للنشر، تونس، دت.

13. ابن عصفور الإشبيلي: الممتع في التصريف، ج2، تح: فخر الدين قباوة، دار المعرفة، بيروت، ط1، 1982.

14. ابن هشام الأنصاري: شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، دار الطلائع، بيروت، 2004.

15. ابن هشام الأنصاري: قطر الندى وبل الصدى، تأليف: محي الدين عبد الحميد، دار الفكر، بيروت، دت.

16. ابن هشام: مغني اللبيب، ج2، تحقيق: حنا الفاخوري، دار الجبل، بيروت، ط2، 1997.

17. ابن يعيش: شرح الملوكي في التصريف، تح: فخر الدين قباوة، المكتبة العربية للنشر والتوزيع، سوريا، ط1، 1973.

18. ابن يعيش: شرح المفصل، ج10، تق: إسماعيل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2001.

19. أبو القاسم إسماعيل بن عداد: المحيط في اللغة، ج6، تح: محمد حسن آل ياسين، دار عالم الكتب، القاهرة، ط1، 1994.

20. أبو القاسم الزجاجي: الإيضاح في علل النحو، تح: مازن المبارك، دار النفائس، بيروت، ط3، 1979.

21. أبو القاسم بن علي محمد الحريري: شرح ملحة الإعراب، تح: يوسف بركات العبود، المكتبة المصرية، بيروت، 2005.

22. أبو حامد الغزالي: المستضفي من علم الأصول، قدم له وحقق نصه وضبطه، وترجمه إلى الإنجليزية: أحمد زكي حماد، دار الميمان للنشر والتوزيع، السعودية، دت.

23. أبو زرعة عبد الرحمان بن محمد: حجة القراءات، تح: سعيد الأفغاني، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1997.

24. أبو قاسم محمد بن أحمد جزي الكلبي: التسهيل لعلوم التنزيل، ج1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1995.

25. أبو محمد مكي بن أبي طالب القيسي: الرعاية لتجويد القراءة وتحقيق لفظ التلاوة، تح: أحمد حسن فرحات، دار ابن كثير، بيروت، 2022.

26. أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تح: أحمد عبد الغفور عطار، (مادة دغم)، دار العلم للملايين، بيروت، 1987.

27. أحمد الهاشمي: القواعد الأساسية للغة العربية، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 1998.

28. أحمد حساني: مباحث في اللسانيات (مبحث صوتي، مبحث دلالي، مبحث تركيبي)، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1994.

29. أحمد عفيفي: ظاهرة التخفيف في النحو العربي، الدار المصرية اللبنانية، ط1، القاهرة، 1996.

30. أحمد عمر مختار: البحث اللغوي عند العرب، عالم الكتب، القاهرة، ط6، 1988.

31. أحمد عمر مختار، دراسات لغوية في القرآن الكريم وقراءته، عالم الكتب، القاهرة، ط9، 2001.

32. أحمد مختار عمر: دراسة الصوت اللغوي، عالم الكتب للنشر والتوزيع، القاهرة، 1997.

33. أحمد مختار عمر: دراسة الصوت اللغوي، عالم الكتب، القاهرة، 1997.

34. أحمد مختار عمر: علم الدلالة، عالم الكتب، ط5، القاهرة، 1998.

35. أحمد مختار: لغة القرآن، دراسة توثيقية فنية، مؤسسة الكويت للتقدم العلمي، الكويت، ط2، 1997.

36. أحمد مومن: اللسانيات النشأة والتطور، ديوان المطبوعات الجامعية، ط2، الجزائر، 2005.

37. أحمد مومن: مبادئ في اللسانيات، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2007.

38. أحمد ناصر أحمد ناصر: النحو الميسر، ألفا للنشر والتوزيع، مصر، ط1، 2010.

39. بدر الدين الزركشي: البرهان في علوم القرآن، ج1، تح: أبو الفضل إبراهيم، دار الحديث، القاهرة، 1957.

40. التهاوني محمد علي: موسوعة اصطلاحات الفنون والعلوم، تح: رفيق العجم، ج1، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، 1996، ص1099.

41. جلال الدين السيوطي: الإتقان في علوم القرآن، ج1، دار المعرفة، بيروت، دت.

42. جلال الدين السيوطي: الإتقان في علوم القرآن، ج3، تحقيق عبد الرحمان فهمي الزواوي، دار العدد الجديد، القاهرة، 2006.

43. جلال الدين السيوطي: الأشباه والنظائر في النحو، اعتنى به محمد فاضل، ج1، أبحاث للترجمة والنشر والتوزيع، ط1، الجزائر، 2007.

44. جلال الدين السيوطي: الموجز في علوم اللغة وأنواعها، ج1، تح: فؤاد علي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1998.

45. جلال الدين السيوطي: همع الهوامع، ج6، تح: عبد العالي سالم مكرم، دار البحوث العلمية، بيروت، 1979.

46. حسام سعيد النعيمي: أصوات العربية بين التحول والثبات، دار الكتب للنشر والتوزيع، بغداد، 1979.

47. حسان بن عبد الله العثيمان: الواضح في التصريف، جامعة الملك سعود، دت.

48. حسن عباس: النحو الوافي مع ربطه بالأساليب الرفيعة والحياة اللغوية المتجددة، ج1، دار المعارف، القاهرة، ط12، دت.

49. حلمي خليل: العربية وعلم اللغة البنيوي، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1995.

50. حمزة عبد الله النشرتي: من مظاهر التخفيف في اللسان العربي، الهيئة العامة لمكتبة الإسكندرية، مصر، 1986.

51. خديجة الحديثي: دراسات في كتاب سيبويه، وكالة المطبوعات، الكويت، دت.

52. الخليل بن أحمد الفراهيدي: كتاب العين، ج1، تح: مهدي المجزومي وإبراهيم السامرائي، دار مكتبة الهلال، بيروت، دت.

53. الخليل بن أحمد الفراهيدي، كتاب الجمل في النحو، تحقيق: محي الدين قباوة، مكتبة الرسالة، بيروت، ط1، 1985.

54. دلدار غفو حمد أمين: تفسير الكشاف للزمخشري، دراسة لغوية، منشورات دار دجلة، الأدرن، ط1، 2007.

55. ربيعة برباق: علم الأصوات، دليل الطالب الجامعي، دار قانة للنشر والتوزيع، ط1، الجزائر، 2016.

56. رمضان عبد التواب: التطور اللغوي مظاهره وعلله، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1997.

57. زكي بغدادي وآخرون: منظومة الحروف العربية، مباحث لغوية، مركز الملك عبد الله بن عبد العزيز لخدمة اللغة العربية، الرياض، دت.

58. الزمخشري: المفصل في علم العربية، دار الجيل للنشر، بيروت، دت.

59. الزمخشري: المفصل في علم اللغة، تح: فخر الدين صالح قوارة، دار وائل للنشر، عمان، 2004.

60. سمير شريف أستيتة: الأصوات اللغوية، رؤية عضوية ونطقية وفيزيائية، دار وائل للنشر، الأردن، دت.

61. سيبويه: الكتاب، تح: عبد السلام محمد هارون، ج1، دار الجبل، بيروت، دت.

62. سيبويه: الكتاب، ج3، تح: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط3، 1988.

63. السيد أحمد الهاشمي: القواعد الأساسية للغة العربية، قدم له وضبطه محمد التونجي، مؤسسة المعارف، بيروت، ط3، 2006.

64. الشيرازي: أنوار التنزيل وأسرار التأويل، المعروف بتفسير البيضاوي، ج5، مؤسسة شعبان للنشر والتوزيع، بيروت، دت.

65. صباح بن عبد الله بافضل: الإعلال والإبدال بين النظرية والتطبيق، الدار السعودية للنشر والتوزيع، السعودية، 1997.

66. صبحي التميمي: هداية السالك في ألفية بن مالك، ج1، دار الشهاب للطباعة والنشر، باتنة، الجزائر، دت.

67. صبحي التميمي: هداية السالك في ألفية بن مالك، ج2، دار البعث، الجزائر، ط2، 1990.

68. طاش كبرى زادة: مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم، ج2، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1983.

69. طاهر سليمان حمودة، دراسة المعنى عند الأصوليين، دار الجميل للنشر والتوزيع والإعلام، مصر، 2001.

70. طاهر سليمان حمودة، ظاهرة الحذف في الدرس اللغوي، الدار الجامعية للنشر والتوزيع، الإسكندرية، مصر، 1998.

71. الطيب البكوش: التصريف العربي من خلال علم الأصوات الحديث، تق: صالح القرمادي، الهيئة العامة للمكتبة الإسكندرية، مصر، ط3، 1992.

72. عادل نذير بحيري: التعليل الصوتي عند العرب في ضوء علم الصوت الحديث، قراءة في كتاب سيبويه، مركز البحوث والدراسات الإسامية، بغداد، ط1، 2009.

73. عبد الرحمان بن إسحاق الزجاجي: الحمل في النحو، تح: علي توفيق الحمد، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1984.

74. عبد الرحمان حاج صالح، منطق العرب في علوم اللسان، موفم للنشر، الجزائر، 2012.

75. عبد الصبور شاهين: القراءات القرآنية في ضوء علم اللغة الحديث، مكتبة الخانجي، القاهرة، دت.

76. عبد الصبور شاهين: المنهج الصوتي للبنية العربية، رؤية جديد في الصرف العربي، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 1980.

77. عبد الصبور شاهين: في علم اللغة العام، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، ط6، بيروت، 1993.

78. عبد الصبور شاهين، عربية القرآن، مكتبت الشباب، مصر، 2007.

79. عبد العالي سالم مكرم: قضايا قرآنية في الدراسات اللغوية، الشركة المتحدة للتوزيع، بيروت، ط1، 1988.

80. عبد العزيز علي سخر: الإمالة والتفخيم في القراءات القرآنية، دراسة مع تحقيق كتاب الاستكمال لأبي غلبون، ج1، السلسلة التراثية، الكويت، دت.

81. عبد العلي المسؤول: الإيضاح في علم القراءات، عالم الكتب الحديث، القاهرة، ط1، 2008.

82. عبد الفتاح حموز: ظاهرة القلب المكاني في العربية، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1986.

83. عبد الفتاح عبد العليم البركاوي، مقدمة في علم الأصوات العربية، دار النهضة العربية، مصر، 2004.

84. عبد الفتاح لاشين: ابن القيم وحسه البلاغي في تفسير القرآن، دار الرائد العربي، بيروت، ط1، 1982.

85. عبد القادر حسين: أثر النحاة في البحث البلاغي، دار النهضة، مصر، 1975.

86. عبد القادر عبد الجليل: علم الصرف الصوتي، دار أزمنة، عمان، 1998.

87. عبد القادر مرعي خليل: المصطلح الصوتي عند علماء العربية القدماء في ضوء علم اللغة المعاصر، منشورات جامعة مؤتة، الأردن، 1993.

88. عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز، أصّله محمد عبده، علي عيلة، حمد رشيد رضا، دار المعرفة للنشر والتوزيع، بيروت، ط3، 2001.

89. عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة، تح: محمد الفاضلي، المكتبة العصرية، بيروت، ط3، 2001.

90. عبد الله درويش: دراسات في علم الصرف، مكتبة الطالب الجامعي، مكة المكرمة، ط3، 1987.

91. عبد المتعال الصعيدي: بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة، ج1، مكتبة دار الآداب، القاهرة، 1999.

92. عبد الواحد حسن الشيخ: العلاقات الدلالية، والتراث البلاغي العربي، مكتبة ومطبعة الإشعاع الفنية، الإسكندرية، ط1، 1999.

93. عبده الراجحي: التطبيق الصرفي، دار النهضة العربية، بيروت، دت.

94. علي الجارم، مصطفى أيمن: البلاغة الواضحة، دار المعارف للنشر والتوزيع، ماكميلان، لندن، 1999.

95. عمر بن ثابت الثمانيني: شرح التصريف، تح: إبراهيم بن سليمان النعيمي، مكتبة الرشد الرياضي، السعودية، ط1، 1999.

96. الفارابي: الموسيقى الكبير، تح: عطاس عبد المالك خشبة، مراجعة: محمود أحمد الحنفي، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، القاهرة، د.ت.

97. فاضل صالح السامرائي: معاني النحو، شركة العاتك لصناعة الكتاب، القاهرة، دت.

98. فاضل صالح السامرائي، بلاغة الكلمة في التعبير القرآني، شركة العائك لصناعة الكتاب، القاهرة، دت.

99. فتح الله أحمد سليمان: مدخل إلى علم الدلالة، مكتبة الآداب للنشر، القاهرة، ط1، 1991.

100. فوزي حسن الشايب: أثر القوانين الصوتية في بناء الكلمة العربية، عالم الكتب الحديث، الأردن، 2004.

101. كمال بشر: دراسات في علم اللغة، دار المعارف للنشر والتوزيع، القاهرة، ط8، 1986.

102. كمال بشر: علم الأصوات، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 2000.

103. المبرد: الكامل، ج2، عارضه بأصوله وعلق عليه محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت، 2002.

104. المبرد: المقتضب، ج3، تح: محمد السيد سيد أحمد علي، دار التوفيقية للتراث للطبع والنشر والتوزيع، القاهرة، 2012.

105. محمد الشيرازي: تفسير البيضاوي، ج5، ويهامشه الكارزوتي، مؤسسة شعبان للنشر والتوزيع، بيروت، دت.

106. محمد الصالح الطالع، علوم الصوتيات عند ابن سينا، دار غريب للطباعة والنشر، القاهرة، 2003.

107. محمد بن مالط الطائي النحوي: إيجاز التعريف في علم التصريف، تح: محمد عثمان، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ط1، 2000.

108. محمد حسنين أبو موسى: البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري وأثرها في الدراسات القرآنية، دار الفكر العربي، القاهرة، دت.

109. محمد حسين الموسوي: البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري وأثرها في الدراسات البلاغية، دار الفكر العربي، الأردن، دت.

110. محمد حماسة عبد اللطيف: بناء الجملة العربية، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 2003.

111. محمد عبد العظيم الزرقاوي: مناهل العرفان في علوم القرآن، ج1، دار الكتاب العربي، بيروت، ط1، 1995.

112. محمد عبد الله، ظاهرة التخفيف في اللغة العربية، تريم للدراسات والنشر، اليمن، ط1، 2004.

113. محمد علي السراج: اللبان في قواعد اللغة والأدب، مر: خير الدين شمس باشا، دار الفكر، دمشق، ط1، 1983.

114. محمد يونس علي محمد: المعنى وظلال المعنى، أنظمة الدلالة العربية، دار المدار الإسلامي، ليبيا، ط2، 2007.

115. مصطفى العلايني: جامع الدروس العربية، ج1، تح: محمد علي جيلاني، المكتبة التوفيقية، القاهرة، ط3، 2013.

116. مصطفى ديب البغا محي الدين ديب مستو: الواضح في علوم القرآن، دار الكلم الطيب، دمشق، ط2، 1998.

117. منقور عبد الجليل: علم الدلالة، أصوله ومباحثه في التراث العربي، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2001.

118. مهدي أسعد عرار: مباحثات لسانية في ظواهر قرآنية، دار الكتب العلمية، بيروت، 2008.

119. مهدي أسعد عرار، مباحاث لسانية في ظواهر قرآنية، دار الكتب العلمية، بيروت، 1972.

120. موفق الحمدان: اللغة وعلم النفس، دراسة للجوانب النفسية للغة، كلية الآداب، جامعة بغداد، دت.

121. هادي نهر: النحو القرآني الدلالي، عالم الكتب الحديثة للنشر والتوزيع، ط1، أربد، الأردن، 2018.

122. هادي نهر، علم الدلالة التطبيقي في التراث العربي، تقديم: علي الحمد، دار الأمل للنشر والتوزيع، الأردن، ط1، 2007.

123. يحي بن حمزة العلوي: الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وحقائق الإعجاز، ج3، دار الكتب الجديوية، القاهرة، 1964.

124. يحي بن زياد الفراء: معاني القرآن، دار المصرية للتأليف والترجمة، القاهرة، 1983.

د. المؤلفات المترجمة:

1. براجستراسر: التطور النحوي للغة العربية، تر: رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي، ط2، القاهرة، 1994.

2. جوزيف فندريس: اللغة، تر: عبد الحميد الدخلاوي، وحميد القصاص، مطبعة لجنة البيان، القاهرة، 1950.

هـ. المجلات:

1. أبو أويس إبراهيم الشمسان: الإدغام مفهومه وأنواعه وأحكامه، مجلة جامعة الإمام، العدد 25، جامعة الملك سعود، 1998.

2. حورية زلاقي: جهود العرب الصوتية ما بين القرنين الرابع والسابع الهجريين، مجلة الممارسات اللغوية، مجلد06، عدد03، 2015.

3. صيوان خضير خلف: الإعلال بين التعليلين الصرفي والصوتي، مجلة أبحاث البصرة للعلوم الإنسانة، المجلد 38، العدد 04، 2013.
4. مازن الوعر: الصوتيات العربية الرعاية، مجلة المعرفة، سنة 20، العدد 240، دمشق، فبراير 1982، ص25.
5. محمد بدوي المثخون: ظاهرة القلب المكاني في العربية، مجلة كلية اللغة العربية، العدد 11، 1981.

و. الأطروحات والرسائل الجامعية:

1. بوعناني سعاد آمنة: الدرس الصوتي عند علماء القرن الخامس الهجري، رسالة دكتوراه في علوم اللغة العربية، جامعة وهران، 2010-2011.
2. صلاح الدين حسن: التغييرات الصوتية في التركيب اللغوي العربي، رسالة دكتوراه، جامعة تشرين، سوريا، 2009.
3. عبد المنعم تليمة: التعبير عن المحظور اللغوي والحس اللفظي في القرآن الكريم، دراسة دلالية، رسالة دكتوراه، جامعة القاهرة، 2001.
4. عصام الدين عبد السلام: التعبير عن المحظور اللغوي والحسن اللفظي في القرآن الكريم، رسالة دكتوراه، جامعة القاهرة، 2001.
5. عبد القادر رسيلا: الظواهر الصوتية في كتاب المحرر الوجيز في الكتاب العزيز، رسالة ماجستير، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، السعودية، 2001.

فهرس المحتويات

شكر وعرفان

الإهداء

مقدمة:.....أ-و

فصل تمهيدي: مدخل إلى المفاهيم الأساسية

1. التخفيف.....08

1.1. المعنى اللغوي للتخفيف.....08

2.1. المعنى الاصطلاحي للتخفيف.....09

2. المنجز اللغوي.....11

1.2. المعنى اللغوي.....11

2.2. المعنى الاصطلاحي.....12

3. الأفق الدلالي.....13

1.3. معنى الدلالة.....13

4. التفسير.....16

5. نبذة عن حياة الزمخشري.....18

الفصل الأول: النواميس الصوتية المحركة للظاهرة اللغوية

1. بداية نشأة الصوت اللغوي.....22

1.1. نشأة الصوت لدى العرب القدامى.....24

2.1. نشأة الصوت عند الغربيين القدامى.....28

3.1. نشأة الصوت عند علماء العرب المحدثين.....30

4.1. نشأة الصوت عند علماء الغرب المحدثين.....33

2. آراء في سبب حدوث الصوت اللغوي.....37

3. التغييرات الحاصلة في اصوات اللغة العربية.....49
1.3. التطورات الصوتية وتغير أنظمتها.....49
4. الوظيفة النطقية لأعضاء جهاز التصويت.....65
5. دور الأصوات في بناء الكلمة.....72
1.5. تشكيل بنية الكلمة.....72

الفصل الثاني: الوظائف اللسانية لبعض الأحكام اللغوية

1. القراءات وأثرها في ظاهرة التخفيف.....83
1.1. القراءات القرآنية.....83
2.1. أثر القراءة في التخفيف.....91
2. الوظيفية اللسانية للظواهر اللغوية.....93
1.2. الإدغام.....93
2.2. الإعلال.....101
3.2. الإمالة والتفخيم.....112
3. أثر القوانين الصوتية في العوامل اللغوية.....119

الفصل الثالث: البنية اللسانية لعربية القرآن

1. مظاهر التخفيف بين الدلالة والبلاغة.....127
2. مظاهر التخفيف في البنية اللغوية.....138
3. البنية التركيبية لعربية القرآن.....150
4. الحظر اللغوي في القرآن الكريم.....157

الفصل الرابع: القيمة اللسانية لظاهرة التخفيف في مستويات اللغة

1. المستوى الصوتي.....166
1.1. التغيرات الصوتية.....166
2.1. تغيير الحركة للخفة وتسهيل للنطق.....169
2. المستوى الصرفي.....173
3. المستوى التركيبي.....184
4. المستوى الدلالي.....200
5. التخفيف بإسقاط الحرف من الكلمة.....208
1.5. تخفيف الهمزة.....208
2.5. إسقاط التاء من الكلمة.....214
3.5. إسقاط النون من الكلمة.....217
خاتمة.....222
قائمة المصادر والمراجع.....226
فهرس المحتويات.....241
الملخص.

الملخص

الملخص:

تسعى هذه الدراسة إلى تسليط الأضواء ولو بالشيء اليسير على كيفية تجلي ظاهرة التخفيف في المنجز اللغوي وإبراز الظاهرة الدلالية وآفاقها على المستويات اللسانية من خلال تفسير الكشاف للزمخشري، حتى نتمكن من توضيح ظاهرة التخفيف في الاستعمال والنطق والسلوكات اللغوية عموما، وفي لغة القرآن الكريم وآثارها الدلالية، وذلك من خلال دراسة الأصوات والكلمات وكذا الجمل في جميع المستويات اللسانية.

الكلمات المفتاحية: ظاهرة التخفيف، المنجز اللغوي، الأفق الدلالي، تفسير الكشاف.

Abstract:

This study seeks to shed light, even in a small way, on how the phenomenon of Atténuation is manifested in linguistic achievement and to highlight the semantic phenomenon and its horizons on the linguistic levels through Al-Kashshaf's interpretation of Al-Zamakhshari, so that we can clarify the phenomenon of dilution in usage, pronunciation, and linguistic behaviors in general, and in the language of the Holy Qur'an and its semantic effects. This is done by studying sounds, words, and sentences at all linguistic levels.

Key words: the phenomenon of Atténuation, linguistic achievement, semantic horizon, Al-Kashf interpretation